مَصَارِعُ الكَلَام

كلماتٌ قَتَلت أصحابها

أكثر من تسعين رجلا قتلتهم ألسنتهم



بدر بن علي العبد القادر

مصارع الكلام - كلمات قتلت أصحابها

بدر بن علي العبد القادر

الطبعة الأولى : ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

للمراسلة:

فاكس/ ٠٦٤٢٢٣٨٢٤

الزلفي - ١١٩٣٢ - ص . ب ٧٠٢ .

البريد الشبكي : badrali176@gmail.com

ح بدر بن علي العبد القادر، ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبد القادر،بدر بن علي

مصارع الكلام - كلمات قتلت أصحابها ./ بدر بن علي العبد القادر-

ط ١ ،الرياض ١٤٣٠ هـ

٣٤٩ صفحة، ١٤ X ٢١

ردمك: ١- ٢٤٩٧- ٠٠- ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الأدب العربي - مجموعات أ. العنوان

ديوي ٨١٠،٨ ١٤٣٠/٢٨٤٧

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٢٨٤٧

ردمك: ١- ٢٤٩٧- ٠٠- ٦٠٣ - ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مصارع الكلام

مصارع الكلام .. إلى كل من تعوَّد فلَتَات لِسَانه، واستَسهَلَ زَلاتِه، وأرسَلَه في البَاطِلِ دُونَ رَادِعٍ، وخَاضَ في أعرَاضِ النَّاسِ دُون حقٍّ، يكون هَذا الكِتَاب ... فَمن الظُّلم – بلا رَيبٍ – أنْ أُمِيتَه قَبلَ أنْ يُميتَه لسَانُه.

مصارع الكلام .. لو عَقَلَ النَّاس قول الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾. [ق: ١٨]. وفهموا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.[النور: ٢٤]. لرأيتهم يزِنُون كلامهم، ويحتسبون ألفاظهم.

مصارع الكلام .. جاء ليكون لبنة في صلاح من اعتادوا هفوات اللسان، فمن كان يريد إدراك أمانة الكلمة، وعِظم جُرم اللسان فليقرأ هذا الكتاب.

بدر

لِمَ المصارع ؟

جاء كتاب مصارع الكلام ليجيب عن تساؤلات كثيرة، وأسئلة متعددة يُحار معها الحكيم، ويُذهل لها اللبيب. فالقارئ يعيش مع سيرة بعض الشعراء أحداثًا تجعله يعشقه عشقًا لا ينفك منه ثم يفجأ بنهاية مؤلمة لحياته تجعله يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ويعيد النظر فيما انطبعت به نفسه من فرط إعجاب، وكثير ثناء.

والباحث يقرأ نتاج قرائح بعضهم حتى يكلَف به، ويتمنى أنه عاصر قائليها، وحضر مجالسهم ثم يجد نهايتهم تؤول إلى ما لا يُعجب النفس ولا يُرضي العاشق. والمُطَّلع يتأمل سير بعضهم فيُكبر شجاعتهم، ويُعجب لألمعيتهم ثم تضطرهم أوصَاب الزمان إلى جرف هار، فيُحدثُ في النفس ألمًا لا تمحوه السنون.

فهل قتل الرجل بسبب كلمات قالها يكون جزاءً عادلا أو أنه شاذٌ وغريبٌ ومبالغٌ فيه ؟. وهل لسيرة الرجل وخلقه أثرٌ في قتله، أو أن المواقف السياسية يكون لها الأثر الجلي في إعدامه ؟. وهل جزاء التعبير عن مواقف الحياة وعن الآراء الذاتية والفكرية القتل؟. وهل هؤلاء القتلى تجاوزوا حدودهم، أو أنهم أخطؤوا خطأً فاحشًا لا يُقوَّم فكان هلاكهم ؟.

أمورٌ عجيبة، وأحداثٌ غريبة ضحاياها كثير وسببها واحد، وخاتمتها واحدة، فما بال الرجل أَبَلّ ذَرِب اللسان يقول القول فلا يَلِيْحُ منه ولا يتَّئِب، ويتكلم بالكلمة فتملأ فاه ولا يَتَصَحَّب ؟، يَنْبِر النَّاس بلسانه، ويرسله على سَجِيَّته، وَقَدْ حَلَّ حُبوته، وَتَذَيَّلَ في كلامه، وَتَبَسَّطَ فيه وَتَسَرَّحَ. وما بال الرجل يكون فاحش اللسان، بَذِيء المنطق، قَذِع اللفظ، خَطِل الكلام، جامح التعبير، كثير الهراء في أعراض الآخرين ؟.

لقد كان عُتبة بن أبي لهب سُلالَة شرف، و رفيع درجة، وسامي رُتبة في قومه، وحين تكلم بكلمات لم يراعِ أمانتها اختطَّ نهايته. والوليد بن المغيرة تربع في بُؤْبُؤ المجد، وضِئضِئ الكرم، وذِرْوَة الشرف في قومه وحينما حاد عن الطريق المستقيم أزهق روحه.

والجعد بن درهم كان يَسْمُو إلى معالي الأمور، وَيَصبُو إلى شريف المطالب، ويطمح إلى خطير المساعي، وتنزع همته إلى سَنِيّ المراتب، وَتحفِزُهُ نفسه إلى بعيد المدارك ولمَّا تجرد عن عقله وجاء بما يسوء طار رأسه. والجهم بن صفوان من ذوِي العلم وحملته، ومن أُولي العِرفان وحضنته، ومن أهل التحصيل، وأرباب الاجتهاد وحين أهمل لسانه استعجل نهايته.

لقد قرأت في سيرة عمرو بن هند أنه كان رفيع المنزلة، وعالي الذِّروَة، وبَاذخ الشرف، وجليل القدر، و فَخِيم

الشَّأن في قومه ولكنه لم يحفظ لسانه فاستجلب منيته. وعرفت عن ابن العميد أنه صاحب كلام فصيح مُحبَّر، مُتَراصف النَّظم، مُتناسب الفِقر، مُتشاكل الأَطرَاف، مُتخيَّر الأَلفاظ، مُنتخَل الأَساليب، مُهذَّب اللَّفظ، مُنقَّح العبارة، فحاد لسانه عن جادة الصواب فرسم خطوط هلاك نفسه.

وقرأت عن الشَّلمَغاني أنه من أهل الطلب، وجَهابذة النظر، ومن الراسخين في العلم والتحقيق ولكن لسانه كتب خاتمته.

ورأيت الأديب ابن مقلة مُتصرِّفًا في ضُروب الإنشاء، حَسنَ التَّرسل، بليغ العِبارة، مليح النكتة، لطيف الكناية، بديع الاستعارة، مُطَّرد الانسجام، مُحكم السَّبك، أَنِيق الدِّيباجة، لَم تَعلق به رَكَاكَة، ولا ظِلّ عليه لِلابتذال، وَلا ثقل عليه لِلحُوشِيَّة فقتله أدبه بعد أن مال عن جادة العقلاء.

وسمعت عن ابن المقفع أنه كَاتبٌ مُجِيد، رَشِيق اللَّفظ، مُنمَّق العِبارة، بَدِيع الإِنشَاءِ، صَحِيح الدِّيباجة، أَنِيق الوَشي، حَسَن التَّحبير، مَصقول العبَارة، سَهل الأُسلوب، مُنسَجِم التَّرَاكيب، نَاصع البَيَان، مُهذَّب العِبارَة، لا تُرام غايته، ولا يُدرك شَأوه فقتله لسانه.

لقد كان مُرداويج الديلمي شديد الأخدع، قوي الشكيمة، أبيَّ الضيم، لا يَعنو لقهر، ولا يصبر على خسف،

ولا يُقيم على مَذلة، ووُصف بأنه ثَبْت الجَنان، جريء الصدر، رابط الجأش، صلب المَعجَم، ابن كريهة، وخوّاض غمرات فجلب لسانه الموت الذي هو أحر من الجمر، وأشد من الوطيس.

وامرؤ القيس ممن اختالوا تِيهًا، وخَطروا عُجبًا، وجروا أَذيَالَهم كِبرًا، فأصبح يُسامُ الذُّلّ، ويرضى بالخُسف، وَيَستَكِينُ للامتِهان، وَيقِرُّ على الضَّيمِ، وَيُغضِي على القَذَى، وَيَطرِفُ على المضض، ويَشرَبُ على الشَّجَى.

وابن جعفر من فرسان الجاهلية الذين لا تُصدَع لهم صفاة، وَلا تُستثارُ لهم قَطاة، فهو الطَّودُ لا تُقَلقِلُهُ العَواصِف، والبَحر لا تُكدِّرُه الدِّلاء، لكنه لم يحفظ لسانه فرضي بالهُون صاحبًا، وَاستَوطَأَ مِهَاد الخمُول، وأَخلدَ إِلَى الصَّغارِ، فاخترمته المنيَّة، وخلجته المنون.

والمُنخَل ممن يُشَارُ إليهم بالبنان، وَتُومِئُ إِليهم الأَصَابع، وَيُرمَى بالأَبصَارِ وحين لم يحفظ لسانه مَضغته المنايا، ولاستهُ المنون، ولاكته الحُتوف. والسُّليك من فتاك العرب وشجعانهم غير أنه أسرف في المُزاح، وبالغ في العبث، وأساء الأدب، وهتك ستر الحشمة، فأصبحت حاله تتوجع لها القلوب رِقة، وتنفطر لها القلوب رحمة، وتسيل لها العيون رأفة.

وتَذَرَّى ابن الأشرف سَنَام المجد، وصعد فروع العُلى، ووثب إلى قمة الشرف في قومه ولم يحفظ لسانه فهجره النوم، وجفاه الرُّقاد، واكتحله السُّهاد، وأصبح لا يَطمئنُّ جَنبه إلى مَضجَع حتى هلك. وابن نُوَيرة كان دَرَّاك غايات، وسبَّاق غايات، مِقدَامًا على العظائم، يقصد خَطِيرَات الأمور، ويركب المراقي الصعبة، ويضطلع بأعباء المهمات، وحين زلَّ لسانه أخذه الموت، وطاف به الرحيل.

والشعراء عرفت عنهم أنهم أمراء الكلام، وزعماء الخطاب، وما قرأت لأحد منهم إلا وذُكر عنه أنه جيد الشعر، رصين النظم، صحيح السَّبك، مُنَضَّد اللَّفظ، مُرَصَّف المعاني، مُنسَجِم الكلام، رائق الأسلوب، مليح الديباجة، حسن الوَشي رشيق المعنى، لطيف التخيل، مطبوع النادرة وحين أطلقوا عَنان ألسنتهم نزلت بهم نازلة ارفضَّ لها صبرهم، وتقوَّضت منها دعائم اصطبارهم، وتداعت بها حصون صبرهم.

فطَرفة شهير الذكر، ومستطير الشهرة، وطائر الصيت حاد لسانه عن الصواب فارتهنه مضجعه، وغيبته حفرته، وأصبح رهين كلماته. والمتنبي ممن نظم ذكره حاشيتي البر والبحر، واستطار استطارة البرق، وسار مسير القمر ،وانتشر انتشار الشمس، وطبَّق ذكره الأرض،وَعُرِفَ بالأسماع قبل الأبصار، لكنه أطلق لسانه في الأعراض،

وتناول الأحساب، وخرج إلى السخرية، فأصبح حالة تَرِقُّ لها الأكباد الغليظة، وتلين لها القلوب القاسية.

وقرأت كلام عَبد بني الحَسحَاس فوجدته صورة العيوب، ومثال المساوئ، ومجتمع القبح، فعرفت لُؤم ضريبته، ودناءة ملكته، وخساسة شنشنته، وصِغر همته، وسفول طبعه فذاق مصرعه، وورد حياض منيته.

ورأيت الأشقَري فارسًا خطير النفس، رفيع الأهواء، بعيد الهمة، قوي البأس، يُعدُّ إحدى الكُبر وصمَّاء الغَبر، فقال مالا يُحمد فأُدرجَ في قبره ،وبُوِّئ جدثه. وخبرت الأُقَيشر وقد تبرأت منه المروءة فزهقت نفسه، وفاضت روحه. والأعشى بلغ رفعة لا تُسامى، وعزَّة لا تُغالب، فعظُم قدره في النفوس، وارتفعت منزلته في العيون، ووقَرت مهابته في الصدور فأُرهن رمسه،وأُجِنَّ حفرته بسبب لسانه.

والوليد بن يزيد تمادى في ضلاله، ولجَّ في غوَايته، وأمعن في تِيهه، وغلا في جَهلته فضمته الأرض، وطوته الغبراء. وابن عبد القدوس كان نبراس قومه الساطع، الذي يرجع إليه في المشكلات، ويؤخذ بقوله في المعضلات فطُبع على بصيرته، وخُتم على قلبه، وضُرب على سمعه، وعَميت عليه وجوه الرشد، واستبهمت عليه معالم القصد فخبط في

الجهالات، وتتايع في الضلالة، واسترسل في الجهالة فنزل به الموت، وطاحت روحه، وذاق حتفه.

وبشار بن برد شاعر تُباري أسَلة لسانه أطراف الأسَل، فسقطت همته، وضَعُف رأيه، ووهنت عزيمته، فاحتبلته حُبول الردى، وعلِقَته أَوهَاق المنية.

وغيرهم كثير والقتلى أكثر والموت لا يرحم والسبب اللسان، ومن أراد الاستزادة فعليه القراءة.

بئسَ المصِير
عُتبة بن أبي لهب

لما كان من الواجب على كلِّ مُكلَّف أنَ يحفظ لسانه عن كلام السُّوء، جاء التوجيه الرَّباني غير مرة في القرآن الكريم، وما هذا التكرار إلا لعِظم أمر اللسان، وشدة خطره، وعظيم مصابه، وقد ذمَّ الله ﷻ من يقول في شرعه ما لا يعلم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾. [النحل: ١١٦].

والعاقل يحتاط لكلامه كما يحتاط لبدنه، ويراعي همساته قبل كلماته، غير أن الشقي يأبى إلا أن يطلق للسانه العنان، ويورد نفسه المهالك.

تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾. [النجم: ١]. فسمعه عُتبة بن أبي لهب فقال:" كفرت بالذي دنا فتدلى"، فقال النبي ﷺ:"اللهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك" يعني: الأسد، فخرج عتبة مع أصحابه في عِيرٍ إلى الشام حتى إذا كانوا في طريقهم زأر الأسد، فجعلت فرائص عتبة ترتعد، فقال أصحابه:" من أي شيء ترتعد، فو الله ما نحن وأنت إلا سواء"، فقال: "إنَّ محمدًا دعا عليَّ، وما ترد له دعوة، ولا أصدق منه لهجة"، فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه، وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم، وجعلوه وسطهم وناموا، فجاء الأسد يستشهي رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فهشمه هشمة

كانت إيَّاها، فقال وهو في آخر رمق:" ألم أقل لكم إنّ محمدًا أصدق الناس لهجة"(١). نسأل الله العافية والسلامة من فضاعة الخاتمة، ومآل المصير.

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه قوله: "لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١]. إلى آخرها سمع عُتبة بن أبي لهب أنَّ محمدًا ﷺ يُقسم بنجوم القرآن، فقال:" أبلغوا محمدًا ﷺ أنّي كافرٌ بنجوم القرآنِ"، فلمَّا بلغوا رسول الله ﷺ قال: "اللهم سلّط عليه سبعًا من سباعك، فسلّط الله عليه أسدًا قريبًا من حرَّان (أرض قريبة من الرَّقة) فأخرجه من بين أصحابه غير بعيد، فمزقه من رأسه إلى قدمه، ولم يذقه لنجاسته"(٢).

جزاءً وفاقًا
الوليد بن المغيرة وأصحابه

ذمَّ الله ﷻ الكفار أنهم يقولون بألسنتهم الكذب، فيزعمون أن لهم الحُسنى، أي: الآخرة التي سيكون لهم فيها أحسن نصيب، كما كان لهم في الدنيا، فقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل: ٦٢].

وذمَّ ﷻ اليهود أنهم كاذبون ومفترون عليه تعالى، وهو تأكيد عليهم بالكذب على الله وتعمده، فكان وصفهم بالكذب مزيدَ ذمٍّ لهم، لأنهم غيرُّوا التوراة، وكتبوا كتابًا بدَّلوا فيه صفة الرسول ﷺ ثم أخذت قريظة ماكتبوا فخلطوا بالكتاب الذي عندهم.(٣). فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . [آل عمران: ٧٨].

ولما صدع الرسول ﷺ بدعوته في مكة، لم يسلم من أذى قريش، فمنهم من آذاه بيده، ومنهم من آذاه بلسانه، فكان عاقبته أن كتب على نفسه الهلاك والبوار، فحين أراد صاحب اليمن أن يرى النبي ﷺ أتاه الوليد بن المغيرة فزعم أنَّ محمدًا ساحرًا، وأتاه العاص بن وائل السهمي وأخبره أنَّ محمدًا يعلم أساطير الأولين، وجاءه شقيٌّ آخر فزعم أنَّه

كاهن، وجاءه مشؤوم آخر فزعم أنَّه شاعر، وجاء بئيس فزعم أنَّه مجنون، فكفى الله ﷺ محمدًا أولئك الرهط في ليلة واحدة، وأهلكهم بألوان من العذاب.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مُسْتخفيًا سنين لا يُظهر شيئًا مما أنزل الله عليه، حتى نزلت: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ .[الحجر: ٩٤]. يعني:أظهر أمرك بمكة فقد أهلك الله المستهزئين بك بالقرآن وهم خمسة رهط.

فأتاه جبريل بهذه الآية، فقال رسول الله ﷺ:" أراهم أحياء بعد كلهم"، فأهلكوا في يوم واحد وليلة،منهم العاص بن وائل السهمي، خرج في يومه ذلك في يوم مطير، فخرج على راحلته يسير وابن له يتنزه، فنزل شعبًا من الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض، قال: "لُدغت"،فطلبوا فلم يجدوا شيئًا،وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه.

ومنهم الحارث بن قيس السهمي،أكل حوتًا مالحًا، فأصابه عطش، فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقدَّ (انشق) بطنه، فمات وهو يقول:" قتلني ربُّ محمد".

ومنهم الأسود بن المطلب، وكان له زَمعَة (أصحاب) بالشام، وكان رسول الله ﷺ قد دعا على الأب أن يَعمَى بصره، وأن يثكل ولده، فأتاه جبريل عليه السلام بورقة خضراء، فرماه بها فذهب بصره، وخرج يلاقي ابنه ومعه غلام له، فأتاه جبريل عليه السلام وهو قاعد في أصل شجرة، فجعل ينطح رأسه،

ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال له غلامه: "لا أرى أحدًا يصنع بك شيئًا غير نفسك"، حتى مات وهو يقول: "قتلني رب محمد".

ومنهم الوليد بن المغيرة، مرَّ على نَبْل (سهام) لرجل من خزاعة قد راشها وجعلها في الشمس، فربطها فانكسرت، فتعلق به سهم منها، فأصاب أكحله فقتله.

ومنهم الأسود بن عبد يغوث، خرج من أهله فأصابه السموم (هواء حار) فاسودَّ حتى عاد حبشيًّا، فأتى أهله فلم يعرفوه، فأغلقوا دونه الباب حتى مات، وهو يقول: "قتلني رب محمد"، فقتلهم الله ﷻ جميعًا، وأظهر رسول الله ﷺ أمره وأعلنه بمكة. (٢).

السّفيهُ
صاحب معاوية

ما أجمل حفظ اللسان في مواضع الأخطار، وحفظ الحقوق لأهل الأخيار، والابتعاد بالنفس عن مواطن الهلكة والموت،فقد خاطر رجلٌ رجلاً أن يقوم إلى معاوية رضي الله عنه إذا سجد فيضع يده على كفله (عجُزه)، ويقول:"سبحان الله يا أمير المؤمنين، ما أشبه عجيزتك بعجيزة أمك هند"،ففعل ذلك. فلما انتهى معاوية من صلاته، قال:" لا يا ابن أخي، إن أبا سفيان كان إلى ذلك منها أميل، فخذ ما جعلوا لك"، فأخذه.

وليته حمد الله على سلامته، وعلى حلم معاوية رضي الله عنه معه، ولكن الشقاء كان حليفه في ذلك، فقد استسهل الأمر، وتناسى غضب الملوك، وأهمل حفظ اللسان، فطار رأسه. فقد قام إلى زياد بن أبيه وهو في الخطبة، فقال له:" أيها الأمير: من أبوك ؟" فقال له زياد:"هذا يخبرك"، وأشار إلى صاحب الشرطة فقدمه وضرب عنقه، ولما بلغ معاوية رضي الله عنه ما فعله زياد به قال:" ما قتله غيري، ولو أدبته على الأولى، ما عاد إلى الثانية" (٤).

ولاءٌ وهَلاك
إبراهيم بن نَهِيك

رُوي أن قُسَّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: "كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تُحصَى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ماهي؟ قال: حفظ اللسان" (٥).

فللسان زلات تتبعها هفوات، وبعضها لا يكون مكانه هذا ولا ذاك، وبذا يكون اللسان خان البدن، وجر على بقية الأعضاء الويلات، حتى وإن حُسن الفعل، وساء المنطق، فإن فساد النطق يطمس جميل الفعال.

ذُكر عن الواقدي إبراهيم بن عثمان بن نَهِيك، أنه كان كثيرًا ما يذكر جعفر بن يحيى البرمكي والبرامكة، وَيبكي جزعًا عليهم، وحبًّا لهم، ولكنه لم يُسر ذلك في نفسه، ويخفي مشاعره، بل خرج من البكاء، ودخل في باب طالبي الثأر والإحن. فكان إذا خلا بنفسه وبكى، قال:"يا غلام جئني بسيفي ذي المنية"، فيجيئه غلامه بالسيف فينتخي ثم يقول: "واجعفراه، واسيداه، والله لأقتلن قاتلك، ولأثأرن بدمك عن قليل"، وتكرر ذلك منه مرارًا وما يدري المسكين أن هذه الكلمات، وتلك المشاعر ستورده الحتوف.

فقد نمى علمه إلى هارون الرشيد،فأراد أن يمتحن صدقه ويكشف أمره، فدعاه إلى منزله، ولما رفعت موائد

الطعام، وخرج الناس، قال له الرشيد:" يا إبراهيم، كيف أنت وموضع السر منك ؟"،قال:" يا سيدي، إنما أنا كأخص عبيدك، وأطوع خدمك"، قال الرشيد:"إن في نفسي أمرًا أريد أن أودعكه، وقد ضاق به، وأسهرت به ليلي"، قال الواقدي:" يا سيدي، إذًا لا يرجع عني إليك أبدًا وأخفيه عن جنبي أن يعلمه، ونفسي أن تذيعه".

قال الرشيد: "ويحك، إني ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها، فوددت أني خرجت من ملكي، وأنه كان بقي لي، فما وجدت طعم النوم منذ فارقته، ولا لذة العيش منذ قتلته".

فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعه، وأذرى عبرته، وقال:"رحم الله أبا الفضل، وتجاوز عنه، والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله، وأوطأت العشرة في أمره، وأين يوجد في الدنيا مثله، وقد كان منقطع القرين في الناس أجمعين".

فقال الرشيد: قمْ عليك لعنة الله يا ابن اللخناء، فقام ما يعقل ما يطأ، فانصرف إلى أمه، فقال:" يا أم، ذهبت والله نفسي"، قالت:"كلاً إن شاء الله، وما ذاك يا بني؟"، قال:"ذاك أن الرشيد امتحنني بمحنة، والله لو كان لي ألف نفس لم أنجُ بواحدة"،وكان كما توقع، فبعد أيام أمر به الرشيد فقتل.(٦).

خَسَارٌ وتَبَابٌ
الجَعْد بن دِرهم

السيطرة على اللسان أمر لا يُستهان به، ومن فقد السيطرة فقد أورد نفسه مواطن الزلل والهلاك، كما أن فساد الرأي يؤدي إلى العطب.

طلب الجعد بن درهم العلم، ولازم حلق العلماء، ولكنه لم يراعِ أمانة الكلمة فهوت به في النار، وكان سبب قتله أنه قال بخلق القرآن، وقال الحافظ الذهبي رحمه الله: " أول من أنكر أن الله فوق عرشه هو الجعد بن درهم وكذلك أنكر جميع الصفات".

كذلك زعم أن الله تعالى لم يستوِ على عرشه حقيقة، ففسر الاستواء بالاستيلاء – تعالى الله عن ذلك – وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم الله موسى تكليمًا، وغيرها من الآراء الفاسدة، والكلمات المهلكة، التي صيرته في عداد الأموات.

نما علمه إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، فغضب من آرائه الفاسدة، ودعواته المضللة، وتصوارته الباطلة، فقبض عليه، وأرسله إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق في عهده ، فقتله صبيحة يوم عيد الأضحى، بعد أن خطب الناس، فقال:" أيُّها الناس: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فانِّي مُضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله

عما يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا". ثم نزل فذبحه في أصل المنبر.(٧).

ضَلالُ
الجهم بن صفوان

حري بالإنسان أن يدرك بعقله ما ينفعه فيتبعه، وأن يفهم الأمور كما تكون، وأن يبحث عمَّن يأخذ منهم علمهم، وأن يكون على حذر فيما يسمع ويقول، وإلا ستحول منيته دون أمنيته.

اتصل الجهم بن صفوان بطائفة السَّمانية من فلاسفة الهند، في مناظرة بينهم فشككوه في الله، وقالوا له:"إلهك هذا الذي تعبد، هل تراه بعيونك ؟" قال:"لا"، قالوا:" هل تسمعه بإذنك ؟"، قال:"لا"، قالوا:"هل تشمه بأنفك ؟"، قال:" لا"، قالوا:"هل تذوقه بلسانك ؟"، قال:"لا"، قالوا:" هل تحسه بيدك ؟" قال:"لا"، قالوا:"إذًا الله معدوم" تعالى الله عن ذلك علوًّ كبيرًا.

شكَّ هذا البائس في ربه، وترك الصلاة أربعين يومًا، وبعد الأربعين نقش الشيطان في ذهنه أن الله موجود وجودًا ذهنيًا، فضلَّ، وانسلخ من الدين،و أثبت وجودًا لله في الذهن، وسلب عنه جميع الأسماء والصفات، وقد أظهر هذا المذهب ونشره ودافع عنه، فقتله سالم بن أحوذ أمير خراسان، في أواخر عهد بني أمية، بعد أن فشت مقالته في الناس، نسأل الله السلامة والعافية.(٨)

زُورٌ وفَنَاءٌ
عبد الرحمن بن حسان

على الإنسان حين يسمع قول رسول الله ﷺ:"من يَضْمن لي ما بين لِحْيَيْه وما بين رِجْلَيه، أضمن له الجنة"(٩). أن يصلح قلبه أولاً، ثم يجتهد في حفظ لسانه،حتى يستقيم على الخير،ويسلك الطريق المستقيم، والمنصف من أنصف أذنيه من لسانه، فكان سماعه أكثر من كلامه، والعاقل من عدَّ كلامه من عمله، فقلَّ كلامه فيما لا ينفعه.

والجاهل من ظلم نفسه فتحدث بلسانه عن الآخرين بخلاف الواقع، حتى لو كان مجاملاً، فإنه لو نجا من العقوبة الدنيوية لم ينجُ من العقوبة الأخروية.

سأل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عبد الرحمن بن حسان، فقال له:"يا أخا ربيعة،ما تقول في علي ؟" قال:"أشهد أنه من الذاكرين الله كثيرًا، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس".

قال:"فما تقول في عثمان ؟" قال:"هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج (أغلق) أبواب الحق ". قال معاوية: "قتلت نفسك".

قال:"بل إياك قتلت،لا ربيعة بالوادي (يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه) فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه:" إن هذا شرَّ من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها، واقتله شر قتله". فلما قدم به على زياد بعث به إلى قُس الناطف، فدفنه حيًّا.(١٠).

بَلاءٌ
خادم جعفر

اللسان خطره خطير،ولا نجاة من خطره إلا بالصمت؛ ولا سلامة من آفاته إلا بحبسه، ولو لم يكن من آفاته إلا الخوض في الباطل لكفى. ولذا كان طاوس رحمه الله يعتذر من طول السكوت، بقوله: "إني جربت لساني فوجدته لئيمًا راضعًا"(١١). واللئيم الراضع: هو الخسيس الذي إذا نزل به الضيف رضع بفيه شاته، لئلا يسمعه الضيف فيطلب اللبن.

وممن فتك به لسانه، وقتله كلامه خادمٌ كان عند جعفر ابن الأشعث الخزاعي، وخبره أن أبا الشيص محمد بن رزين التميمي كان عند عقبة بن جعفر يشرب، فلمَّا ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يَدبُّ (يزحف) إلى خادم له، فوجأه (طعنه) بسكين، فقال له:"ويحك، قتلتني والله، وما أحبُّ – والله – أن أفتضح أني قُتلت في مثل هذا الأمر، ولا تفضح أنت بي، ولكن خذ دستيجة (إناء) فاكسرها، ولوثها بدمي، واجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري، فقل: إني سقطت في سُكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلتني".

ومات من ساعته، ففعل الخادم ما أمره به، ودفن أبو الشيص وجزع عليه عقبة جزعًا شديدًا، فلما كان بعد أيام سَكِر الخادم، فحدث عقبة عن خبره، وصدقه وما كان منه مع أبي الشيص، وأنه هو الذي قتله، فغضب عقبة، ولم يلبث إن قام إليه، وضربه بالسيف حتى قتله .(١٢).

كَلمَةٌ خَطَّت النِّهَايَة
عمر الأسيدي

الذين أطلقوا لألسنتهم العَنان لم يقرؤوا قول الرسول ﷺ: "إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجاتٍ، وإن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنَّم"(١٣).

كما أن المُزاح في غير حق نذير شؤم وهلاك، والكلمة في غير موضعها تجر الويلات، واللسان إذا أساء المنطق دفع الثمن مضاعفاً، والاعتبار بالأحداث سبيل الرشاد.

لمَّا ولي خالد القسري إمارة العراق استعمل على أحداث البصرة مالك بن المنذر، فكان يكرم عمر بن يزيد الأسيديّ ويقربه، ويقضي حوائجه، وكان عمر لا يملك لسانه، فخرج من عنده وقد سأله حاجة فقضاها له، فقيل له:" كيف رأيت مالك ؟" فقال :"رأيت الفُساء، سخرنا به منذ اليوم".

فنما ذلك إلى خالد القسري وساءه ما تفوه به عمر على مالك، فكتب إليه في ذلك الأمر ، وحين حضر عمر أخذه مالك وشهَّد عليه ناس من بني تميم وغيرهم، فحبسه ثم ضربه حتى قتله، وقيل قتله تحت السياط، وما نفعه قربه من الوالي،وحظوته عند وزرائه حين حاد عن الصواب .(١٤).

فَخرٌ فِي غَيرِ مَحَلِّه
عمرو بن هند

الاستهانة بالآخرين صفة ذميمة، والفخر في غير محله خصلة مشينه؛ لظهور سوء العاقبة قبل وصول الكلمة مداها، فما نفع عمرو بن هند مُلكُه وجبروته حين أساء الظن، وأخطأ الفهم، وأنزل الأمور في غير نصابها.

أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن آكل المرار، وهي عمة امرئ القيس، ولي أمر الحيرة، وكان يلقب بمضرط الحجارة لقوة ملكه وعِظم بأسه، وشدة سياسته، ويسمى محرقًا أيضًا؛ لأنه حرق بني تميم، وقيل: لأنه حرق نخل اليمامة. قال يومًا لندمائه:" هل تعلمون أحدًا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟".

فقالوا:"ما نعرفه إلا أن تكون أم عمرو بن كلثوم التغلبي"، قال:" ولم ؟! " . قالوا:" لأنَّ أباها مهلهل بن ربيعة، وعمَّها كليب بن وائل أعزُّ العرب، وبعلَها كلثوم بن مالك أفرسُ العرب، وابنها عمرو وهو سيد قومه".

فسكت عمرو بن هند على ما في نفسه، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزوره، ويأمره أن تزور أمَّه ليلى أمَّه هند بنت الحارث، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب، ومعه أمه ليلى، فنزل على شاطئ الفرات.

وبلغ عمرو بن هند قدومه فأمر برُواقِه فضُرب فيما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته، فحضروا

في وجوه بني تغلب، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق.

وقد قال عمرو بن هند لأمه:"إذا فرغ الناس من الطعام، ولم يبق إلا الطرف فنحي خدمك عنك، فإذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى، ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء".

ففعلت هند ما أمرها به ابنها، فلما أُستدعي الطرف قالت هند لليلى:"ناوليني ذاك الطبق "، فقالت ليلى: "لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها"، فأعادت عليها وألحت، فصاحت ليلى:" وآذلاه يا آل تغلب".

فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار في الدم وجهه،وعرف ما كان، ونظر إليه عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه، فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيف لعمر بن هند معلق بالرواق، ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند فقتله. وما نفعه ملكه وقومه حين لم يحفظ لسانه،ويزن كلامه. (١٥).

ذكرى مؤلمة
ذو الحَجَلتين

ما أجمل الاحتفاظ بالذكرى في مستودع النفس أيًّا كان نوعها، وما أفضل أن تكون تجارب الإنسان حبيسة العقل ما لم يُرج منها فائدة أو نفع، فقد يكون في الذكرى الهلاك، وفي الاستذكار البوار.

روى الوزير فخر الدولة أبو نصر قال:" حدثني نصر الدولة أبو نصر بن مروان صاحب (آمد وميافارقين) وتلك الثغور، وكان والياً لها إلى حين وفاته، قال: كان بعض متقدمي الأكراد معي على الطبق فأخذت حجلة مشوية مما كان بين يدي فأعطيته إيَّاها، فأخذها وضحك. فقلت: مم تضحك ؟! فقال: خير.

فظننت أنه قد عاب علي ذلك، فألححت عليه، ودافع عن الجواب حتى رفعت يدي وقلت: لا آكل شيئًا حتى تعرفني سبب ضحكك ما هو.

فقال: شيء ذكرتنيه الحَجَلة، وذاك أنني كنت أيام الشباب والجهالة قاطع طريق، ومرة قطعت الطريق على بعض التجار فأخذته وما كان معه من المتاع، فقربته إلى حافة جبل، فأردت قتله خوفًا على نفسي منه، وأن يعرفني من بعد، ويطالبني ويعرضني للقبيح وتعترضني.

فقال: يا هذا قد أخذت مالي وأفقرتني وأولادي فدعني أرجع إلى عيلتي، فأكُدُّ عليهم، ولا تحرمهم مالي

ونفسي، وبكى وسألني وتضرع إلي، فلم أرقَّ له شرهًا ورغبة إلى ما كان معه. فلما أيس من الحياة التفت إلى حجلتين على جبل وقال لهما: اشهدا لي عليه عند الله.تعالى أنه قاتلي ظلمًا، وقتلته فلما رأيت الحجلة الآن ذكرت ذلك الرجل وحمقه في استشهاده الحجل علي.

قال ابن مروان: فحين سمعت قوله اهتززت حتى لم أملك نفسي، وتقدمت بأخذه وكَتْفِه (ربطه) ثم ضرب رقبته بين يدي، فلم آكل حتى رأيت رأسه مقطوعًا بين يديه، بعد أن قلت له: قد والله شهدت الحجلتان عليك عند من أقادك بالرجل وأخذ له بحقه منك"(١٦).

النفاق سِرُّ الهلاك
ابن القَرية

من صفات أرباب العقول أن يكون كلامهم موزونًا، وجوابهم مفهومًا، وحديثهم معروفًا، ومشاعرهم صادقة، وأقوالهم ناصعة، مبتعدين في ذلك عن المجاملات والشقاق والنفاق؛ فقد يكون في ذلك التَّردي والأفول.

جاء عن أيوب بن زيد بن القَرِيَّة، أنه كان أعرابيًّا مقربًا عند الحجاج، بعثه إلى عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان، وخلعه ودعا إلى نفسه. فقال ابن الأشعث لابن القرية:" لتقومنَّ خطيبًا، ولتخلعن ابن مروان، ولتسبنَّ الحجاج أو لأضربن عنقك".

ففعل ابن القرية ذلك، وأقام عند ابن الأشعث، فلما قُتِل ابن الأشعث بدير الحجاج، جيء بابن القرية إلى الحجاج، فسأله عن أشياء كثيرة، فقال له الحجاج:" إن العرب تزعم أن لكل شيء آفة ". قال: " صدقت العرب، أصلح الله الأمير، آفة الحلم الغضب، وآفة العقل العجب، وآفة العلم النسيان، وآفة السخاء المنُّ عند البذل، وآفة العبادة الفَتْرة، وآفة الكرام مجاورة اللئام، وآفة الشجاعة البغي، وآفة المال سوء التدبير، وآفة الكامل من الرجال العدم".

قال الحجاج:"فما آفة الحجاج ؟" فقال:" لا آفة لمن كرم حسبه، وطاب نسبه، وزكا فرعه".

فقال الحجاج:"امتلأت شقاقًا، وأظهرت نفاقًا"، فأمر به فقدم وضربت عنقه .(١٧).

الحديث ذو شجون
الحارث بن كعب

حينما يتحدث البليغ ننصت، وإذا تكلم الفصيح نسكت، وإذا قال صاحب البيان نسمع، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "بكثرة الصَّمت تكون الهيبة"(١٨).

ويقول رضي الله عنه: "لسَان المؤمن من وراء قلبه، وقلب الكافر من وراء لِسَانه".(١٩). ويقول رضي الله عنه: "المرء بأصْغَريه قلبه ولِسانِه".(٢٠). ويقول رضي الله عنه: "بلاء الإنسان من اللسان".(٢١). كلمات كالدرر حري بمن عقلها، وأخذ بها أن يبلغ مراتب الكمال.

والحديث ذو شجون، أي: يجر بعضه بعضًا، وأول من قال هذا المثل ضَبَّة بن أدّ ابن طابخة بن إلياس بن مُضَر، وكان له ابنان، يقال لأحدهما: سَعْد، وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل فَوَجَّه ابنيه في طَلَبها، فتفرقا فوجَدَها سَعْد فردَّها، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب، وكان على الغلام بُرْدَانِ (كساء)، فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله، وأخذ بُرْدَيْه.

فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سَوَادًا قال: "أسَعْد أم سعيد ؟" فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة. فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجَّ فوافى سوق عُكَاظ فلقي بها الحارث بن كعب، ورأى عليه بُرْدَي ابنه سعيد فعرفهما فقال له: " هل أنت مُخْبِرِي ما هذان البردان

اللذان عليك ؟" قال:" بلى، لقيتُ غلاما وهما عليه فسألتهُ إياهما فأبى علي فقتلته وأخذتُ بُرْدَيه هذين".

فقال ضبة:" بسيفك هذا ؟"، قال:"نعم" فقال:"فأعْطِنِيه أنظر إليه فإني أظنه صارمًا"، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخَذَه من يده هَزَّهُ وقال: "الحديثُ ذو شجون"،ثم ضربه بِهِ حتى قتله، فقيل له: يا ضبة أفي الشهر الحرام ؟!"، فقال:" سَبَقَ السيف العذل" (٢٢). ولو ملك الحارث لسانه لما آل إلى هذا المصير، ولما اضطر ضبة إلى ارتكاب فعلته في الشهر الحرام، فقط إنه اللسان.

جُنُونُ
يعقوب بن الحرث

كثير من الناس يستعظمون زلة القدم واليد، ويستسهلون زلة العين واللِّسان، يؤمنون بما عملت أيديهم وأرجلهم، ويرتابون بما عملت لهم أعينهم وألسنتهم، يتذكرون نِعَم العين والأذن، ويتناسون نِقم اليد اللسان.

فحين يفقد الإنسان عقله يضل، وإذا ضل ضاع، وإذا ضاع جرَّ على نفسه الويلات، وأوردها المهلكات، ولن يتأتى ذلك إلا إذا فقد الإنسان السيطرة على نفسه، وترك كبح جماح لسانه.

وقد كان سبب قتل يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، أنه أتى إلى المهدي فاقرَّ بالزندقة، فقال:" لو كان ما تقول حقًّا لكنت حقيقًا إلا تتعصب لمحمد، ولولا محمد من كنت، أما والله لو لا أني جعلت على نفسي أن لا أقتل هاشميًّا لقتلتك، قم". ثم قال للهادي: "أقسمت عليك إن وليت هذا الأمر لتقتلنه"، ثم حبسه، فلما مات المهدي قتله الهادي.

وقيل: أُتي به وبابن لداود بن علي إلى المهدي فحبسهما لما أقرا له بالزندقة،أما يعقوب بن الفضل فقال له:" أقر بها بيني وبينك فأما أن أظهر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتني بالمقاريض"، فقال المهدي له:" ويلك لو كشفت لك السموات وكان الأمر كما تقول كنت حقيقًا أن تغضب

لمحمد، ولولا محمد رسول الله ﷺ من كنت !، أما والله لولا إني كنت جعلت على الله عهدًا إن ولأني أن لا أقتل هاشميًا لما ناظرتك"، ثم التفت إلى موسى الهادي فقال:" يا موسى: أقسمت عليك بحقي إن وليت هذا الأمر من بعدي أن لا تناظرهما ساعة واحدة".

فمات ابن داود بن علي في الحبس قبل وفاة المهدي، وأما يعقوب فبقي حتى مات المهدي وقدم موسى الهادي من جرجان فذكر وصية المهدي، فأرسل إلى يعقوب مَنْ ألقى عليه فراشًا، وأقعدت عليه الرجال حتى مات، ولهَا عنه ببيعته وتشديد خلافته، وكان الحر شديدًا، فبقي يعقوب حتى مضى من الليل وقت فقيل لموسى:" يا أمير المؤمنين إن يعقوب قد انتفخ وأروَح"، قال:" ابعثوا به إلى أخيه إسحاق بن الفضل فأخبروه أنه مات في الحبس".

فجعل في زورق وأتي به إسحاق فنظر فإذا ليس فيه موضع للغسل فدفنه في بستان له من ساعته وأصبح فأرسل إلى الهاشميين يخبرهم بموت يعقوب ويدعوهم إلى الجنازة وأمر بخشبة فعملت في حجم الإنسان فغشيت قطنًا وألبسها أكفانًا ثم حملها على السرير فلم يَشُك من حضرها أنه شيء مصنوع.

وهكذا انتهت حياته بسبب أقواله التي كان في غنى عن إعلانها بين الناس والاحتفاظ بها لنفسه إن كان لا بد من بلاء وابتلاء .(٢٣).

البَحث عن الموت
الربيع بن يونس

اجتمع أربعة ملوك فرموا رمية واحدة بكلمة واحدة، قال أحدهم:"أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل"، وقال الثاني:" إنِّي إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولا أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها، ولم تملكني". وقال الثالث:" عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه"، وقال الرابع:" أنا على ردِّ ما قلت" (٢٤).

ومن فضول الكلام أن يتحدث الإنسان فيما لا يعنيه، أو يجنح به لسانه إلى ما لا يُحمد من الكلام، أو يُستحسن من الحديث.

فقد رأى المنصور يومًا في بستانه شجيرة من شجر الخلاف فلم يدر ما هي، فقال:" يا ربيع ما هذه الشجرة ؟" فقال الربيع: "إجماع ووفاق" ، وكره أن يقول: خلاف.

فاستعقله المنصور واستحسن قوله. ولم يزل الربيع بن محمد بن يونس وزيرًا للمنصور إلى أن مات المنصور، وقام الربيع بأخذ البيعة للمهدي، وهو آخر وزراء المنصور، ثم قتله الهادي بعد ذلك.

وكان سبب قتله أنه أهدى جارية حسناء إلى المهدي بن المنصور، فوهبها المهدي لابنه موسى الهادي، فغلب حبها عليه فتزوجها وأنجب منها أولاده.

فلما صار الهادي خليفة المسلمين سعى إليه أعداء الربيع، وقالوا له: "إنه إذا رأى بنيك، قال: والله ما وضعت بيني وبين الأرض أطيب من أمِّ هؤلاء"، فعظم ذلك على الهادي وعلى بنيه وعلى الجارية أيضًا، فدعاه الهادي إلى مأدبة غداء، وناوله قدحًا فيه عسل مسموم فشربه فمات ليومه.(٢٥).

وأنا لا أدرى هل قال الربيع هذا القول حقيقة أم قيل بالنيابة عنه ووشي به إلى الخليفة الهادي مكذوبًا، وأيًّا كان ذلك فإن سبب قتله لسانه.

إن النماذج الحقيقية في تربية اللسان نجدها في سيرة سلفنا الصالح منها كقول مورن العجلي رحمه الله:"تعلمت الصَّمت في عشر سنين، وما قلت شيئًا قط – إذا غضبت – أندم عليه، إذا زال غضبي"(٢٦). وقول محارب رحمه الله:"صحبنا القاسم بن عبد الرحمن فغلبنا بطول الصمت، وسخاء النفس، وكثرة الصلاة"(٢٧). وقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : "إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة"(٢٨).

الألقاب لا تغني شيئًا
ذو الكفايتَين

كان أبو الفتح علي بن محمد بن العميد أديبًا فاضلاً بليغًا، ولي الوزارة في عهد بن بويه، ثم ابنه مؤيد الدولة، وقد اقتدى بأبيه في علو الهمة، وبُعد الشأو في الكرم والفضل، لقبَّه عضد الدولة بذي الكفايتين، كفاية السيف، وكفاية القلم.

ولكن حين حاد لسانه عن جادة الصواب رسم خطوط هلاكه، فحين مات أبوه سنة ٣٣٠هـ قام مقامه في وزارة ركن الدولة، وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة، وألقى ركن الدولة مقاليده إليه، وعوَّل في تدبير السيف والقلم عليه.

ولما جرى لعز الدولة ما جرى مع غلامه سَبَكتَكين من خلاف وحروب أرسل إلى عمه ركن الدولة يستعين به، وأمر على أبي الفتح بالمضي إلى شيراز، والمسير في صحبة ولده عضد الدولة لإنجاد عز الدولة. فدخلوا بغداد وانتصروا على سَبَكتَكين وقتلوه، وأجلوا أصحابه عنها، وطمع عضد الدولة فيها، وكاتب أباه بمفارقتها وتسليمها إلى عز الدولة، وكتب ركن الدولة إلى أبي الفتح بالقيام بذلك، والتكفل به، حتى يفارق عضد الدولة بغداد، فتشدد ابن العميد في ذلك على عضد الدولة، وخاطبه فيه مخاطبات حقدها عضد الدولة عليه.

ولما رجع عضد الدولة قال لابن العميد: " ما حظيت من ورودي إلى بغداد بفائدة، وقد أطلقت بسببها أموالاً صامته لا تحصى"، فقال له ابن العميد: " ما سلم من الأعطيات سلطان، ولا خلا من النفقات مكان، ولو استقصيت مقدار ما فرقته لكنت مبذرًا".

فقال له عضد الدولة: " أما أنت فقد شرف قدرك، وعلا ذكرك، كنَّاك خليفة الله في أرضه، ولقبك، فأنت ذو الكفايتين أبو الفتح، فأعظم بذلك من فخرٍ يبقى بقاء النيرين، ويدوم دوام العصرين"، ولما مات ركن الدولة، وقام مقامه بالري ونواحيها ابنه مؤيد الدولة بن بويه، كان الصاحب بن عباد وزيره، فخلع على ابن العميد واستوزره.

وكان ابن العميد قد كَرِه موضعه عند عضد الدولة فبعث الجند على الشغب، وهمّوا بالاقتتال، فأمر مؤيد الدولة بالعودة إلى أصبهان، وأسرَّ في نفسه أشياء كثيرة، فكتب عضد الدولة إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره بالقبض على ابن العميد، واستصفاء أمواله وتعذيبه.

فقبض عليه، وحمله إلى بعض القلاع، وبدرت منه كلمات في حق عضد الدولة، نُميَت إليه فزادت من استيحاشه منه، فأنهض من حضرته من تكفل بتعذيبه، واستخراج أمواله، والتنكيل به، فأول ما عمل به أن سُملت إحدى عينيه، ثم نكّل به، وجزت لحيته، وجُدع أنفه، وعذب حتى قتل سنة ٣٣٦هـ .(٢٩).

فَسادُ الرَّأيِ مَوتٌ
مُستشارو عمرو

كان حسان بن تُبَّع أحول أعسرًا بعيد الهمة، شديد البطش، طاف في الأقاليم وفتحها، ولم يقف في وجهه أحدٌ لقوة بطشه وهيبته، حتى وصل بهم إلى خراسان، ثم مضى إلى المغرب، حتى بلغ رومية، وخلف عليها ابن عم له.

وأقبل إلى أرض العراق حتى إذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حِميَر:" ما لنا نفني أعمارنا مع هذا نطوف في الأرض كلها، ونفرق بيننا وبين بلدنا وأولادنا، وعيالنا وأموالنا، فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا".

فكلموا أخاه عمرًا، وقالوا له:"كلِّم أخاك في الرجوع إلى بلده وملكه"، قال:" هو أعسر من ذلك وأنكر"، فقالوا:" اقتله، ونُملِّكك علينا، فأنت أحق بالملك من أخيك، وأنت أعقل وأحسن نظرًا لقومك".

فقال:" أخاف ألا تفعلوا، وأكون قد قتلت أخي، وخرج المُلك عن يدي"، فواثقوه العهد حتى اطمأن على قولهم، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلا ذو رُعين بن سهل، فإنَّه خالفهم، وقال:" ليس هذا برأي، يذهب الملك من حِميَر".

فشجعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رُعين:"إن قتلته باد ملكك". فلما رأى ذو رُعين ما أجمع عليه القوم، أتاه بصحيفة مختومة، فقال:" ياعمرو: إني مستودعك هذا الكتاب فضعه عندك في مكان حريز"، وكتب فيه:

ألا مَنْ يَشْتري سَهرًا بنَومٍ   سعيدٌ من يبيتُ قريرَ عينِ
فإنْ تكُ حميرٌ غَدَرت وخانتْ   فمعذرة الإله لذي رُعين

ثم إن عمرًا أتى حسان أخاه وهو نائم على فراشه، فلما أراد قتله قال له حسان:

يا عمرو لا تعجل علي منيتي   فالملك تأخذه بغير حشود

فأبى إلا قتله فقتله، واستولى على ملكه، فلم يبارك فيه، وسلط الله عليه السهر، وامتنع منه النوم، فسأل الأطباء والكهان، فقال كاهن منهم:" إنه ما قتل أخاه رجلٌ قط إلا مُنِع نومه".

فقال عمرو:"هؤلاء رؤساء حمير حملوني على قتله؛ ليرجعوا على بلادهم، ولم ينظروا إليَّ ولا لأخي"، فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله، فقتلهم رجلاً رجلاً، حتى خلص إلى ذي رعين، وأيقن بالشر.

فقال له ذو رعين:"ألم تعلم أني أعلمتك ما في قتله، ونهيتك وبينت هذا؟"،قال:"وفيم هو؟"، قال:" في الكتاب الذي استودعتك"، فدعا الملك بالكتاب، فقرأه، فإذا فيه البيتان، فلما قرأهما قال:" لقد أخذت بالحزم"، وأحسن جائزته قال:" إني خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابي"(٣٠).

تَقليدٌ وفَنَاءٌ
الشّلمغاني

هو أبو العذافر، محمد بن علي الشلمغاني، وشلْمَغانُ التي يُنسب إليها قرية بنواحي واسط، تنسب إليه فرقة العذافرة، التي ظهرت دعوتها في أيام الراضي بن المقتدر.

بقي في واسط ثم انحدر إلى بغداد واستتر فيها مدة، ثم أظهر دعوته. كان من أهل الطلب والعلم، واُشتهر بفطنته وسرعة حفظه، غير أنه تجاوز في توهماته فكان هلاكه أقرب إليه من أدواته وأوراقه.

لم يكن له سلطان على لسانه، فظهر عنه في بغداد أنّه يدّعي لنفسه الربوبيّة، وأن روح الإله قد حلت فيه، وكان يسمي نفسه روح القدس، ووضع لأصحابه كتابا سماه" الحاسة السادسة".

وشاع أنه يدعي الآلهية، وأنه يحيي الموتى، وأباح لأتباعه اللواطة في ذلك الكتاب، وكانوا يبيحون له حُرَمهم، وكانوا يقولون أنه إذا ألم بشخص وصل نوره إليه .

أحدث مذهبًا غاليًا في التشيع والتناسخ، وحلول الإلهيّة فيه، وكان من مذهبه أنّه إله الآلهة يحقّ الحقّ، وغير ذلك مما يحكيه .

وأوهم كلّ واحد من أشياعه أنّه ربّ لمن هو في دون درجته، وأنّ الرجل منهم يقول: أنا ربٌّ لفلان، وفلان ربٌّ

لفلان، وفلان ربّ ربّي، حتّى يقع الانتهاء إليه، فيقول: أنا ربّ الأرباب، لا ربوبيّة بعده.

وحين نما علمه إلى الخليفة العباسي الراضي بالله، قبض عليه، وسجنه ثم قتله وظفر بجماعة من أتباعه سنة ٣٢٢ هـ فقتلهم .(٣١).

التلميذ الشقيُّ
ابن أبي عَون

كان أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي عون من طلاب الشَّلمغاني، وكان كاتبًا مشهورًا، وطالبًا ألمعيًّا؛ طلب العلم، وواظب على حضور مجالس العلم، وبزَّ كثيرًا من أقرانه، وكان من أهل الأدب، وتأليف الكتب، ولم يكن فيه منقصة غير التهور والضلال، وأنه لم يحفظ لسانه فأورده المهالك، ولم يُقدِّر علمه فكان هلاكه.

أُخذ عليه أنه كان يغلو في أمر شيخه أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، ويدعي أنه إلهه – تعالى الله عن ذلك – كما أنه ادعى الربوبية وتمرد على الله ﷻ في بعض أقواله، كانت صورته صورة الحلاج، وكان له قوم يدعون إنه إلههم، وأنه روح الله – عز وجل – حلَّ في آدم، ثم في شيث، ثم في واحد واحد من الأنبياء، والأوصياء، والأئمة.

ولم يقف الأمر عند ذلك، فتمادى في اعتقاده حتى ظن أنه حلَّ في الحسن بن علي العسكري، وأنه حل فيه، ووضع كتابًا في ذلك سماه "التشبيهات". وارتكب جنحة عظيمة حين أباح الزنا والفجور، وكان قد استغوى جماعة من الناس، فظفر به الراضي بالله، فأمر به، وضُرب بالسوط، ثم ضربت عنقه، وصلب، ثم أحرقت جثته سنة ٣٢٢هـ . (٣٢).

اِعتِبارُ
ابن مقلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بنْ الحسين بن مقلة، ولد في بغداد، من الشعراء الأدباء، عُرِف بجودة الخط، وبه ضُرب المثل.

كان أوحد الدنيا في الكتابة، فلم يكن ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع، قال عنه الثعالبي: "من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء". وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس

قتله أدبه بعد أن تجاوز حدود العقل، فقد استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦ هـ ، ثم غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس، واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠ هـ، فعاد به من بلاد فارس، ولم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله فاختبأ، ثم استوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢هـ ، ثم نقم عليه سنة ٣٢٤هـ ، فسجنه مدة، وأخلى سبيله، ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد.

وحين ولي ابن مقلة إمارة بغداد، كانت ولايته ضعيفة جدًّا، وليس له من الأمر شيء، غير أنه لم يعرف قدر نفسه آنذاك، فطلب من محمد بن رائق والي شرطة بغداد للمقتدر أن يفرغ له عن أملاكه، فجعل يماطله.

فغضب عليه وكتب إلى أحد الخارجين يطمعه في بغداد، وأن يكون عوضًا عن ابن رائق، وكتب ابن مقلة إلى الخليفة الراضي بالله يطلب منه أن يسلم إليه ابن رائق، وابن مقاتل، ويضمنهم بألفي دينار، فبلغ ابن رائق ذلك فأخذه فقطع يده، وقال:"هذا أفسد في الأرض". فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به.

فجعل ابن مقلة يحسن للراضي أن يستزوره، وأن قطع يده لا يمنعه من الكتابة، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة، فيكتب بها.

فبلغ ابن رائق ذلك، وأنه قد تقدم إلى أحد الخارجين على الخلافة بما تقدم، في دعوتهم إلى الخروج عليه، فأخذه فقطع لسانه ثم سجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد، وتعب مرير، فكان يستقي الماء بيده اليسرى، ويمسك الحبل بفمه، إلى أن مات في سجنه سنة ٣٢٨هـ . (٣٣).

قيل لرجل:"بم سادكم الأحنف ؟ فوالله ما كان بأكبركم سنًا، ولا بأكثركم مالاً، فقال: بقوة سلطانه على لسانه"(٣٤). وقال وهب بن الورد رحمه الله:"الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس "قال:" فعالجت نفسي على الصمت فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس "(٣٥).

همز
محمد بن إسماعيل

آفات اللسان لا تعادلها آفات عضو آخر من أعضاء الجسم، فمن آفاته: الكذب، والوعد الكاذب، والغيبة، والنميمة، والمزاح، والمراء، والجدال، والغش، والقول البذيء، والكلام فيما لا يعني،

وفضول الكلام، واللعن، والسخرية، والاستهزاء، والحلف الكاذب، والخوض في الباطل، والتقعر، والتشدق، والتكلف في الكلام، والغناء، وسواقط الكلام، والنفاق، وشهادة الزور، والذم... وغيرها كثير.

ويستحق كل واحد منها الحذر من الوقوع في مساوئه، ولا علاج لهذا الداء إلا الصمت، فعلى المؤمن أن يراقب كلامه، ولا يتكلم إلا بعد رويَّة وتفكر، وعليه ألا يستهين بالكلمة، فربَّ كلمة أحدثت فتنة، وربَّ فتنة تسببت في إزهاق أرواح، ألا تستحق مثل هذه الكلمة أن يهوي صاحبها في جهنم.

ذُكِر عن الشيخ أبي الفضل بن إسماعيل فخر الدين الحنبلي أنه كان عالمًا فاضلاً، تقيًا ورعًا، محمود السيرة، طاهر البريرة، تصدى للتدريس والفتيا، وكان له حلقة بجامع الخليفة، وكان يلي النظر في قرايا الخليفة ثم عُزل، فلزم بيته فقيرًا لا شيء له إلى أن مات رحمه الله.

غير أن ولده محمد كان مدبرًا، شيطانًا مريدًا، كثير الهجاء، والسعاية بالناس إلى أولياء الباطل، فقبض عليه، وقطع لسانه، وحبس إلى أن مات.(٣٦).

بَلاءٌ
أبو الطيب الفَوّي

جاء عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه يطيل السكوت، فإذا تكلم ربما انبسط، فأطال السكوت ذات يوم، فقيل له: "لو تكلمت"، فقال: "الكلام على أربعة وجوه: فمن الكلام كلام ترجو منفعته، وتخشى عاقبته، والفضل في هذا السلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته، ولا تخشى عاقبته، فأقل مالك في تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام ترجو منفعته، وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره " ألا تراه أسقط ثلاثة أرباع الكلام.(٣٧).

وجاء عن أبي الطيب بن علي بن أحمد الفوَّي أنه كثير القراءة والسماع، طلب العلم على يد أبيه، وتفقه قليلاً على غيره، غير أنه كان من أصحاب الفخر، وكثرة الخوض فيما لا يعني.

تدخل في أمر الدولة، ولم يأبه بأمر نفسه، فخاض في الباطل، وحاد لسانه على الصواب فقطع، ثم قطعت بقية أعضائه، ثم قتل عن أربعين سنة . (٣٨).

مِحنَة
ابن مُقَلد

من الأدب النبوي الجمّ قوله ﷺ:"لاتُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرةَ الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوةٌ للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي"(٣٩). وقوله ﷺ: "إنَّ أحدكم ليتكلَّمُ بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتُبُ الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإنَّ أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أنْ تبلغَ ما بلغت فيكتُبُ الله بها سخطه إلى يوم يلقاه"(٤٠). فنسأل الله العفو والعافية .

قيل: كان علاء الدين علي بن مُقَلد صاحب العرب بدمشق، وكان أسمرَ طويلاً، يتحنك بعمامته، ويتقلد بسيفه زي العرب، قدمه الأمير سيف الدين تُنْكُز رحمه الله وأهَّله لهذه الوظيفة وصار عنده مكينًا، فكان الآمر الناهي في ديوان الخلافة، والتصرف في أمور الولاية.

يقول عن نفسه:" توجَّهتُ إلى الرَّحْبَة في شغل، فعدتُ وقد حصل لي ثمانية عشر ألف درهم ". وكان يسأل عنه ناصرَ الدين دوادارَ، ويتتبع سقطاته، وحكى للأمير عنه قوله:" إن هذا ابن مقلَّد ما يعجبني حاله، وربما إنَّه يشرب؛ فيقول: ما أظنُّ ذلك، ولا يقدر يفعل ذلك". وحاجَّه فيه مرّاتٍ.

فلما كانت واقعة حمزة التُّركماني، ودخوله إلى تُنْكُز، ورميه لناصر الدين الدوادار وجماعته، خرج لوالي

دمشق وقال:" أريد أن تكبس ابن مقلّد"، فكبسه في تلك الليلة، وعنده جماعة نسوة وحُرَفاؤهنّ، فلما أصبح دخل حمزة إليه، وعرَّفه الصورة، فأحضر الدوادار وأنكر عليه، ووبَّخَهُ وعنَّفه، وكان ذلك أول سبب للإيقاع به.

بعدها فقد ابن مقلد السيطرة على لسانه فلم تنفعه منزلته ومكانته، فقد أحضره الأمير أمامه، حينما تكلم بما لا يليق وعرفه ما كان منه، ثم قتله بالمقارع قتلاً عظيمًا، وقطع لسانه، وسجنه في سجن القلعة، بعدما سلب النعمة التي كان فيها، وذلك في سنة ٧٣٣هـ .(٤١).

اِستِكبَارٌ
محمود بن إبراهيم

جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله:" أستشهد غلامٌ منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئًا لك يا بُني الجنة". فقال النبي ﷺ: "وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع مالا يضره"(٤٢).

وسمع أحد الحكماء صوت طائر بالليل، فتحداه بسهم وهو لا يراه، إلا أنَّه تتبع الصوت فصرعه، فلما صار بين يديه قال:" والطير لو سكت كان خيرًا له، فما أدنى منيته وجلب ميتته إلا لسانه" (٤٣).

وإذا فسدت الأخلاق فلا خير يُرجى، ولا نفع يُنتظر، وإذا فلت اللسان فقد دنت المنية، ومما رُوي أنه وجد رجلٌ بالجامع الأموي اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازي يسب الشيخين (أبو بكر وعمر رضي الله عنهما) ويصرح بلعنهما، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبي عمر ثم ظهر عليه الرفض فسجنه الحنبلي أربعين يومًا فلم ينفع ذلك وما زال يصرح في كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه في الجامع وكان سبب قتله.

فرفع إلى القاضي المالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي فاستتابه عن ذلك، وأحضر الضراب فأول ضربة قال لا إله إلا الله علي ولي الله، ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر

وعمر رضي الله عنهما فابتدره الناس فأوسعوه ضربًا مبرحًا بحيث كاد يهلك، فجعل القاضي يستكفهم عنه فلم يستطع ذلك.

فجعل يسب ويلعن الصحابة ويقول" إنهم كانوا على ضلال، فعند ذلك حمل إلى نائب السلطة وشهد عليه قوله، فرفع أمره إلى القاضي، فاستتابه، فلم يكف، فجعل يلعن الصحابة، ويدعي أنهم كانوا على ضلال، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه فأخذ إلى ظهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة .(٤٤).

جَهلُ
ابن المقفع

وممن قتلهم أدبهم، وفتك بهم لسانهم، البليغ المشهور عبد الله بن المقفع، فقد كان مجوسيًّا فأسلم، واسم أبيه رادويه، وهو الذي نقل كليلة ودمنه إلى العربية، ولد في العراق، وتكنى بعد إسلامه بأبي محمد، وتسمى بعبد الله، قال عنه الخليل بن أحمد: "ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله". مِن حكمه أنه قال: "احرص على أن توصف بأنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب؛ ليكون ذلك أدوم لخوف الخائف، ورجاء الراجي".

حكى الجاحظ:" أن ابن المقفع، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، كانوا يتهمون بالزندقة"، ويقال: إن ابن المقفع مرَّ ببيت نار المجوس، فتمثل بأبيات عاتكة:

يا بيتَ عاتكة الـذي أتعـزلُ ... حِذَر العِدى وبـه الفـؤاد مُوكّـل
إنّي لأمنحكَ الصَّـدود وإنـني ... قسمًا إليك مـع الصُّـدود لأميـلُ

ونقل عن ابن المهدي أنه قال:" ما رأيت كتابًا في زندقة إلا هو أصله" وقُتِل بالبصرة بأمر المنصور سنة ١٤٤هـ.

وسبب ذلك أن عبد الله بن علي عم أبي جعفر المنصور، خرج من الشام بعد موت أبي العباس السفاح، وادَّعى أن السفاح عهد إليه بالخلافة، وغلب على دمشق، فكان أميرها.

فجهز إليه أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه، فهرب ودخل البصرة، فاستأمن له أخواه عيسى وسليمان أبا جعفر المنصور فآمنه فبحث عبد الله بن علي عن من يرتب له كتاب أمان لا يستطيع المنصور نقضه، فدُل على ابن المقفع.

وكان ابن المقفع كاتب سليمان أمير البصرة، فكاتبه وأغراه بالمال، وأمره أن يكتب كتاب أمان، لا يستطيع المنصور نقضه ،فكتب نسخة الأمان، ومن جملته: "ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فرقيقه أحرار، ونساؤه طوالق، والمسلمون في حلٍّ من بيعته".

فلما قرأه أبو جعفر المنصور اشتد عليه، وكان قد أضمر الوقيعة بعمه، فأُخبر فيما بعد أن كاتبَ كتاب الأمان هو ابن المقفع، وعلم ما جرى بينه وبين عمه،فأمر سفيان بن معاوية المهلبي أمير البصرة أن يقتل ابن المقفع. وكان سفيان يعادي ابن المقفع، فوجدها فرصة مناسبة للوقيعة به، فاحتال عليه فقتله، سنة ١٤٢هـ .

فاستعدى عليه سليمان إلى المنصور فأحضر الشهود ليشهدوا أنه قتله فقال لهم المنصور: "إن قبلت شهادتهم وقتلت سفيان فخرج ابن المقفع من هذا الباب ما أصنع بكم ؟"، فرجعوا في الحال عن الشهادة وبطل دم ابن المقفع . (٤٥)

تَهَوُّرُ
ابن عطية

اتصل أبو جعفر بن أحمد بن عطية بعلي بن يوسف في آخر أيامه وكتب له،ثم كتب لابنه تاشفين بن علي بن يوسف، فلما انقرض أمرهم هرب وغير هيئته، وتشبه بالجند.

كان محسنًا للرمي، وخرج مع الجند الذين خرجوا إلى بلدة "سوس" لقتال ثائر قام هناك، فلما انهزم أصحاب ذلك الثائر، وقتل هو وانفضت تلك الجموع كتب أبو جعفر إلى عبد المؤمن العلوي من أمراء دولة الموحدين، رسالة في شرح المعركة أجاد في أكثرها، فلما بلغت الرسالة عبد المؤمن استحسنها واستدعى أبا جعفر هذا واستكتبه وزاده إلى الكتابة الوزارة لما رأى من شجاعة قلبه وحصافة عقله.

كان يعرف بالمقرب؛ لشدة تقريب عبد المؤمن إيَّاه، كان كاتبًا مجيدًا مشهورًا، جمع بين الوزارة والكتابة، وعُدَّ في الكتاب والوزراء فلم يزل وزيره إلى أن قتله سنة ٥٥٣ هـ .

وسبب قتله أنه كانت عنده بنت أبي بكر بن يوسف بن تاشفين، التي تعرف ببنت الصحراوية، وأخوها يحيى، فارس المرابطين المشهور بيحيى ابن الصحراوية، فحظي يحيى هذا عند الموحدين وقودوه على الجيوش، وأمَّروه على بعض البلدان.

ولم يزل وجيهًا عندهم مكرمًا لديهم إلى أن نُقلت عنه إلى عبد المؤمن أشياء كان يفعلها وأقوال كان يقولها

أحنقته عليه، فتحدث عبد المؤمن ببعض ذلك في مجلسه، وربما هم بالقبض على يحيى هذا، فرأى الوزير أبو جعفر أن يجمع بين المصلحتين من نصح أميره، وتحذير صهره، فقال لامرأته أخت يحيى المذكور: "قولي لأخيك يتحفظ، وإذا دعوناه غدًا فليعتل، ويظهر المرض، وإن قدر على الهروب واللحاق بجزيرة "ميرقة" فليفعل".

فأخبرته أخته بذلك، فتمارض وأظهر أن ألمًا به، فزاره وجوه أصحابه، وسألوه عن علته فأسر إلى بعضهم - ممن كان يثق به - ما بلغه عن الوزير، فخرج ذلك الرجل الذي أُسر إليه، فنقل الخبر كله بجملته إلى رجل من ولد عبد المؤمن، فكان هذا هو السبب الأكبر في قتل أبي جعفر، وأمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بتقييد يحيى المذكور وسجنه، فكان في سجنه إلى أن مات .(٤٦).

النهاية المؤسفة
مَرداويج الديلمي

كان مَرداويج الديلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها ملكًا شديد البطش، قوي الشكيمة، لا يتجرأ أحدٌ على مناقشته، غير أنه كغيره من المغفلين، والحمقى ممن لا يزنون الكلمات، ولا يراعون العبارات، فكانت نهايتهم مؤسفة.

كان كثير الإساءة للأتراك، ويدعي أن روح سليمان بن داود عليه السلام حلت فيه، وأن الأتراك هم الشياطين والمردة، فإن قَهَرهم وإلا أفسدوا في الأرض، فثقلت وطأته عليهم، وتمنوا هلاكه.

فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة وهي ليلة الوقود أمر بأن يجمع الحطب من الجبال والنواحي، وأن يجعل على جانبي الوادي المعروف بـ"زندروذ" كالمنابر والقباب العظيمة، ويعمل مثل ذلك على الجبل المعروف بـ"كريم كوه" المشرف على أصبهان من أسلفه إلى أعلاه بحيث إذا اشتعلت تلك الأحطاب يصير الجبل كله نارًا .

وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي هناك وأمر بعمل من الشموع ما لا يحصى وصيد له من الغربان والحدأ زيادة على ألفي طائر ليجعل في أرجلها النفط وترسل لتطير بالنار في الهواء، وأمر بعمل سماط عظيم كان من جملة ما فيه مائة فرس ومائتان من البقر مشوية صحاحًا، سوى ما شوي من الغنم فإنها كانت ثلاثة آلاف رأس، سوى المطبوخ

وكان فيه من الدجاج وغيره من أنواع الطير زيادة على عشرة آلاف عدد ، وعمل من ألوان الحلواء ما لا يُحد.

وعزم على أن يجمع الناس على ذلك السماط فلما فرغوا من أكلهم قام إلى مجلس الشراب وأمر بالنيران فأُشعلت وجعل يتفرج، فلما كان آخر النهار ركب وحده وغلمانه يمشون حوله على أرجلهم وطاف بالسماط ونظر إليه وإلى تلك الأحطاب فاستحقر الجميع لسِعَة الصحراء وتضجر وغضب ولعن من صنع ذلك ودبَّره فخافه من حضر فعاد ونزل ودخل خيمة له فنام فلم يجسر أحد أن يكلمه واجتمع الأمراء والقواد وغيرهم وأرجفوا عليه، فمن قائل: إنه غضب لكثرته لأنه كان بخيلا، ومن قائل إنه قد اعتراه جنون، وقيل: بل أوجعه فؤاده وقيل غير ذلك وكادت الفتنة تثور.

وعرف العميد وزيره صورة الحال فأتاه ولم يزل حتى استيقظ وعرَّفه ما الناس فيه، فخرج وجلس على الطعام وأكل ثلاث لقم ثم قام ونهب الناس الباقي، ولم يجلس للشراب وعاد إلى مكانه وبقي في معسكره بظاهر "أصبهان" ثلاثة أيام لا يظهر، فلما كان اليوم الرابع تقدم بأسراج الدواب ليعود من منزلته إلى داره بأصبهان فاجتمع ببابه خلق كثير، وبقيت الدواب مع الغلمان وكثر صهيلها ولعبها والغلمان يصيحون بها لتسكن من الشغب وكانت مزدحمة، فارتفع من الجميع أصوات هائلة وكان مرداويج نائمًا فاستيقظ فصعد فنظر فرأى ذلك فسأل فعرف الحال فازداد

غضبا وقال:" أما كفى من إخراق الحرمة ما فعلوه في ذلك الطعام وما أرجفوا به حتى انتهى أمري إلى هؤلاء الكلاب".

ثم سأل عن أصحاب الدواب فقيل: إنها للغلمان الأتراك وقد نزلوا إلى خدمتك فأمر أن تحط السروج عن الدواب وتجعل على ظهور أصحابها الأتراك، وأن يأخذوا بأرسان الدواب إلى الإسطبلات ومن امتنع من ذلك ضربه رجاله بالمقارع حتى يطيع ففعلوا ذلك بهم، وكانت صورة قبيحة يأنف منها أحقر الناس.

ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الأتراك حتى صار إلى داره قرب العشاء وكان قد ضرب قبل ذلك جماعة من أكابر الغلمان الأتراك فحقدوا عليه وأرادوا قتله فلم يجدوا أعوانًا فلما جرت هذه الحادثة انتهزوا الفرصة، وقال بعضهم: "ما وجه صبرنا على هذا الشيطان ؟". فاتّفقوا وتحالفوا على الفتك به، فدخل الحمّام، وأمر حرسه بالحضور لحراسته، فتأخرّوا عنه ، فقام مغضباً، ولشدة غضبه لم يأمر أحدًا أن يحضر حراسته.

وكان له خادم أسود يتولى خدمته بالحمّام فاستمالوه فمال إليهم، فأمروا الخادم ألاّ يحمل معه سلاحًا، وكانت العادة أن يحمل معه خنجرًا طوله نحو ذراع، ملفوفًا في منديل، فلمّا قالوا ذلك للخادم قال:" ما أجسر" فاتّفقوا على أن يكسروا حديد الخنجر ويتركوا النصاب في الغلاف بغير حديد، فلفّوه في المنديل كما جرت العادة لئلاّ ينكر الحال.

فلمّا دخل مُرداويج الحمّام فعل الخادم ما قيل له، وجاء خادم آخر، وهو رئيس داره، فجلس على باب الحمّام، فهجم الأتراك إلى الحمّام، فقام رئيس داره ليمنعهم، وصاح بهم، فضربه بعضهم بالسيف فقطع يده، فصاح بالأسود وسقط.

سمع مرداويج الضجة، فبادر إلى الخنجر ليدفع به عن نفسه، فوجده مكسورًا، فأخذ سريرًا من خشب كان يجلس عليه إذا اغتسل، فترّس به باب الحمّام من الداخل، ودفع الأتراك الباب، فلم يقدروا على فتحه، فصعد بعضهم إلى السطح، وكسروا الجامات (الزجاج) ورموه بالنشاب، فدخل البيت الحارّ، وجعل يتلطّفهم، ويحلف لهم على الإحسان، فلم يلتفتوا إليه، وكسروا باب الحمّام ودخلوا عليه فقتلوه، فمات ميتة شنيعة، فلما قتلوه بادروا فأعلموا أصحابهم فركبوا ونهبوا قصره وهربوا ولم يعلم بهم رجاله .(٤٧)

فمسكين من لم يعقل قول الرسول ﷺ: "كلُّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمرٌ بمعروفٍ، أو نهيٌ عن منكرٍ، أو ذكرٌ لله تعالى"(٤٨). ولن ينجو أحد من شرِّ لسانه إلا إذا قيَّده بلجام الشرع، فيكفيه عن كل ما يخشى عاقبته في الدنيا والآخرة ، ولا أبلغ من قوله ﷺ: "من صمتَ نجا"(٤٩).

فخرٌ جرَّ الفناء
رجل من طيئ

نزل المُكَّاء وهو رجل من بني الحارث بن ذهل بن شيبان ضيفًا على رجل من طيئٍ من بني حية ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سكر الطائي قال:"هلم أفاخرك، أبنو حية أكرم أم بنو شيبان ؟". فقال له الشيباني:"حديث حسن، ومنادمة كريمة أحب إلينا من المفاخرة"، فقال الطائي:" والله ما مد رجل قط يداً أطول من يدي" ومد يده . فقال الشيباني:" أما والله لئن أعدتها لأخضبنها (أقطعها) من كوعها".

فرفع الطائي يده، فضربها الشيباني بسيفه فقطعها وقتله وخرج هاربًا، وافتخر بنو شيبان بذلك. فقال أبو زبيد في ذلك:

خَبَّرتنا الرُكبانُ أن قَد فَخَرتُم ... وَفَرِحتُم بِضَربَةِ المُكّاءِ
وَلَعَمري لَعارُها كانَ أَدنى ... لَكُم مِن تُقىً وَحَقٍّ وفاءِ
حَلَّ ضَيفًا أَخوكُمُ لأَخينا ... في صَبوحٍ وَنَعمَةٍ وَشَواءِ
ثُمَّ لَما رَآهُ رانَت بِهِ الخَمـ ... ـرُ وَأَن لا يَريبُهُ باتّقاءِ
لَم يَهَب حُرمَةَ النَديمِ وَحُقَّت ... يالِقَومي للسَوأَةِ السَوآءِ
شامِذاً تَتَّقي المُبسَّ عَنِ المُر ... يَةِ كَرهًا بالصِرفِ ذي الطُلاءِ
كُلَّ سَجحاءَ كَالقَناةِ قَرون ... وَطُوالِ القَرا هَزيمُ الذَكاءِ
أَصبَحَت حَربَنا وَحَربُ بَني الحا ... رِثِ مَشبوبَةً بِأَغلى الدِماءِ
وَحَملناهُم عَلى صَعبَة زو ... راءِ يَعلونَها بِغَيرِ وِطاءِ

فَاصــــدِقوني أَســــوقَةٌ أُمَّ مُلــــوكٌ ... أَنـــتم؟ وَالمُلــــوكُ أَهـــلُ عَـــلاءِ

أَبَـــديءٌ أَن تقتلـــوا إِذ قَتَلـــتُم ... أَم لَكُـــم بَســـطَةٌ عَلـــى الأَكفـــاءِ

أَم طَمِعـــتُم بِـــأَن تُريقـــوا دِمانـــا ... ثُـــمَّ أَنُـــتم بِنَجـــوَةٍ في السَـــماءِ

فَلَحـــا اللهُ طالِـــبَ الصُـــلحِ مِّنـــا ... مـــا أَطـــافَ المُـــبسِ بِالـــدَهناءِ

وَلَحا الأَجـــزَعَينِ في أَثَـــرِ القَتلـــى ... وَلا أَظهَـــروا عَلـــى الأَعـــداءِ

إِّننـــا مَعشَـــر شَـــمائِلَنا الصَبـــ ... ـــر ودفعُ الأَسى بِحُســـنِ العَـــزاءِ

وَلَنـــا فَـــوقَ كُـــلِّ مَجـــدٍ لِـــواء ... فاضِـــل في التَمـــامِ كُـــلِّ لِـــواءِ

فَـــإِذا مـــا اســـتَطَعتم فاقتِلوُنـــا ... مَن يُصـــبِ يَـــرتَهن بِغَيْـــرِ فِـــداءِ

(٥٠).

الملك الضِّليل
امرؤ القيس (١٣٠-٨٠ ق هـ)

امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار، من أشهر شعراء العرب في الجاهلية، أصله من اليمن، وولد بنجد، كان أبوه ملك بني أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر الذي لقنَّ امرأ القيس الشعر صغيرًا، فقاله وهو غلام، وراح يشبب به ويلهو، ويعاشر صعاليك العرب.

بلغ ذلك أباه فنهاه عن سيرته فلم يأبه لكلام أبيه، فأبعده إلى حضرموت موطن أبيه وعشيرته "دمُّون" فجعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب يشرب ويغزو، ويلهو زهاء خمس سنين إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه الخبر وهو جالس للشراب فقال: "رحم الله أبي، ضيَّعني صغيرًا، وحمَّلني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم، ولا سُكر غدًا، اليوم خمرٌ، وغدًا أمرٌ"، ونهض من غده، فلم يزل يطلب ثأر أبيه حتى أثخن القتل في بني أسد، وقال في ذلك أشعاره.

وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وتفرق عنه أنصاره فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السَّموأل بن عادياء فأجاره ومكث عنده مدة وجيزة، ورأى بعد ذلك أن يستعين بالروم على الفرس فقصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام، فسيَّره إلى قيصر الروم (يوستينيانس) في القسطنطينية فوعده ومَطله، ثم

ولاّه إمرة فلسطين فرحل إليها ، فلما كان بأنقرة ظهرت قروح في جسمه فأقام فيها إلى أن مات.

وقيل:" إن سبب تلك القروح هو الحلة المسمومة التي أهداها ملك الروم إليه"، فقد ذُكر أن أمرأ القيس أثناء وجوده في قصر الملك (يوستينياس) نظرت إليه ابنة القيصر وعشقته، وجرت بينهما لقاءات متكررة، وقيل:"إنها أحبته وأحبها، وعرف بالعلاقة بينهما الطّماح بن قيس الأسدي، وكان حجُرُ قد قتل أباه، فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس مسرعًا فبعث الملك في طلبه رسولاً فأدركه دون أنقرة بيوم، وأهداه الحُلة المسمومة فلبسها فسبَّبت موته".

وقيل:" إن ملك الروم بعث مع امرئ القيس جيشًا فيه أبناء ملوك الروم، فقيل له: إنك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب، وهم أهل غدرٍ، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدَّوه غزاك، فبعث إليه الملك مع رجل من العرب يقال له: الطّماح بحُلة منسوجة بالذهب مسمومة وكتب إليه: فضل منزلتك عندي، فإذا وَصَلَتْ إليك فالبسها على اليمن والبركة، واكتب إليَّ من كل منزلٍ بخبرك، إن هذه الحلة كنت ألبسها فأرسلتها تكرمة لك".

فلما تسلمها امرؤ القيس سُرَّ بها ولبسها فسرى السَّم في جسمه وظهرت القروح على جلده ومات، ولذلك سمي بذي القروح، كما سمّي الملك الضليل لتشرده في القبائل، وقيل:" إنه لو لم يكن بينه وبين ابنة ملك الروم علاقة ودٍّ ومحبة،

وغزل ونسيب لما حقد عليه الملك وأرسل إليه الحُلة المسمومة"، وقيل: إن ميله إلى اللهو والدَّعة، وتصوير مغامراته وحكاياته في قصائده سبب في ذلك مثل قوله:

سموتُ إليها بعدما نام أهلها سمو حبابَ المال حالاً على حالِ
فقالت: سباك الله إنك فاضحي ألستَ ترى السُّمار والناسُ أحوالي؟
فقلت: يمين الله أبرحُ قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
حلفت لها بالله حلفةَ فاجرٍ لناموا فما إن من حديثٍ ولا صالي
فلما تنازعنا الحديثُ وأسمحت هصرت بغض ذي شماريخ ميالِ
وصرنا إلى الحُسنى ورقَّ كلامنا ورضَّت فذلت صعبة أي إذلال
فأصبحت معشوقًا وأصبح بعلها عليه القِتام سيء الظنِ والبالِ
يغطُّ غطيط البكر شُدَّ خِناقه ليقتلني والمرء ليس بقتالِ
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرقٍ كأنياب أغوال

وغيرها من الأبيات التي يصف فيها بدقة جسم المرأة وآثرت عدم ذكرها هنا، إلى غير ذلك من تشببه بكثير من النساء كفاطمة،وليلى،وعُنيزة، وأسماء، وسلمى، وماوية، وغيرهن وهذا مستفيض في ديوانه، وطبيعي أن يكون لبعضهن أقوام يغارون عليهن، ويصدون عن قومهم كل مثلبة ونقيصة.

وقيل:" إن قيصر أكرم أمرأ القيس وقرَّبه، وأحسن منزلته، فاندس رجل من بني أسد يسمى "الطَّماح" وكان امرؤ القيس قد قتل أخًا له، فقال لقيصر: "إن امرأ القيس غوي عاهر، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل

ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعارًا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك، فبعث إليه بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب، وقال: إني أرسلت إليك بحُلة التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إليَّ خبرك من منزلٍ إلى منزل، فلما وصلت إليه لبسها، واشتد سروره بها، فاسرع السُّم إلى جسده فمات منها"، فقال في ذلك:

لَقَد طَمِحَ الطَمّاحُ مِن بُعدِ أَرضِهِ ... لِيُلبِسَني مِن دائِهِ ما تَلَبَّسا
فَلَو أَنَّها نَفسٌ تَموتُ جَميعَةً ... وَلَكِنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أَنفُسا

وحين وصل إلى بلدة أنقرة في بلاد الروم أُحتضر بها، ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك مدفونة في سفح جبل يقال له: عسيب، فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال:

أجَارتَنا إنَّ المَزَارَ قريبٌ ... وإنّي مُقِيمٌ ما أقَامَ عسيبُ
أجَارتَنا إنّا غَرِيبانِ ها هُنا ... وكلُّ غَريبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

غير أنني لا أستطيع الإشارة إلى قصيدة أو أبيات سببت هلاك امرئ القيس، فالروايات المتواترة عن خبر مقتله هي وشاية "الطماح" التي استطاع من خلالها قلب الموازين، وإثارة حفيظة قيصر على امرئ القيس حين ذكر شعره الماجن، وعهره مع النساء، وحكاياته ونسيبه، مما جعل قيصر يتوقع نفسه أمام فضيحة كبيرة رأى أن الأسلم له تجنب حدوثها

بوضع نهاية لحياة الرجل، ولشدة وقعها على قيصر لم ينتظر التأكد من صحة الوشاية، وإنما بادر بالعقوبة، وهذا يشعرنا بأن قيصر كان على علم بسيرة امرئ القيس ولهوه، ولذلك كانت نهايته بسبب كلامه وحديثه .(٥١).

البائس
طرفة بن العبد (٨٦ – ٦٠ ق هـ)

ينتمي عمرو بن العبد بن سفيان الشهير بطرفة بن العبد إلى بني مالك بن ضبيعة، من بطون قبيلة بكر بن وائل، ولد بالبحرين وتوفي أبوه وأمه وهو طفل، فكفله أعمامه وأساؤوا تربيته، وهضموا حقه، فاختط لنفسه حياة اللهو والضياع فطرده قومه، فراح يضرب في البلاد حتى بلغ أطراف الجزيرة العربية، ثم عاد عن غيِّه ورجع إلى قومه يرعى إبل أخيه لأبيه مَعْبَد.

ظروفه ملأت حياته مرارة وأسى، ونشأته فقيرًا مع ميله للمتع واللذات ضاعفت من حالته النفسية المتأزمة أصلاً، ولو لم تذكر الروايات فَقْره لوضح من خلال كثرة أشعاره التي يذم فيها الفقر، ويرثي لحالة الفقير، الملفعة باللوعة والحسرة، حين تضيق عليه الأرض والسماء، ويخونه الصديق، ويسرقه الأهل، ويجحده الأحباب.

شغل هذا الشاعر عشيرته وأهله والناس، واقتحم عصره بقصيدة كتبت بماء الذهب، وعلقت على أستار الكعبة، وبلغ من دقتها وروعتها أن فضلها ابن قتيبة على سائر المعلقات، فقال: "وهو أجودهم طويلة"، ولذا استطاع أن يشمخ بقامته أمام كبار شعراء عصره، ويتفوق عليهم بالحكمة والنظم.

كان طرفة على علاقة متوترة بابن عمه مالك كبير القوم حينئذ، فقد كان يلوم طرفه على سلوكاته الخاطئة، ويسعى طرفة إلى استرضائه حتى يئس منه، فأهمله وعدَّه من الأموات، وقد فصل ذلك في معلقته الشهيرة:

لخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرقَةِ ثهمد تَلوحُ كباقي الوَشمِ في ظَاهرِ اليَدِ
وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم يَقولونَ: لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ

كان الشعراء يفدون إلى ملك الحيرة عمرو بن هند، وينشدونه أشعارهم، وكان في بلاطه شخصان مقربان من الملك لهما علاقة قربى بطرفة، وهما: خاله المتلمس، وصهره عبد عمرو بن بشر، وبسببهما استطاع طرفة الوصول إلى البلاط الملكي، والتقرب من الملك، فوفد على عمرو بن هند مع خاله المتلمس، فنادمهما الملك وأكرمهما، وبقيا عنده زمانًا، حتى أصبح أحد المقربين منه، غير أن نفسية طرفة، وتصرفاته الغريبة، وميله إلى التحدي والاستهتار، جعلته يتغزل شعرًا بأخت الملك حين رآها، فكان هذا التصرف البعيد عن الحكمة يمثل بداية الأسباب في تأزم الموقف بينه وبين الملك، وحصول حقد الملك عليه.

وفي إحدى منادماتهم مع الملك نظر الملك إلى طرفة شزرًا، وكان عمرو هذا بطاشًا جبارًا لا يبتسم ولا يضحك، ملك ثلاثًا وخمسين سنة، وكانت العرب تسميه (مضرط

الحجارة) لقوته وشدة بأسه، فقد كان مهيبًا شديدًا عاتيًا جبارًا، ويسمى (محرقًا) أيضًا لأنه حرق بني تميم، وقيل: لأنه حرق نخل اليمامة. وبعد أن طلبا الإذن من الملك بالانصراف، قال المتلمس لطرفة: "إني خائف عليك من نظرات عمرو بن هند" وعلى ذلك فالملك لم يقم بأي ردِّ فعل آني، أو تصرف محدد ضد طرفة في وقتها.

وقد صدق حدس المتلمس، وصار ما توقعه إذ أمر الملك بإبعاد الاثنين معًا من حاشيته، وإلحاقهما بحاشية أخيه وولي عهده قابوس بن هند، وكان قابوس شابًا لاهيًا، كثير الزهو والعجب، يقضي يومه كله في الصيد، وهما معه يركضان، فما أن تأتي العشية إلا وقد تعبا، وحين يجلس الملك فإنهما يقضيان اليوم كله وقوفًا ببابه، ولا يصلان إليه إلا مساءً وبصعوبة، وصادف يومًا أن وقفا بباب قابوس النهار كله، ولم يصلا إليه حتى ضاقا بالاً، ونقما عليه وعلى أخيه.

وكان طرفة فتى مزدوج الشخصية، تصدر منه – أحيانًا – سلوكات غريبة غير سوية، وتميل إلى الشطط الفاضح والاستهتار، وتستند إلى روح الحماس، والعجرفة القبلية، فلا يبالي بعواقب الأمور، فجرى على لسانه هجاءٌ للملك عمرو بن هند، ولأخيه قابوس، وكان هجاءً صريحًا قاسيًا، جاء في قصيدة طويلة لاذعة، استخف قائلها بما قد يترتب عليها من نتائج خطرة بعد ذيوعها وانتشارها.

وقد كان الأجدر من شاعر بذكاء طرفة، وبعد نظره، وقربه من الملك أن يحسن تقدير الأمور، وألا يقدم على مثل هذا العمل الطائش، والتصرف الانتحاري، والانتقام الفاشل ضد ملك موصوف بالقسوة والجبروت وانفصام الشخصية، فقد كانت تلك الأبيات، وهذه الزلات – كما هو واضح من سير الأحداث – السبب المباشر في إعدامه فيما بعد.

وصل الهجاء إلى أسماع عمرو بن هند عن طريق صهر طرفة عبد عمرو ابن مرثد، وكان طرفة قد هجا ابن مرثد بقصيدة طويلة، بسبب شكاية أخته إليه عن بعض أمور زوجها، وكان مما قاله:

فواعجبًا من عَبْدِ عمرو وبغيهِ ... لقْد رامَ ظُلمي عبدَ عمرو فانعما
ولا خيرَ فيه غيرَ أن لـه غِنى ... وأنَّ له كشحًا إذا قامَ اهضَما
وإنَّ نساء الحيِّ يعكفن حوله ... يقلن: عَسِبٌ من سرارة ملهما
له شربتان بالنهار وأربعٌ ... من اللّيل حتَّى آض سُخدًا مورَّما
ويشربُ حتى يغمرّ المحضُ قلبه ... وإن أعطه أترُك لقلبي مجثَما
كَأَنَّ السِلاحَ فَوقَ شُعبَةِ بانَةٍ ... تَرى نَفَخًا وَردَ الأَسِرَّةِ أَسحَما

وهو في هذه القصيدة ينزع الفضائل عن عبد عمرو، ولا يبقي له إلا الغنى، والصفات الخاصة بجسمه التي لا تذكر عادة إلا في التغزل بالنساء، مما أغضب عمرو بن مرثد، وأثار حقده ضد طرفة، فقد كان من سادة قومه، وكان سمينًا بدينًا، فأسرها ابن عمه في نفسه، إذ كان له

منزلة رفيعة عند عمرو بن هند. خرج عبد عمرو بن مرثد مرةً في رحلة صيد مع الملك، فأصاب الملك صيدًا، قيل: حمارَ وحشٍ، فطلب الملك إلى عبد عمرو بن مرثد أن يذبحه، فأعياه ذلك، واستعصى عليه حمله، فضحك الملك منه، وقال له:
"كأن طرفة رآك حين قال:

ولا خيرَ فيه غير أنَّ لــه غِنَــى ... وأنَّ له كشحًا إذا قــام أهضــمَا"

وفي رواية قال: "لقد أبصر طرفة حُسن كشحك حين قال شعره فيك"، وفي رواية أخرى أنه شاهد كشحه وهما في الحمام، فأجابه عبد عمرو: "إن طرفة قال فيك ما هو أقبح من هذا الشعر، حيث يقول:

فليتَ لنا مكانَ الملك عمــرو ... رغوثًــا حــولَ قبتنــا تخُــورُ
من الزَّمرات أسبلَ قادماهــا ... وضــــرَّتها مركنــــةٌ درورُ
يشاركُنا لنا رِخــلان فيهــا ... وتعلُوهــا الكبــاش فمــا تنــورُ
لَعمرُك إن قابوس بــن هنــدٍ ... لــيخلطُ ملكــه حمــقٌ كــثيرُ
قَسَمتَ الدَهرَ في زَمَنٍ رَخــيٍّ ... كَذاكَ الحُكمُ يَقصِــدُ أَو يَجــورُ
لنا يــومٌ وللكَــروانِ يــومٌ ... تَطِــيرُ البائســات ولا نطــيرُ
فأمَّا يَومُهن فيَــوم نَحــسٍ ... تطــاردُهُنَّ بالحَــدبِ الصُّــقورُ
وأمَّــا يَومُنــا فَنظَــلُّ رَكبًــا ... وُقوفًــا مــا نحــلُّ ومــا نســيرُ"

وهو يرى أن عمرو بن هند لا يصلح للملك، وأن نعجة تخور، قليلة الصوف، كثيرة اللبن، لا تنفر من الكباش، خيرٌ منه، وأن أخا هذا الملك أبله، يخلط أموره بسبب الحمق

المتأصل فيه، وقيل إن القصيدة التي هجا بها الملك هي قوله:

أَبَا الجُرَيِّ متى نرجو تدين لكم ... يابن الشَّديخ ضِباع بين أجباخِ
أنت ابن هند فأخبر من أبوك إذًا؟ ... لا يُصْلِحُ الملك إلا كلٌّ بذّاخِ
إن قلتَ نصرٌ، فنصرٌ كان شرَّ فتى ... قِدمًا وأبيضهم سربال طبَّاخِ
ما في المعالي لكم ظلٌّ ولا ورقٌ ... وفي المخازي لكم أسناخُ أسناخِ
إن قُسِّم المجدُ أكدى في سُراتكم ... أو قُسِّم اللّوم فَضلتم بأشياخِ

وهي من أشد الهجاء وآلمه، وقد أغضبت الملك غضبًا شديدًا على طرفة، ولكنه لم يشأ قتله من فوره اتقاء غضب عشيرته، غير أن الغضب لم يفارق عمرو بن هند، لكنه كان يتحين الفرصة كي يتخلص من طرفة، وخاله المتلمس الذي كان قد هجاه متعرضًا لفضله ومعروفه، فظل يتودد إليهما ويؤانسهما، حتى لا يثير لديهما أي شعور بالشك في تصرفاته معهما، فقد كتم أمر قتلهما لأمر يدبره على خلوةٍ منه، ولذا أصبح من الضروري أن يُقدم الملك على خطة يقرر فيها نهايتهما في هذا الجو من الثقة المزعزعة بين الجميع، فاجتمع بهما ذات يوم وقال لهما: "لعلكما اشتقتما إلى أهلكما، وسركما أن تنصرفا"، فقالا له: "صدقت" فأذن لهما بالرحيل، وسلم كل واحد منهما رسالة إلى عامله في البحرين الربيع بن حوثرة، وقال لهما: "انطلقا إليه فاقبضا جوائزكما".

وسار طرفة وخاله حتى بلغا النجف، أما المتلمس فقد شكَّ في حسن نية الملك عمرو بن هند، وقال لطرفة: "إنك غلامٌ

غِرٌّ، حديث السِّن، والملك من قد عرفت حقده وغدره، وكلانا قد هجاه فلست آمنًا أن يكون قد أمر فينا بِشَرٍّ، فهلم ننظر في كتابينا، فإن يكن أمر لنا بخير قضينا فيه، وإن يكن أمر فينا بغير ذلك لم نهلك أنفسنا"، فأبى طرفة أن يفك خاتم الكتاب.

أما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام من غلمان الحيرة، فإذا به أمر بقتله، فألقى الكتاب في نهر الحيرة، ونجا بنفسه لاجئًا إلى ملوك الشام، ونصح طرفة أن يفعل فعلته، ولكنه أبى مغترًا بمنزلته ومعتزًا بمنعة قومه، فلم يصغ لنصيحة خاله وقال له: "إن كان اجترأ عليك فما كان ليجترئ عليَّ"، فواصل مسيره حتى وصل إلى حاكم البحرين فسلمه الكتاب، وكان نصه :"باسمك اللهم، من عمرو بن هند إلى الربيع إذا أتاك كتابي هذا مع طرفة فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيًّا".

وكان بينه وبين طرفة قرابة فنصحه أن ينجو بنفسه من ليلته هذه قبل أن يدركه الصبح ويعرف الناس وجوده في المدينة، لأن الملك أمر بقتله صراحة، فرفض طرفة الهرب، وأساء الظن بالحاكم، واتهمه برغبته في حرمانه من الجائزة، فسجنه الحاكم، وبعث إلى الملك عمرو بن هند يطلب إعفاءه من عمله، لأنه لا يرغب في قتل قريبه، فعزله ابن هند، واستعمل مكانه رجلاً من تغلب اسمه المُكعْبر، فنفذ

الحكم، وقتل طرفة الشاعر الشاب الجريء المليء بالحيوية، والشاعرية، وقوة التحدي، فقد عاش ست وعشرين سنة قال فيها قصائد عجز عنها أهل الحل والعقد، وأهل الفصاحة واللسن، وأيًّا كان فإن لسان هذا الشاعر أبحر به سريعًا نحو الموت .(٥٢).

دهاء خَذُول
عَديّ بن زيد (... - ٣٥ ق هـ)

هو عدي بن زيد بن حماد بن زيْد العبادي التميمي، من أهل الحيرة، شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويا فصيحًا جميل الوجه فائق الحسن، وكانت الفرس تتبرك بالجميل، فلما كلمه كسرى وجده أظرف الناس، وأحضرهم جوابًا، فرغب فيه، وجعله من خاصته.

كان يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب العربية في ديوان كسرى، جعله كسرى من خاصته، واتخذه ترجمانًا بينه وبين العرب،سكن المدائن، ولما مات كسرى وولي الملك ابنه (هُرمز) أقرَّ عديًّا وقرب منزلته، وجعله رسوله إلى ملك الروم.

كان عديّ يحبُّ هندًا بنت النعمان بن المنذر، فعرف النعمان بذلك فاستشاط غيظًا وقرر قتله، وزاد غضبه ونقمته عليه حين بلغه أنَّ عديًّا تطاول عليه وقال عنه أشياء خاف منها، واحتال النعمان حتى وقع عدي في يده فحبسه حتى مات، وقيل:" إنه تزوج هندًا".

وذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء: "كان عديٌّ بن زيد بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري مجاريها، قال: والعرب لا تروي شعره؛ لأن ألفاظه ليست بنجدية وكان نصرانيًا من عُبَّاد الحيرة". يقول:

بكّر العـاذلون في وضـح الصبـ ـــح يقولـون لي ألا تسـتفيق
لست أدري إذا أكثروا العـذل فيهـا أعـدُو يلومـوني أم صـديق؟
زانهـا حُنسـهـا وفـرع عمـيم وأثيـث صـلت الجبين أنيـق
وثنايـا مفلجـات عـذاب لا قصـار تـزري ولاهُـنّ روق

ومما قاله عدي في النعمان قوله:

أَبلِـغِ النُعمـانَ عَنّـي مَألَكـا إِنَّني قَد طـالَ حَبسـي وَاِنتظـاري
لَو بِغَـيرِ المـاءِ حَلقـي شَـرِقٌ كُنتُ كَالغَصّـانِ بِالمـاءِ اِعتِصـاري
وَعُـداتي شَـمِتَت أَعجَـبَهُم أَنَّـني غُيِّـبتُ عَنـهُم في إِسـاري
فَلَـئِن دَهـرٌ تَـوَلّى خَـيرُه وَجَرَت بِـالنَحسِ لي مِنـهُ الجَـواري
لي بِمـا مِنـهُ قَضَـينا حاجَـةٌ وَحَيـاةُ المَـرءِ كَالشَـيءِ المُعـارِ
لَيتَ شِعري عَن دَخيـلٍ يَفتَـري حَيثُمـا أَدرَكَ لَيلـي وَنَهـاري
لِامرِئٍ لَـم يَبـلُ مِّـني سَـقطَةً إِن أَصـابَتهُ مُلِّمـاتُ العِثـارِ
قاعِـدًا يَكـرُبُ نَفسـي بَثُّهـا وَحَرامًا كـانَ سِـجني وَاحتِصـاري
نَحنُ كُنّا قَـد عَلِمـتُم قَـبلَكُم عُمُـدَ البَيـتِ وَأَوتـادَ الإِصـارِ
وَأَبـوكَ المَـرءُ لَـم يُشـنَأ بِـهِ يَومَ سيمَ الخَسـفَ مِنّـا ذو الخسـارِ
أَجَـل نُعمـى رَبُّهـا أَوَّلَكُـم وَدُنُوّي كـانَ مِـنكُم وَاِصـطِهاري
أَجَـل إِنَّ اللهَ قَـد فَضَّـلَكُم فَـوقَ مَـن أَحكَـأَ صُـلبًا بِـإِزارِ

وقيل:" إن كسرى طلب من النعمان أن يطلق سراح عدي، فقتله النعمان حين علم بوصول الرسول، وأخبرهم أنه مات منذ أيام".

وقيل:" إن عدي بن زيد صنع طعامًا للنعمان، وسأله أن يركب إليه، ويتغذى عنده هو وأصحابه، فركب النعمان إليه فاعترضه عدي بن مرينا وكانت بينه وبين عدي بن زيد خصومات ومهاجاة، فاحتبس النعمان عنده حتى تغدى هو وأصحابه، وشربوا ثم ركبوا إلى عدي بن زيد ولا حاجة لهم في أكل وشرب، فكره ذلك عدي، وقام ودخل بيته، وقال للنعمان مخاطبًا:

أحسبتَ مجلسنا وحُسن حديـــ ... ـثنا يودي بمالك
فالمالُ والأهلون مصـــ ... ـرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمـ ... ـرك في يمينك أو شمالك

ثم إن النعمان أرسل في طلب عديٍّ بعد أيام فرفض عديٌّ تلبية دعوة الملك مما أغضبه عليه وسجنه، وقيل : "قتله في سجنه"، ونحن حين نقرأ بعض أشعار عدي نجده تجاوز حدود العقل إلى الطيش والسفه وبخاصة تلك التي يقول فيها:

بَناتِ كِرَامٍ لم يُرَبْنَ بِضُرَّةٍ ... دُمًى شَرِقَاتٍ بالعَبِيرِ رَوَادِعَا
لَهَوْتُ لَهُنَّ بين سِرٍّ ورَشْدَةٍ ... ولم آلُ عن عَهْدِ الأَحِبَّةِ خادِعَا

يُسَارِقْنَ مِن الأَسْتَارِ طَرْفاً مُفَتَّـرًا ... ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُـدُورِ الأَصَـابِعَا

والتي يقر فيها بالزنا على نفسه، وفي مثل هذه الأبيات وغيرها نستطيع القول أن لسانه جلب له الشقاء، وسبَّب سجنه وهلاكه . (٥٣).

الفاتك
خالد بن جعفر (... - ٣٠ ق هـ)

هو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري، من هوازن من عدنان، فارس جاهلي، وشاعر مجيد، وخطيب مِصْقع، انتهت إليه رئاسة قومه هوازن، وهو الذي قتل زهير بن جذيمة العبسي.

وقعت بينه وبين الحارث بن ظالم المري مفاخرة عند النعمان بن المنذر، وكان كل واحد منهم قد أهدى النعمان فرسًا، فقال خالد: " زعم الحارث أبيت اللعن أن تلك الخيل خيله، وخيل آبائه"، ولما أمسوا اجتمعوا في مكان ما، فتغنى خالد بقوله:

دار لهند والرَّباب وفرتني ولميس قبل حوادث الأيام

والمقصود خالات الحارث بن ظالم، فغضب الحارث حتى امتلأ غيظًا وغضبًا، وقال لخالد :"ما زلت تتبع أولى بآخره". ثم إن النعمان دعاهم بعد ذلك وقدَّم لهم تمرًا، فطفق خالد بن جعفر يأكل التمر ويلقي بنواه بين يدي الحارث، فلمَّا فرغ القوم، قال خالد بن جعفر: " أبيت اللعن، انظر إلى مابين يدي الحارث بن ظالم من النوى، ما ترك لنا تمرًا إلا أكله"، فقال الحارث: " أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى، وأما أنت فأكلته بنواه"، فغضب خالد وكان لا يُنازع فقال:"أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيمًا في حجور النساء؟".

وكان خالد بن جعفر قد أغار على رهط الحارث بن ظالم وهم في وادٍ يقال له جِراض فقتل الرجال، والحارث يومئذ غلام، وبقيت النساء، وزعموا أن ظالمًا هلك في تلك الوقعة من جراحه التي أصابته، وكانت نساء بني يربوع لا يحلبن النعم، فلمَّا بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث، فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهن، ويبكي الحارث معهن فنشأ على بغض خالد، وفي تلك الوقعة يقول خالد بن جعفر:

تركت نساء يربوع بن غيظٍ   أراملُ يشتكين إلى وليد
يقلن لحارثٍ جزعًا عليه   لك الخيرات مالك لا تسود
تركت بني جذيمة في مكرٍ   ونصرًا قد تركتُ لدى الشهود
ومني سوف تأتي قارعات   تبيد المخزيات ولا تبيد
وقيس ابن المعارك غادرته   قناتي في فوارس كالأسود
وحلت بركها ببني حجاشٍ   وقد مدوا إليها من بعيد
وحي بني سبيعٍ يوم ساقٍ   تركناهم كجارية وبيد

ومازال الحارث يضطغن على خالد هذه الأشعار ويحتملها في نفسه، وحين ذكره بهذا اليوم عند النعمان فقال الحارث: "ذلك يوم لم أشهده، وأنا مغنٍ اليوم بمكاني"، فخرج الحارث وتغنى بقوله:

تعلم أبيت اللعن أني فاتكٌ ... من اليوم أو من بعده بابن جعفر
أخالد قد نبهتني غير نائم ... فلا تأمنن فتكي يد الدهر واحذر
أعيرتني إن نلت منا فوارسًا ... غداة حِراض مثل جنات عبقر
أصابهم الدَّهر الختور بختـرةٍ ... ومن لا يقِ الله الحوادث يعثرِ
فعلك يومًا أن تنوء بضربةٍ ... بكف فتى من قومه غير جيدر
يغص بها عليا هوازن والمنى ... لقاء أبي جزء بأبيض مبترِ

فبلغ خالد بن جعفر كلامه فلم يأبه له، وطلب منه بعض أقاربه تغيير مكان مبيته، أو وضع الحراس على بابه فلم يحفل بذلك، فجعلوا رجلا لحراسته بإزارُه وهو ابن جعدة، ونام دون الرجل، وخالد من خلف الرجل، وعرف الحارث أن عتبة وابن جعدة يحرسان خالدًا فأقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جعده فتعداه ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالدًا فقتله، وحين عرفه خلَّى عنه، ومضى إلى خالدٍ فقتله.

وقيل: إن الحارث أقبل فقتل الحارسين، ومضى إلى خالد وهو نائم فقتله، وقال في ذلك قصيدته، ومنها قوله:

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً ... وحي كلابٍ هل فتكت بخالدِ
عشوت عليه وابن جعدة دونه ... وعروة يكلا عمه غير راقد
وقد نصبا رجلاً فباشرت جوزه ... بكلكل محشي العداوةِ حارد
فأضربه بالسيف يافوخ رأسه ... فصمم حتى نال نوط القلائد
وأفلت عبد الله مني بذعرة ... وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

(٥٤).

البُؤس
عبيد بن الأبرص (... _ ٢٥ق هـ)

هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم ، من مضر، من بني أسد الذي قتلوا حُجرًا والد امرئ القيس ملك كندة. شاعر جاهلي، من دهاة الجاهلية وحكمائها ، وهو شاعر قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب، طرق باب الهجاء ، فاختط نهايته بكلماته، عدَّه ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية. هجا بني مالك بقوله:

أيَا بني (...) ما غَرَّكم — فلكم الويل بسربال حَجَر

وحين رفض امرؤ القيس ما تقدمت به بنو أسد ديةً لوالده حجر بن عمرو أمهلهم حولاً كاملاً، وقال:" ستعرفونني في فرسان قحطان، أُحكم فيكم ظبا السيوف، وشبا الأسنة ، حتى أشفي نفسي، وأنال ثأري" ، فقال عبيد بن الأبرص في ذلك:

يا ذا المُخوفنا بقتـ — ـل أبيه إذلالاً وحينا
أزَعَمْتَ أنَّك قد قتلـ — ـت سراتَنا كذبًا مبينا
هلاّ على حُجْر بْنِ أُ — مِّ قَطامِ تَبْكي لا عَلَيْنَا
إنَّا إذا عضَّ الثقا — فُ بِرَأسِ صَعْدَتِنا لَوَيْنا
نَحْمِي حَقِيقَتَنا وبَعْـ — ـضُ القَوْمِ يَسقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

هَــلاَّ سَــألتَ جُمُــوعَ كِنْــــــدةً يــومَ ولــوَّا أيــن أينــا؟
أيــــام نضـــربُ هــــامَهُم بــــواتِرِ حتَّــــى انحَنينــــا
وجمــــوعُ غسَّـــان الملــــوك أتينــــهُم وقـــد انطوينــــا

... إلخ ما قال، على أن الهجاء لا يكوِّن ظاهرة واضحة في ديوانه.

وجاء في مقتله: أن المنذر بن ماء السماء نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي، والآخر عمرو بن مسعود، فماتا فبنى على قبريهما، وقال: " ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يمُرَّن أحد من وفود العرب إلا بينهما".

وكان له يومان في السنة يوم يسميه يوم النعيم، ويوم يسميه يوم البؤس، فإذا كان في يوم نعيمه أُتي بأول من يطلع عليه فحياه وكساه ونادمه يومه وحمله، فإذا كان يوم بؤسه أُتي بأول من يطلع عليه، فأعطاه رأس ظربان أسود، ثم أمر به فذبح وغري بدمه الغريان.

ثم إن عبيد بن الأبرص لقي النعمان في يوم بؤسه، الذي كان لا يلقاه فيه أحدٌ إلا قتله، فقال لرجل كان معه: " من هذا الشقي؟"، فقال له: " عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر"، فأُتي به، فقال الرجل للنعمان: " أتركه أبيت اللعن، فإنِّي أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما تدركه في قتله، فاسمع منه، فإن سمعت حسنًا استزدته، وإن لم يعجبك

فما أقدرك على قتله".

فنزل المنذر وطَعِم وشَرب وهو جالس وبينه وبين الناس حجاب يراهم منه ولا يرونه، فدعا عبيدًا من وراء الستر، وقال له:" هلاً كان الذبح لغيرك يا عبيد"، فقال عبيد:" أتيتك بحائن رجلاه"، فقال المنذر:" ما ترى يا عبيد"، فقال عبيد:"أرى الحوايا عليها المنايا"، فقال المنذر: "فهل قلت شيئًا؟"، قال عبيد:" حال الجريض دون القريض"، (أي: أنه غصّ بريقه)، فقال المنذر:" أنشدني قولك: أقْفَرَّ من أهله ملحوب "، فلم يستطيع عبيدٌ قولها، وحاول استعطافه بأبيات منها:

قفرٌ من أهلهِ عبيدُ ... فليسَ يُبدي ولا يعيد
عنت له خطة نكودُ ... وحان منها له ورود

فقال له المنذر:" يا عبيد ويحك أنشدني قبل أن أذبحك"، فقال عبيد: "هي الخمر تُكنى بأم الطّلى كما الذئب يُكنى أبا جعدة". ويقصد من ذلك أن الذئب يكنى أبا جعدة، أي: الفعال الحسنة، ولكنها أفعال سوء كلها، وهو يقصد المنذر بذلك، فهو لا يذر أحدًا، ويغدر بالجميع، ولذلك أبي أن ينشدهم شيئًا مما أرادوا، فأمر به المنذر فَقُتل نحو ٢٥ ق هـ.

وقال الصولي في شرحه على ديوان عبيد بن الأبرص: "لقي النعمان في يوم بؤسه، الذي كان لا يلقاه فيه أحدٌ إلا

قتله، فقتله، وكان بلغه أنه هجاه"، وقال التبريزي في شرحه على ديوانه أيضا: "قتله عمرو بن هند" (٥٥).

عِشقٌ وموت
المُنخّل اليشكري (....- ٢٠ ق هـ)

هو المُنخل بن مسعود بن عامر من بني يشكر، شاعر جاهلي مُقلّ. كان وسيمًا ومن ندماء النعمان بن المنذر، وهو الذي سعى بالشاعر النابغة الذبياني إلى النعمان بن المنذر في أمر زوجته (المتجردة) ففرَّ النابغة إلى آل جفنة الغسانيين بالشام.

وقيل: كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني، وكان النعمان يؤثر شعر النابغة على شعره، فسعى المنخل بالنابغة وأوغر صدر النعمان عليه حتى همَّ بقتله، فهرب النابغة إلى آل جفنة، وخلا المنخل بمجالسة النعمان فلم يزل على ما أصاب من النعمة عنده إلى أن وقع في قلبه منه أمر ارتاب فيه، وقيل: إنه اتهمه بامرأته المتجردة، فأخذه ودفعه إلى رجل من حرسه يقال له : عِكب التغلبي فعذبه حتى قتله.

وقيل: إن النعمان لم يرَ المنخل مع زوجته، وإنما اُتهم بها فقط فقتله، وقيل: حبسه ولم يُعلم ما جرى له، وقيل: إن النعمان دفنه حيًّا، وقيل: قتله غرقًا بالماء.

وقيل: إن المنخل تشبَّب بهند أخت عمرو بن هند زوجة النعمان فقتله، وقيل: كانت هند قد شغفت المنخل، وحين خرج النعمان مرة في رحلة صيد عمدت هند إلى قيد فجعلت رجلها في إحدى حلقتيه، ورجل المنخل في الأخرى شغفًا به،

ورجع النعمان فألفاهما على حالهما، فأمر بالمنخل فقُتل، وضربت به العرب المثل في الغائب الذي لا يُرجى إيابه، يقولون: "لا أفعله حتى يؤوب المنخل".

وقد كانت امرأة النعمان مغموزة في عرضها، وقد ولدت غلامين وهي عند النعمان وكانا وسيمين، ومن أشبه الناس بالمنخل، ومن هنا كانت التهمة لها؛ لأن المنخل كان وسيمًا، أما النعمان فكان أحمرَ أبرش قصيرًا دميمًا.

وقيل: كان من عادة النعمان أن ينادم المنخل ولا يفارقه إلا إذا خرج للصيد، فإذا خرج تخلف المنخل عن مصاحبته وذهب إلى هند، وإذا رجع النعمان خرج من باب آخر، وقيل: إنه رجع ذات مرة على غير عادته فوجد المنخل مع هند فأمر بزجه في السجن، وقيل: أمر بتعذيبه حتى مات، وسميت بالمتجردة بعد أن قال النابغة قصيدته المشهورة فيها:

سقط النّصيف ولم تُرد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليدِ

التي وصفها حينما سقط ما يغطي رأسها، فغطت وجهها بمعصمها فوارت به وجهها فسمَّاها النابغة بالمتجردة لأنه رآها عريانه، فقال القصيدة التي وصف فيها كل جزء من جسدها من رأسها إلى قدميها، ووصفها وأفحش حتى في وصف أماكن العفة، فغار المنخل منه، وسعى به عند النعمان وقال له:" أبيت اللعن، هذا وصف معاين". فغضب النعمان على النابغة فهرب النابغة.

وقيل إن القصيدة التي قتلته هي التي شبَّب بها في هند ومنها قوله:

إن كنـــتِ عـــاذلتي فســـيري ـــ نحـــو العِـــراق ولا تحـــوري
لا تســـألي عـــن جُـــلِّ مـــا ـــ لي وانظري كرمـــي وخـــيري
وإذا الرِيـــــاحُ تناوحَـــــتْ ـــ بجوانـــبِ البيـــتِ الكـــبيرِ
ألفَيـــتني هَـــشَّ اليدْيـــــ ـــ ـــنِ بمرْيِ قـــدْحي في الجـــزورِ
وفـــوارسٍ كـــأُوار حِـــرِّ ـــ النَّـــارِ أحـــلاس الـــذكور
شـــدوا دوابـــر بيضـــهم ـــ في كـــلِ محكمـــةِ القـــتيرِ
واسْـــتَلئَمُوا وتلبَّـــوا ـــ إنَّ التلبُّـــبَ للمُغـــيرِ
وعلـــى الجيـــاد المضـــمرًا ـــ تِ فـــوارسٌ مثـــلُ الصُّـــقورِ
أقْـــرَرتُ عـــيني مـــن أولـــ ـــ ـــئكَ والكواعـــبِ كالبُـــدورِ
يـــرفلنَ في المســـكِ الـــذَّكيِّ ـــ وَصـــائكِ كـــدم الـــنَّحيرِ
ولقـــد دخلـــتُ علـــى الفتـــا ـــ ةِ الخـــدر في اليـــوم المطـــير
الكاعِـــب الحســـناءِ تـــر ـــ فل في الـــدِّمقس وفي الحريـــر
فدفعتـــــها فتـــــدافعت ـــ مشـــي القطـــاة إلى الغـــدير
وعطَفْتـــــها فتعطَّفـــــتْ ـــ كتعطُّـــف الغصـــنِ النَّضـــيرِ
يـــارُبَّ يـــومٍ للمنَخّـــــ ـــ ـــل قـــد لهـــا فيـــه قصـــيرِ
و(.... ....) فتنفســــــت ـــ كتـــنفس الظـــبي البـــهير
فرنـــت وقالـــت أيـــا منــــ ـــ ـــخلُ ما بجسمك مـــن فتـــور
ما شـــقَّ جســـمي غـــير حُبّـــ ـــ ـــك فاهدأي عـــني وســـيري
يـــا هنـــدُ هـــل مـــن نائـــلٍ ـــ يـــا هنـــدُ للعـــاني الأســـير

ولقـــد شـــربت مـــن المُـــدا ... مـــة بالصـــغير وبـــالكبير
فـــإذا ســـكرِتُ فـــإنني ... ربُّ الخورنـــق والسَّـــدير
وإذا صـــحـــوتُ فإنـــني ... ربُّ الشُـــويـــهة والبـــعير

ونحـن إذا أعـدنا قـراءة القصـيدة السـابقة لا يخالطنـا الشك في أن المنخل كان في غنى عنهـا ، ولم يكن يعـرف أنهـا ستجلب له البلاء الأكبر . (٥٦).

تجاوز ونهاية
السليك بن سلكة (٢-١٧ق هـ)

هو السُّليك بن عمرو بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، وينتهي نسبه إلى سعد بن زيد مناة بن تميم، والسَّلكة أُمُّه، وهي أمَةٌ سوداء، وقد أخذ سواده منها.

فارس عدَّاء، يعدُّ من شياطين الجاهلية، ومن أشد الصعاليك وأشعرهم، يلقب بالرئبال واشتُهر بلقبه "سليك المقانب" حيث كان ذا دراية بمسالك الصحراء ودروبها، وهو أحد صعاليك العرب، العدائين الذين كانوا لا يُلحقون، ولا تلحق بهم الخيل إذا عَدَوا على أرجلهم، حتى ضرب به المثل، فقيل: "أعدى من السُّليك".

له وقائع وأخبار كثيرة، وكان لا يغير على مُضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة، وكان يعتمد على قوته فيغير وحده على القبائل فينهبها.

وكانت نهايته في مغامرة من مغامراته العديدة التي عاصرا أحداثها، وتقلب في أحوالها، وخبر تصاريفها، فقد هجا بني خثعم مؤكدًا أن يومًا شديدًا سيحل بهم، ويذكر مافعله بهم إذ قتل ثلاثة منهم طعنًا برمحه، ثم طعن الرابع في قفاه، يقول:

لخثعم إن بقيتُ وإن أبوه   أوارٌ بين بيشة أو جفار
أوارٌ تجمعُ الرُّجلان منه   إذا ازدحمت ظنابيبُ الحِضار
دماء ثلاثة أردت قناتي   وخاذف طعنةٍ بقفا يسار

فالثلاثة يتخبطون في دمائهم، ثم قذفه يسارًا بالرمح فأصابه في قفاه، فحقدت قبيلة خثعم على السليك لذلك، واحمتلتها عليه.

.وبعد فترة لقي السُّليك رجلاً من خثعم يقال له: مالك بن عمير بن أبي ذراع بن جُشم خارج أرضه، في أرض يقال لها: "فخَّة" فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة اسمها "النّوار" فقال له الخثعمي:" أنا أفدي نفسي منك"، قال له السليك:" ذلك لك، على ألا تخيس بي، ولا تطلع عليَّ أحدًا من خثعم"، فحالفه على ذلك، وترك امرأته رهينة عنده، بعد أن تعاهدا على ألا يخون الرجل صاحبه، إلا أن السليك خان العهد، ونكح النَّوار غيلة، وهي تحذره خثعم، وتقول:"احذر خثعم يا سليك فإني أخافهم عليك"، فأنشأ يقول:

تحذرني كي أحذر العامَ خثعما   وقد علمت أني امرؤ غير مسلم
وما خثعم إلا لئامٌ أذلةٌ   إلى الذُّل والإسخاف تُنمي وتنتمي

فبلغ هذا الشعر المؤلم رجلين من خثعم هما: شبل بن قلادة، وأنس بن مدرك، فقالا:" أيقول ذلك فينا، ونحن مجيروه ؟ "، فانطلقا مع بعض قومهما في أثر السليك الذي لم

يشعر إلا وقد أدركاه بالخيل والسلاح والرجال، فأنشأ يقول:

من مبلغٌ حربًا بأني مقتول ... يا ربَّ نهبٍ قد حويتُ عثكول
وربَّ قرنٍ قد تركتُ مجدول ... وربَّ زوج قد نكحت عطبول
وربَّ عان قد فككت مكبول ... وربَّ وادٍ قد قطعتُ مسيول

فقال أنس لشبل:" إن شئت اكفني القوم (يعني قوم السليك الذين معه) وأنا أكفيك الرجل، ثم شدَّ أنس على السليك فقتله، وقتل شبل ومن معه أصحاب السليك، حين أسرف على نفسه بالتجاوز، والاعتداء على حرمات الآخرين.

وفي رواية أخرى: أن السليك كان يعطي عبد الملك الخثعمي أتاوةً من غنائمه على أن يجيره، فيتجاوز بلاد خثعم إلى أهل اليمن فيغير عليهم. فمرَّ قافلاً من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف، ولا رجل فيه سوى امرأة شابة بضة، فسألها السليك عن الحيِّ فأخبرته عن الحيِّ فنكحها، فبادرت إلى الماء فأخبرت قومها، فركب أنس بن مدرك الخثعمي في طلبه فلحقه وقتله نحو ١٧ ق هـ .(٥٧).

المُتعدي
قيس بن الخطيم (... - ٢ ق هـ)

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر الأوسي، كنيته أبو يزيد، فارس مقاتل شديد المراس وشاعر ممضٌ الهجاء. من شعراء قبيلة الأوس المشهورين في الجاهلية وأحد صناديدها، قتلت الخرزج أباه وهو صغير، فلما كبر قتل قاتل أبيه، ونشبت لذلك حروب بين قومه والخرزج، ولذلك أُشتهر عنه تتبعه قاتلي أبيه وجَدِّه حتى قتلهما، أدرك الإسلام، وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه.

يعدُّ أحد الشعراء الفحول، وروي أن الرسول ﷺ أعجب بشعره، وجعله ابن قتيبة من فحول شعراء القرى العربية، ومن الناس من يفضله على حسان.

معدود في الفرسان المشهورين، وقد أبلى بلاء عظيمًا في الوقائع التي دارت في الجاهلية بين الأوس و الخزرج، كانت بينه وبين حسان بن ثابت مناقضات، وكان يفخر فيها بقومه الأوس، وبوقائعهم مع قبيلة حسان الخزرج، ويعد مثالبها، وقد كان لقوله وقع شديد في نفوس الخزرجيين، والمناقضات التي كانت بينهما قبل الإسلام كان كلٌ منهما يفخر بمنزلة قومه وخصالها ووقائعها، وكان قيس يماثل حسان في المقدرة الشعرية، ومن أبرز نقائضهما القصيدتان النونيتان اللتان قيلتا بمناسبة يوم الربيع، وهو أحد وقائع الأوس والخزرج، يقول

حسان:

لقد هاج نفسك أشجانها ... وعاودها اليوم أديانها

تذكرتُ ليلى وأنى بها ... إذا قُطِّعت منك أقرانها

وحُجِّل في الدار غربانها ... وخفَّ من الدَّار سكانها

وغيَّرها معصرات الرِّياح ... وسحٌّ الجنوب وهتانها

ودوِّية سبسَب سملق ... من البيد تعزفُ جنَّانها

مهاةٌ من العين تمشي بها ... وتتبعها ثَمَّ غزلانها

وساءلتُ مترلة بالحمى ... وقد ظعن الحيُّ ما شأنها

... إلى آخرها، وهي طويلة فخر بها حسان بقومه وأفعالهم في يثرب، وقد تغزل بليلى أخت قيس ليثير غيرته وغضبه، وقد أجابه بنقيضة تغزل فيها بعمرة زوجة حسان بن ثابت ﷺ منها قوله:

أجدَّ بعمرة غُنيانُها ... فتهجُر أم شأننا شأنها

وإن تمسي شطَّت بها دارها ... وباح لك اليوم هُجرانها

فما روضة من رياض القطا ... كأن المصابيح حَوذانُها

بأحسنَ منها ولا مُزنةٌ ... دَلوحٌ نكشَّفُ أدجانُها

وعَمرةُ من سروات النسا ... ء تنفحُ بالمسك أردانُها

ونحن الفوارسُ يوم الربيـ ... ـع قد علموا كيف فُرسانها

جنبنا الجِراب وراء الصريـ ... ـخ حتَّى تقصَّف مُرَّانها

فَلَمَّا اِستَقَلَّ كَلَيثِ الغَريـ ... ـفِ زانَ الكَتيبَةَ أَعوانُها

تَراهُنَّ يُخلَجنَ خَلجَ الدِلا ... ءِ تَختَلِجُ النَزعَ أَشطانُها

وَلاقـــى الشَــقاءَ لَــدى حَربِنـــا ... دُحَــــيٌّ وَعَــــوفٌ وَإِخوانُهــــا
رَدَدنــــا الكَتيبَـــةَ مَفلولَـــةً ... بِهــــا أَفنُهــــا وَبِهــــا ذانُهــــا
وَقَـــد عَلِمـــوا أَن مَـــتى نَنبَعِـــث ... عَلــــى مِثلِهــــا تَـــذكُ نيرانُهــــا
ولـــولا كراهـــةُ ســـفك الـــدِّماء ... لعـــــاد ليثـــــرب أديانُهـــــا
ويَثـــرِبُ تَعلَـــمُ أَنَّ النَبيـــــ ... ـــتَ راسٍ بِيَثـــرِبَ ميزانُهــــا
حِسانُ الوُجــوهِ حِــدادُ السُــيو ... فِ يَبتَـــدِرُ المَجـــدَ شُــبّانُها
وَبِالشَــوطِ مِـــن يَثـــرِبٍ أَعبُـــدٌ ... سَـــتَهلِكُ في الخَمـــرِ أَثمانُهــــا
يهـــون علـــى الأوس أثمـــانُهم ... إذا راح يخطــــــرُ نشــــــوانُها
أَتَتـــهُم عَـــرانينُ مِـــن مالِـــكٍ ... سِـــراعٌ إِلى الـــرَوعِ فتيانُهــــا
وَقَـــد عَلِمـــوا أَنَّ مـــا فَلَّهُـــم ... حَديـــدُ النَبيـــتِ وَأَعيانُهـــــا

وقد عرَّض فيها بحسان وقومه وثلبهم، وكان شعره فيهم، وهجاؤه أيَّاهم سبب من أسباب حقدهم عليه، يُضاف إلى ذلك بلاؤه في حروبهم وإيقاعه بهم، وحين هدأت حروب الأوس والخزرج، تذكرت الخزرج هجاء قيس إياهم، ونكايته فيهم، فتأمروا لقتله، فلمَّا مرَّ قيس بحصن من حصون الخزرج رمي بثلاثة أسهم، وقع أحدها في صدره فأدى إلى مصرعه، ولم يلبث أن مات . (٥٨).

مَشهد الأحزان
حذيفة بن بدر (... - ...)

هـو حذيفـة بـن بـدر الفـزاري، يقـال لـه: "ربُّ مَعْـد" في الجاهليـة، يُضـرب بـه المثـل في سـرعة السِّير، عـاش في عصـر المنـذر بـن مـاء السـماء في الجاهليـة، قيـل:" سـار في ليلـة مسـيرة ثماني ليالٍ"، فضُـرب بـه المثـل: "مَسِير حذيفـة" وكـان قـد أغـار علـى هجـائن المنـذر بـن مـاء السـماء وسـار في ليلـة مسـيرة ثمـاني ليـال، فقال قيس بن الخطيم متمثلاً بـه:

هَمَمنـــا بالإقامـــة ثم سِـــرنا ... مســـير حـــذيفة الخـــير بن بدر

شـاعر مجيـد، يعـدُّ مـن أبطـال حـرب داحـس والغـبراء، وروي أنـه كـان يُحيًّا بتحيـة الملـوك، ويقـال لـه:" أبيـت اللعـن"، وروي عنه أنه كان خلوقًا متكلمًا، وكـان ألسـن قومـه، وهـو رئيسـهم في الوفـادة والمفـاخرة والمنـافرة. وقيـل:" كـان لا يثبـت على ظهر فرسه من شدة الركض وطول السير".

كتب على نفسه الشقاء حين وقع في مهاجاة مع زبَّان بـن سيَّار الفـزاري، فظفـر بـه يوم داحس والغبراء، يـوم الهبـاءه وهو يوم النصر لعبس على ذبيـان، وذلـك أنهـم تجمَّعـوا فـالتَقَوْا إلى جفر الهَبَاءة في يوم قـائظ فـاقتتلوا مـن بُكْـرة حتـى انتصـف النهار وحجَزَ الحر بينهم، وكـان حذيفـة يحـرقَ ركـوب الخيـل فخذيه وكـان ذا خَفْض فلما تحاجزوا أقبل حذيفة ومَنْ كـان

معه إلى جَفْر الهباءة ليتبرَّدُوا فيه فَقَال قيس لأصحابه: " إن حذيفة رجل محرق الخيل نازه، وإنه مستنقع الآن في جَفْر الهباءة هو وإخوته مانْهَضُوا فاتبعوهم، فنهضوا وأتوهم ونظر حصن بن حُذيفة إلى الخيل، ويقَال : عُيَينة بن حصن فَدهِش وانْحَدر في الجفر فقَال حَمَل بن بدر: " مَنْ أبغَضُ الناس إليكم أن يقف على رؤوسكم ؟". قَالوا: " قيس والربيع"، قَال: " فهذا قيس قد جاءكم"، فلم يَنْقَضِ كلامُه حتى وقف قيس وأصحابه على شفير الجفر وقيسٌ يقول: " لبيكم لبيكم (يعني: الصبية) وفي الجفر حذيفة و مالك وحَمَل بنو بدر فقَال حمل: " نَشَدْتك الرحم يا قيس".

فقَال قيس: " لبيكم لبيكم"، فعرف حذيفة أن لنْ يدَعهم فَنَهَرَ حَمَلاً وقَال: " إياك والمأثور في الكلام"، وقَال حذيفة: " بنو مالك بمالك، وبنو حمل بذي الصبية، ونردُّ السَّبْق"، قَال قيس: " لبيكم لبيكم"، قَال حذيفة: " لئن قتلتني لا تصطلح غَطفان أبدًا"، قَال قيس: " أبعَدكَ الله، قتلُكَ خيرٌ لغطفان سيربع على قدره كل سيد ظلوم".

وجاء قِرْوَاش بن هني من خلف حذيفة فَقَال له بعض أصحابه: " احذر قرواشا - وكان قد رباه فظن أنه سيشكر ذاك له – قَال: " خلُّوا بين قرواش وظهري"، فنزع له قرواش بمِعْبَلَةٍ (النصل الطويل العريض) فقصم بها صُلبه وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع فضرباه بسيفهما حتى

قـتلاه، ومَثَّلـوا بحذيفـة فقطعـوا مَـذَاكِيره فجعلوهـا في فمـه وجعلوا لسانه في استِهِ ، وقال زبَّان في ذلك:

أَلَمْ يَنْـهَ أَوْلاَدَ اللَّقِيطَـةِ عِلْمُهُـمْ بزَبَّـانِ إِذْ يَهْجُونَـهُ وهْـوَ نـائِمٌ
يُطيقون بالأَعْشَى وصُبَّ عَـلَيْهِمُ لِسَانٌ كصَدْرِ الهُنْدُوَانِيِّ صارِمُ
وإِنَّ قَتِـيلاً بالهَبَـاءَةِ في أسْـتِهِ صَحِيفَتُهُ إِنْ عـادَ لِلظُّلـم ظـالِمُ
مَتى تَقرَؤوها تَهـدِكُم مِـن ضَـلالكُم وتُعرَف إِذا ما فُضَّ عَنها الخَـواتِمُ
لَدى مَربطِ الأَفراسِ عِنـدَ أَبـيكُمُ حَذاكُم بِها صُـلبُ العَـداوَةِ حـازِمُ
فَـإِن تَسـأَلوا عنـدَ أَبـيكُمُ يُنَبِّئكَ عَنها مِـن رَواحَـةَ عـالِمُ
فَأَقسَمَ مُرتاحًا شَريكُ بـنُ مالِـكٍ إِذا ما اِلتَقَينا خَصـمَهُ لا يُسـالِمُ
وَأَقسَمَ يَأتي خُطَّـةَ الضَـيمِ طائِعًـا بَلى سَوفَ تَأتيها وَأَنفُكَ راغِـمُ

ولم أعثر على القصائد التي هجا بها زبان الفزاري .(٥٩).

المُغَامِر
عمرو الطَّائي (... - ...)

عمرو بن عمَّار الطَّائي، شاعر مقل، وخطيب جاهلي صاحب النعمان بن المنذر ونادمه، وقتله النعمان لأنه هجاه، وسبَّه وهزئ بقصره، والبرص الذي به، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر، وكان شديد العربدة، يعدو على ندمائه ويقتلهم ولم أعثر على قصائد له، وفي ذلك قال أحد جلسائه يرثيه، و هو أبو قردودة الطَّائي :

لقد نَهيت ابن عمَّار، وقلت له ... لا تقربن أحمر العينين والشعره
إن الملوك متى تنزل بساحتهم ... تطِر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا ... ومنطقًا مثل وشي اليمنة الحبره

وكان أبوقُردودة نهاه عن منادمته النعمان حتى لايتعرض لبطشه، فلم يصغ إلى نهيه، ووقع ماكان يخشاه هذا الشاعر .(٦٠).

الضائع
رَوح بن أبي هَمّام (... - ...)

هو رَوح بن أبي هَمَّام شاعر مُقلٌّ، ولم أعثر له على ترجمة، ولا أعرف في أي عصر عاش لكن الثابت هو أن الذي قتله شعره الذي يقول فيه:

أسقني يا أسامة ... من رحيق مدامة
أسقنيها فإني ... كافرٌ بالقيامة(٦١).

تطاول وبأد
كعب بن الأشرف (... _ ٣هـ)

هو كعب بن الأشرف من بني النضير أحد بني نبهان الطائيين ،يكنى أبا ليلى، شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح ، وأمه يهودية من بني النضير، يعدُّ فارسًا قويَّ الشكيمة، توفي أبوه وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله فنشأ فيهم. وساد أمرهم، وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة عاداه كعب بن الأشرف، إذ كان من أهل الحلقة والحصون، وكان ذا نفوذ كبير في قومه.

وقف ضد الإسلام بقوة، وبكى قتلى المشركين في غزوة بدر، وتغزل فيما بعد بنساء المسلمين نكايةً وإساءةً لهم، أخذ يحرض قومه وكفار قريش على المسلمين، وكان شعره سلاحًا حادًّا ذا خطر شديد على المسلمين، عادى النبي بشعره وآذاه ونال منه، ومن شعره في قتلى بدر قوله:

طحنت رحى بدرٍ لمهلك أهلهِ ... ولمثل بدرٍ تستهلُ وتدمعُ
قُتلت سُراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا إن الملوك تُصَرَّعُ
كم قد أُصيب به من أبيض ماجدٍ ... ذي بهجةٍ يأوي إليه الضُّيع
طلق اليدين إذا الكَواكبُ أخلفت ... حمضال أثقالٍ يسودُ ويربَعُ
ويقولُ أقوامٌ أسرُّ بسُخطهم ... إن ابن الاشرف ظلَّ كعبًا يجزعُ
صدقوا فليت الأرض ساعة قُتِّلوا ... ظلت تسوخُ بأهلها وتصدَّعُ
صار الذي أثرَ الحديث بطعنةٍ ... أو عاش أعمى مرعشًا لا يسمعُ

نبئــت أنَّ بــني المغــيرة كلــهم   خشعُوا لقتل أبي الحكيم وجُـدعُوا
وابنـا ربيعــة عنــده ومنبــة   مـا نـال مثـل المُهلكـين وتُبَّـعُ
نبئت أن الحـارث بـن هشـامهم   في النَّاس يبني الصـالحاتِ ويجمـعُ
ليـزور يثـرب بـالجموع وإنّمـا   يحمي على الحسبِ الكـريم الأروعُ

وحين كثرت إساءاته للمسلمين أمر الرسول ﷺ محمدَ بن سلمة ورهطًا من الأنصار بقتله فقتلوه ليلاً.

وفي خبر آخر: أن نفرًا في المسلمين استأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم فاستدرجوه فقتلوه بسبب أشعاره في هجاء المسلمين، وتشهيره بأعراضهم، وتشبيبه بنسائهم، والقصائد لا تُذكر هنا لقبحها، ولذلك فقد قتل بسبب تلك الكلمات النابية السيئة، والموجهة ضد الإسلام، والمسخرة ضد المسلمين.

وجاء خبر قتله في الطبقات الكبرى: " ... ثم سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وذلك لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرًا من مهاجر رسول الله ﷺ وكان سبب قتله أنه كان رجلا شاعرًا يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم، فلما كانت وقعة بدر كَبت وذلَّ، وقال: " بطن الأرض خير من ظهرها اليوم".

فخرج حتى قدم مكة فبكى قتلى قريش وحرضهم بالشعر ثم قدم المدينة فقال: " رسول الله ﷺ اللهم اكفني بن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر وقوله الأشعار"، وقال

أيضا: " من لي بابن الأشرف فقد آذاني"، فقال محمد بن مسلمة أنا به يا رسول الله، وأنا أقتله فقال افعل، وشاور سعد بن معاذ في أمره واجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس منهم: عباد بن بشر، وأبو نائلة سلكان بن سلامة، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، فقالوا يا رسول الله:" نحن نقتله فأذن لنا فلنقل"، فقال:" قولوا"، وكان أبو نائلة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة فخرج إليه فأنكره كعب وذُعِر منه، فقال:" أنا أبو نائلة إنما جئت أخبرك أن قدوم هذا الرجل كان علينا من البلاء، حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، ونحن نريد التنحي منه، ومعي رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعامًا وتمرًا ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة"، فسكن إلى قوله، وقال:"جيء بهم متى شئت".

فخرج من عنده على ميعاد فأتى أصحابه فأخبرهم فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى، ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه فمشى معهم حتى أتى البقيع ثم وجههم، وقال:" امضوا على بركة الله وعونه".

قال: وفي ليلة مقمرة فمضوا حتى انتهوا إلى حصنه فهتف له أبو نائلة، فوثب فأخذت امرأته بملحفته وقالت:" أين تذهب ؟ إنك رجل محارب"، وكان حديث عهد بعرس، قال:" ميعاد علي وإنما هو أخي أبو نائلة"، وضرب بيده الملحفة وقال:"

لو دعي الفتى لطعنة أجاب"، ثم نزل إليهم فحادثوه ساعة حتى انبسط إليهم وأنس بهم.

ثم أدخل أبو نائلة يده في شَعره وأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه: "اقتلوا عدو الله"، فضربوه بأسيافهم فالتَفّت عليه فلم تغن شيئًا ورد بعضها بعضًا، ولصق بأبي نائلة.

قال محمد بن مسلمة: "فذكرت مغولا (شبه السيف قصير) كان في سيفي فانتزعته فوضعته في سرته ثم تحاملت عليه فقططته (قطعته) حتى انتهى إلى عانته فصاح عدو الله صيحة ما بقي أطم (الحصن المبني بالحجارة) من آطام يهود إلا أوقدت عليه نار"، ثم حزوا رأسه وحملوه معهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه ثم انتهوا إلى رسول الله ﷺ فقال: "أفلحت الوجوه"، قالوا: "ووجهك يا رسول الله"، ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله" (٦٢).

المضطَرب
مالك بن نويرة (... - ١٢ هـ)

هو أبو حنظلة، مالك بن نويرة بن حميرة بن شدَّاد اليربوعي التميمي، من مشاهير العصر الجاهلي، وكان رجلاً سريًا نبيلاً يردف من الملوك في مجالسهم، وكان فارسًا مطاعًا في قومه، وكان فيه خيلاء، وله لمة كبيرة (أصحاب)، يقال له: فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه وفيه ضُرب المثل: "فتى ولا كمالك" ويضرب للرجلين ذوي الفضل إلا أن أحدهما أفضل.

أدرك الإسلام وأسلم، وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه بني يربوع، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها، وقال:

وقال رجالٌ: سدَّد اليوم مالكٌ ... وقال رجالٌ مالكٌ لم يُسدِّدِ
فقلت: دعوني لا أبًا لأبيكم ... فلم أحظ رأيًا في المقام ولا الندى
فدونكموها إنما هي مالكم ... مصدرة أخلاقها لم تجدد
وحلت خذوا أموالكم غير خائفٍ ... ولا ناظر فيما يجيء به غدي
سأجعل نفسي دون ما تحذورنه ... وأرهنكم يومًا بما قُلْتُه يدي
فإن قام بالأمر المجدَّدِ قائمٌ ... أطعنا وقلنا الدين دين محمدِ

ولما تنبأت سجاح اتبعها، ثم ندم على ذلك بعد أن تزوجت مسليمة الكذاب، فانصرف عنها وأقام بالبطاح، وحين حاربهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ظفر به وقتله.

وقيل:" إن سبب قتله، أنه قال لخالد بن الوليد ﷺ وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم (يعني النبي ﷺ) إلا وقد كان يقول كذا وكذا، فقال خالد: أوما تَعُدّه صاحبًا ؟ "ثم قدَّمه وضرب عنقه، وأعناق أصحابه.

وقيل:" إن خالدًا قال له: ألست القائل:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر   لعل المنايا قد دنون وما ندري

فقال مالك: ما قلت ذاك، ولو سمعني صاحبكم أقوله ما قتلني، فقال خالد ﷺ: تقول لرسول الله ﷺ صاحبكم، وليس بصاحبك اضربوا عنقه فقتل من ساعته" (٦٣).

المصير المفقود
السَّمهري العُكلي (... - ...)

هو السَّمهري بن بشر بن أوس بن مالك بن الحارث بن أمين العُكَلي، ويكنى أبا الديل، من شعراء الدولة الأموية بالعراق.

شاعر لصٌ من فُتاك العرب كانت له غارات على القوافل، وقبض عليه وسجن أكثر من مرة، فيهرب من سجنه بحيل كثيرة، وقُتل بعد طول حبس. وأراد السفر مرة مع تسعة نفرٍ ليقطعوا الطريق، فرأى غرابًا واقفًا على نابة، فقال لهم يا قوم: "إنكم تصابون في سفركم، فأطيعوني وارجعوا"، فأبوا عليه، فركب فرسه ورجع وسَلِم، وقُتل التسعة، فقال فيهم:

أَلا أَيّها البَيتُ الذي أَنا هاجِرُهُ — فَلا البَيتُ مَنسِيّ وَلا أَنا زائِرُه
أَلا طَرَقَت لَيلى وَرِجلي رَهينَةٌ — بِأَشهَبَ مَشدودٍ عَلَيَّ مَسامِرُه
فَإِن أَنجُ يا لَيلى فَرُبَّ فَتىً نَجا — وَإِن تَكُنِ الأُخرى فَشيءٌ أُحاذِرُه
وَما أَصدَقَ الطَيرَ الَّتي بَرَحَت بِنا — ومَا أَعيَفَ اللهبي لا عَزَّ ناصِرُه
رأيت غُرابًا واقفًا فوق نابَةٍ — يُنَشنشُ أعلى ريشه ويطايره
فقلت: ولو أني أشاء زجرته — بنفسي للهنديِّ هل أنت زاجره؟
فقال غرابٌ باغتراب من النّوى — وبانٌ ببينٍ من حبيب تحاذره
فَكانَ اِغتِرابٌ بِالغُرابِ وَنيَّةٌ — وَبِالبانِ بَينٌ بَيِّنٌ لَكَ طائِرُه
فما أعيفَ العُكلي لادرَّ درُّه — وأزجره للطير لاعزَّ ناصره

كان نديمًا لعبد الرحمن بن مانع بن دارة، ولما قتله بنو

أسد هجاهم عبد الرحمن بن مسافع في قِصيدة يحرض بها قبيلةُ عُكلٍ للأخذ بثأره، منها قوله:

ويا راكبًا إما عرضت مبلغًا ... على نأيهم مني القبائل من عُكل
وكيف تنام الليل عُكل ولم تنل ... رضا قودٍ بالسمهري ولا عقل؟
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتُوقد نار الحرب بالحطب الجزل
وإن أنتمُ لم تأثروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل
وبيعُوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل

قال وهو في السجن يهجو قبيلته:

لقد جمع الحدَّاد بين عصابةٍ ... تساءل في الأسجان ماذا ذنوبها
مقرَّنة الأقدام في السجن تشتكي ... ظنابيب قد أمست مُبيَّنا عُلوبها
بمنزلة أمَّا اللئيم فآمنٌ ... بها وكِرام القومِ بادٍ شحوبها
إذا حرسي قِعقعَ الباب أُرعدت ... فرائص أقوامٍ وطارت قلوبها
نرى الباب لا تستطيع شيئًا وزاده ... كأنَّا قُني أسلمتها كعوبها
ألا ليتني من غير عُكلٍ قبيلتي ... ولم أدرِ ما شُبَّان عُكلٍ وشيبها
قبيلة لا يقرع الباب وفدها ... بخير ولا يأتي السَّداد خطيبها
فإنْ تكن عُكلٍ سرَّها ما أصابني ... فقد كنتُ محبوبًا على من يَريبها

وجاء في خبر مقتله: أنه لقي هو وبَهْدل ومروان بن قُرفَة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية، وهو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة،

فقالوا له:" العُراضة (أي: مر لنا بشيء)، فقال:" يا غلام، جفن لهم"(ضع لهم الطعام)، فقالوا:" لا، والله ما الطعام نريد"، فقال:" عرِّضهم"، فقالوا:" ولا ذلك نريد"، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم، وكان بَهدل لا يسقط له سهم، فرمى عونًا فأصابه، فلما قتلوه ندموا فهربوا، ولم يأخذوا إبله، فتفرقت إبله، ونجا خاله الطائي، إما عرفوه فكفوا عن قتله، وإما هرب ولم يعرف القتلة، فوجد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي.

وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف، وهو عامله على العراق، وإلى هشام بن إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون، ويبالغوا في ذلك؛ وأن يأخذوا السعاة به أشد أخذ، ويجعلوا لمن دل عليهم جُعله، وعاش السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله.

ثم مر بنخل، فقالت عجوز من بني فزارة: "أظن والله هذا العكلي الذي قتل عونًا"، فوثبوا عليه فأخذوه، ومر أيوب بن سلمة المخزومي بهم، فقالت له بنو فزارة:" هذا العكلي قاتل عون ابن عمك"، فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة، فجحد وأبى أن يقر، فرفعه إلى السجن فحبسه.

وزعم آخرون: أن بني عذرة أخذوه فلما عُرفت إبل عون في يدي شافع بن واتر اتهموه بقتله فأخذوه، وقالوا:" أنت

فرقتنا، قتلت عونًا"، وحبسوه في صِل (ماء لبني أسد)، وجَحد ذلك، وهو يعرف من قتله، إما أن يكون كان معهم، فوَرى عنهم، وبرأ نفسه، وإما أن يكون أودعوها إياه، أو باعوها منه، فقال شافع:

فإن سركم أن تعلموا أين ثأركم — فسلمي معان وابن قرفة ظالم
وفي السجن عكلي شريك لبَهدل — فلولا ذُباب السيف من هو حازم
فو الله ما كنا جناة ولا بنا — تأوب عونًا حتفه وهو صائم

فعرفوا من قتله، فألحوا على بَهدل في الطلب، وضيقوا على السمهري في القيود والسجن وجحد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السهمري أيقنت نفسه أنه غير ناج، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب، وقد شغل الناس بالصلاة فك إحدى حلقتي قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة، فولج غارًا من الحرة.

وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه، وغلقوا أبوابهم، وقال لهم الأمير:"اتبعوه"، فقالوا:" وكيف نتبعه وحدنا؟"، فقال لهم:" أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون وحدكم؟"، فقالوا:" أرسل معنا الأبليين"، (وهم حرس وأعوان من أهل الأبلة)، فأعجزهم الطلب.

فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى، وقضى ليلته طلقًا، فأصبح وقد قطع أرضًا بعيدة، فبينا هو يمضي إذ نعب

غراب عن شماله فتطير، فإذا الغراب على شجرة بان ينشنش ريشه ويلقيه، فاعتاف شيئاً في نفسه فمضى، وفيها ما فيها، فإذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك، فسأله: من أنت ؟ قال:" رجل من لهب من أزد شنوءة أنتجع أهلي"، فقال له:" هل عندك شيء من زجر قومك ؟"، فقال: "إني لآنس من ذلك شيئًا"، (أي: لأبصر)، فقص عليه حاله غير أنه ورى الذنب على غيره، وخبره عن الغراب والشجرة، فقال اللهبي:" هذا الذي فعل ما فعل، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب"، فقال السمهري: "بفيك الحجر"، فقال اللهبي:" بل بفيك الحجر، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضب".

ثم مضى حتى وصل بلاد قضاعة، ثم سار حتى أتى أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكرًا، ويستحلب الرعيان اللبن، فيحلبون له،ويسألهم عن خيارها وليس شيئًا إلا ليركبها فيهرب بها، وحين عرف خيارها وتحين الغفلة منهم وثبَ عليها فانطلقت تطير به وذلك في آخر الليل، فلما أصبحوا فقدوها، وفقدوه، فطلبوه في الأثر.

فمر برجل من بني أسد، ثم من بني فقعس فقال:" أجيرًا متنكرًا"، فحلبا له، فشرب ومضى لا يعرفانه، وذهبا، ثم لبث السمهري ساعة، وكرا راجعين ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدث امرأة بني فقعس، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة، وإذا كدوح طرية، فأخبر أخاه بذلك فنظر، فرأى

ما أخبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: "هذا والله السمهري الذي جُعل فيه ما جعل"، فاتفقا على الإمساك به فوثبا عليه فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون عدي، فدفع إليه، فقال السمهري: " أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا ؟ ادن أخبرك"، فأراد الدنو منه، فنودي: "إياك والكلب"، وإنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه . (٦٤).

النهاية المضطربة
عبد الرحمن بن مسافع (... _ ...)

هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة، وقيل هو: عبد الرحمن بن ربعي بن مسافع، وأخوه مسافع بن مسافع، وسالم بن مسافع بن دارة وكلهم شعراء، ودارة لقب غلب على جدهم، ومسافع أبوهم، وهو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن عدي بن جشم بن عوف بن قيس عيلان بن مضر، شاعر إسلامي في شعره جودة وأصالة.

وهو من الشعراء المقلين، كان صديقًا وأخًا ونديمًا للسمهري العكلي الشاعر المعروف، ولما حبسته بنو أسد وقتلته وبعثت به إلى السلطان قال يهجوهم ويحرض قبيلة عُكل على بني أسد ويستعديهم:

إن يمسَّ بالعينين سقمٌ فقد أتى ... لعينيكِ من طول البكاء على جمل
هَيم بها لا الدهر فان ولا المنى ... سواها ولا تسلى بنأي ولا شغل
يقولون: إزل حب جمل وقربها ... وقد كذبوا ما في المودة من إزل
كلانا يذود النفس وهي حزينة ... ويضمر وجدًا كالنوافذ بالنبل
ويا راكبًا إما عرضت فبلغن ... على نأيهم مني القبائل من عكل
بأن الذي أمست تجمجم فقعس ... إسار بلا أسر وقتل بلا قتل
وكيف تنام الليل عكل ولم تنل ... رضى قود بالسمهري ولا عقل؟
فلا صلح حتى تنحط الخيل في القنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل
علام تمشي فقعس بدمائكم ... وما هي بالفرع المنيف ولا الأصل؟

وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه أذل على وقع الهوان من النعل

وهي قصيدة طويلة فاعتضه الكميت بن معروف الفقعسي فعيره بقتل زميل الفزاري سالم بن دارة وقال:

فلا تكثروا فينا الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

ولكن عبد الرحمن أكثر من سب بني أسد وهجائهم، وأسرف في كيل الذم لهم فترصدوه وظفروا به، فتآمروا في قتله، فقال بعضهم:" لا نقتله، ولكن نأخذ عليه أن يمدحنا، فنحسن إليه، فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه"، فأتى رجل منهم كان قد آلمه بهجائه فضربه بسيفه فقتله، وقال:

قتل ابن دارة بالجزيرة سَبنا وزعمت أن سِبابنا لا يُقتل

.(٦٥)

هجاءٌ وفناء
سالم بن دارة (... - ٣٠ هـ)

هو سالم بن مسافع بن يربوع الغطفاني القيس الأسدي، وأمه دارة الأسديه، وقد نُسب إليها سالم لحسنها وجمالها، وشبهت بدارة القمر. شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من الشعراء المجيدين غير أنه اشتهر بالهجاء، وهو الذي سبب هلاكه.

وقعت بينه وبين مرَّة بن واقع الفزاري عداوة كبيرة، وذلك أن مرَّة كان من وجهاء بني فزارة، وطلّق امرأته ثم أراد إرجاعها، غير أن ثلاثة رجال تقدموا لخطبتها قبل أن يعاودها، فلجأ إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ وهو والٍ على الشام من قِبل عثمان بن عفان ﷺ فقال له معاوية: "لقد ذكرت أمرًا صغيرًا في أمرٍ عظيم، أمر الله عظيم، وامرأتك أمرها صغير، ولا سبيل لك عليها". وكانت المرأة قد اختارت أحد الخطّاب فتزوجته، فقال ابن دارة أبياتًا يعيّر فيها مرة الفزاري بإرجاع زوجته، يقول:

يا مرُّ يـــا بـــن واقـــع يـــا أنتـــا　　أنت الـــذي طلقـــت لَّمـــا جُعْتـــا
فضـــمَّها البـــدري إذْ طلقّتـــا　　حتَّـــى إذا اصـــطبحت واغتبقتـــا
أصـــبحت مرتـــدًا لمـــا تركتـــا　　أردت أن ترجعهـــا كـــذبتا
أودى بنـــو دارةٍ بهـــا وأنتـــا　　تقسم وسط القـــوم مـــا فارقتـــا
قـــد أحســـنَ اللهُ وقـــد أســـأتا　　فأدِ رزقها الـــذي الـــذي أكلتـــا

وحين وصلت القصيدة إلى مسامع مرَّة اضطغنها على سالم ابن دارة، وأقسم أن يهجوه وينال منه، غير أن سالمًا لم يكفُ عن هجاء الفزازين حتى جاءت الطامة الكبرى، في قصيدته اللاذعة التي يقول فيها:

بلّـــغ فـــزارة إني لـــن أصـــالحها　　حتَّـــى (....) زميـــل أم دينـــار
لا تـــأمننَّ فزاريًّـــا خلـــوتَ بـــه　　على قلوصـــك واكتبـــها بأســـيار
لا تأمننـــه ولا تـــأمن بوائقـــه　　بعد الذي امتّل (....)العير في النَّار
إنِّـــي أخـــاف عليهـــا أن يبيتـــها　　عاري الجـــواعرِ يغشـــاها بقســـبار
أطعمتم الضـــيف جوفانًـــا مخاتلـــة　　فلا سقاكم إلهـــي الخـــالق البـــاري
أنا ابن دارة معروفًـــا بهـــا نســـبي　　وهل بـــدارة ياللنَّـــاس مـــن عـــار
جرثومة نبتت في العـــزِّ واعتـــدلت　　تبغي الجراثيم من عـــرف وإنكـــار
من جَذم قيسٍ وأخوالي بنـــو أســـد　　من أكرمِ الناس زنـــدي فـــيهمُ واري

وفي هذه القصيدة يرمي الفزاريين بالمنقصة، ويخزيهم بالفعل الشائن، الذي ثبَّت عليهم العار طويلاً، حين جسَّم فيها السلوك السيء الذي كان الفزاريون يُرمون به، وهو غشيان

الإبل، (أي: مواقعتها).

وسالم في قصيدته ينصح أهل الإبل في سفرهم مع الفزاريين بربط عوارتها، وإخفائها عن الفزاريين متى ما خلوا معهم في طريق. وبسبب تلك القصيدة اللاذعة أصبح لا يُذكر سالم بن دارة إلا ويُذكر معه تلك القصيدة، لأنها بحقٍّ ثبتت العار على الفزاريين وذكرتها مصادر الأدب واستشهدت ببعض أبياتها.

وصلت القصيدة إلى مسامع رجل منهم اسمه زُميل بن أُبَير فغضب، ولجَّ في غضبه، وأقسم أن لا يأكل لحمًا، ولا يغسل رأسه، ولا يأتي امرأة حتى يقتل سالم بن بدارة، فراقبه طويلاً، وجدَّ في أمره حتى لقيه في المدينة يومًا فتبعه ثم ضربه بالسيف غير أنه لم يقتله، فحُمل إلى عثمان بن عفان ﷺ فأرسله إلى طبيب نصراني فعالجه وأوشك أن يبرأ من جراحه، غير أن امرأة من فزارة رشته بالمال فدَّس له السُّم، وقيل: إنَّه أجهز عليه لأنه وجده يلاعب زوجته. وقيل: إن زميل بن أبير هو من قتله وقال في ذلك:

أَنَا زُمَيْلٌ قاتِلٌ ابْنِ دَارَهْ ... وراحِضُ المَخْزَاةِ عن فَزارهْ

وهكذا دفع سالم بن دارة حياته ثمنًا لأبيات تؤكد ما يحتمله الشعر من أهمية بالغة في تغيير الحياة الاجتماعية، ورسم معالم حياة أخرى يهنأ فيها الإنسان متى ما فكر في قوله قبل مقوله، فالله – سبحانه وتعالى – خلق الإنسان ومنحه

العقل ليفكر به ويدبِّر، والذوق ليوازن بين الجميل والقبيح، فإذا لم يتدبر، ولم يتذوق لم يكن جديرًا بنعمة الله عليه.(٦٦)

تجاوز وموت
عبد بني الحسحاس (... - ٤٠ هـ)

هو سُحيم، عبدٌ حبشي اشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بطون أسد، أحد الشعراء المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان عبدًا نوبيًّا أعجميًا، وكان ينطق العربية بلكنة نوبية، غير أنه أوتي ملكة الشعر، ويروى أنه أدرك ﷺ وأنه تمثل بشطر من شعره ولكنَّه قدم وأخر في الكلمات، وأنقص من لفظه فاختل وزن البيت، قال ﷺ: "كفى بالإسلام والشيب ناهيًا" وأصل البيت قول سُحيم:

عُمَيرة ودِّع إن تجهزت غاديًا   كفى الشَّيب والإسلامُ للمرء ناهيًا

فقال له أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله: "كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا"، وحين لم يستقم للرسول ﷺ روايته على الوجه الصحيح، قال له أبو بكر ﷺ: أشهد أنك رسول الله" ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

كان سُحيم قبيح الوجه، وقد قال يصف ذلك مرارًا، ويدفع عن نفسه معرة السَّواد:

أشعار عبد بن الحسحاس قمن له   عند الفخار مقام الأصل والورقِ
إن كنتُ عبدًا فنفسي حرةً كرمًا   أو أسود اللون إنِّي أبيض الخلقِ

وذُكر عنه أنه كان ميالاً إلى حياة العبث واللهو،

والمغامرات الغزلية، وقد جاءت عنه أشعار لا يتورع فيها عن ذكر ما يحصل له من النِّساء في تلك الخلوات، رغم ما يكتنف ذلك من غموض وهل هي صحيحة أو أملاها عليه خياله. وذُكر أن عمر بن الخطاب ﷺ سمعه يُنشد بعض أبياته فقال له: "ويلك إنك مقتول".

وقد كان سُحيم يميل إلى فضح النساء، والتشهير بهن في قصائده، ويدفعه إلى ذلك التباهي والمغامرة، وقد يكون لِدَعة منزلته، وضِعة أصله سبب في هذه العقدة النفسية التي لا زمته إلى مقتله، وفيها كن يجد تعويضًا اجتماعيًا لما يفتقده في مجتمع شديد التمسك بالأصول والأعراف والعادات.

لقد كان سحيم ينشر تلك الحكايات دون تحرُّج أو تحشم، مما زايد الشعور بالنقيصة والفضيحة بين أبناء القبيلة فاتخذوا الإجراء الصارم لوقف مسلسل تلك المهازل حين اجترأ سحيم على التشبيب بنساء مواليه كثيرًا، وقال قصائد عدَّة منها التي يشبب فيها بأخت مولاه، وكانت عليلة، فيقول:

ماذا يريدُ السِّقام من قمرٍ ... كل جمالٍ لوجهه تبعُ
ما يرتجى جار من محاسنها ... أما له في القِباحِ متسعٌ
غيَّر من لونها وصفَّرها ... فزيد فيه الجمال والبِدعُ
لو كان يبغي الفِداء قلتُ له ... ها أنا دون الحبيب يا وجعُ

وقال يصف إحدى مغامراته:

كــأن الصــبيريات يــوم لقيننــا ... ظباء حنــت أعناقهــا في المكــانس
وهنَّ بنات القوم إن يشــعروا بنــا ... يكن في بنات القــومِ إحــدى الــدَّهارس
فكم قد شــققنا مــن رداءٍ ومئــزر ... ومن برقع عن نــاظر غــير نــاعس
إذا شُقَّ بــردٌ شُــقَّ بــالبرد برقــعُ ... وواليك حتَّــى كلنــا غــير لابــس

وغير ذلك كثير في بعض قصائده مما يُستقبح ذكره هنا، وبخاصة قصيدته "اليائية" التي منها:

عُمَيرةَ وَدِّع إن تَجَهَّــزتَ غَادِيــا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا
جنونًا بها فيمــا اعتشــرنا عُلالــةً ... غلاقةَ حــبٌّ مستســرًا وباديــا
ليــالي تصــطادُ القُلــوبَ (... ... ...) النبــتِ عافيــا
وجيدٍ كجيد الريم لــيس بعاطــلٍ ... من الدرِّ والياقوتِ والشذرِ حاليــا
كأن الثُّريا عُلقــت فــوق نحرهــا ... وجمرَ غضىً هبت لهُ الريحُ ذاكيــا
إذا انــدفعت في ريطــةٍ وخميصــةٍ ... ولاثت بأعلى الردفِ بُردًا يمانيــا
تُريك غداةَ البينِ كفًّــا ومعصــمًا ... ووجهًا كــدينارِ الأعــزةِ صــافيا
فما بيضةٌ بــاتَ الظلــيمُ يحُفُّهــا ... ويرفعُ عنــها جؤجــؤًا مُتجافيــا
ويجعلــها بــينَ الجنــاحِ ودفــهِ ... (...) وحفًــا مــن (...) وافيــا
فيرفعُ عنها وهــي بيضــاءُ طَلــةُ ... وقد واجهت قرنًا من الشمس ضاحيا
بأحسن منها يومَ قالــت أراحِــلُ ... مع الركب أم ثــاوٍ لــدينا لياليــا
فإن تثوِ لا تُملل وإن تضحِ غاديًــا ... تُزود وترجع عن عمــيرةَ راضــيا
ومن يكُ لا يبقى على النــأيِ ودهُ ... فقــد زودت زادًا عُمــيرةُ باقيــا
ألكــني إليهــا عَمــركَ يــا فــتىً ... بآية مــا جــاءت إلينــا تهاديــا
تهــادي ســيلٍ في أبــاطحَ ســهلةٍ ... إذا ما علا صمدًا تفــرَّعَ واديــا

ففاءت ولم تقضِ الذي هــو أهلــهُ ... ومن حاجةِ الإنسانِ ما ليسَ لاقيــا
وبتنـــا وســـادانا إلى علجانـــةٍ ... وحقفٍ تهـاداهُ الريــاحُ تهاديــا
(....) كفًـــا (....) بمعصـــمِ ... عليَّ وتحــوي (....) مــن (....)
وهبت لنا ريــحُ الشــمالِ بقــرَّةٍ ... ولا ثــوبَ إلا بُردُهـــا وردائيـــا
فما زال بردى طيبًــا مــن ثيابهـا ... إلى الحولِ حتى أنهجَ الــبردُ باليــا
ألا يا طبيـــب الجــن بــالله داوني ... فإن طبيب الإنس أعياه مــا بيــا
فقـــال دواء الحـــب أن (... ... ...) إذا كـــان خاليـــا
سقتني على لوحٍ من المــاء شــربةً ... سقاها بها الله الــذّهاب الغواديـــا
وأشهدُ عنــد الله أن قــد رأيتــها ... (... ... ...) مــــن ورائيـــا
(... .....) وأتقـــــــــــــي ... بها الريح والشفانَ من عن شماليـــا
ألا أيها الوادي الذي ضــمَّ ســيلُهُ ... إلينا نوى الحسناءِ حُييــتَ واديـــا
فيـــاليتني والعامريــــة نلتقــــي ... نرودُ لأهلينـــا الريــاضَ الخواليـــا
وما برحت بالــديرِ منــها أثــارة ... وبـــالجوِّ حـــتى دمَّنَتـــهُ لياليـــا
فإن تُقبلـــي بـــالودَّ أقبـــل بمثلـــهِ ... وإن تُدبري أذهب إلى حالٍ باليـــا
أَلم تعلمـــي أني صـــرومُ مواصـــلُ ... إذا لم يَكُن شيءٌ لشـــيءٍ مواتيـــا
وما جئتها أبغـــي الشـــفاء بنظـــرةٍ ... فأبصـــرتها إلا رجعـــت بـــدائيا
ولا طلع النجم الذي يُهتـــدى بـــه ... ولا الصبح حتى هيجا ذكرها ليـــا
أشوقا ولمـــا يمـــض لي غـــير ليلـــةٍ ... رويد الهوى حـــتى يغيـــب لياليـــا
وما جئن حتى كل من شاء وابـــتنى ... وقلن (... ...) وكـــنّ عواديـــا
ألا نـــادِ في آثـــارهنَّ الغوانيـــا ... سُـــقين سمامًـــا مـــالهُنَّ وماليـــا
تجمعن من شـــتَّى ثلاثًـــا وأربعًـــا ... وواحـــدة حتَّـــى كملـــن ثمانيـــا

سليمي وسلمى والربـــاب وتربهـــا ... وأروى وريـــا والمـــنى وقطاميـــا
وأقبلن من أقصى الخيـــام يعـــدنني ... بقيَّـــة مـــا أبقـــين فصـــلاً يمانيـــا
يعدن مريضًا هن قـــد هُجْـــن داءه ... ألا إنمـــا بعـــض العوائـــد دائيـــا
وراهنَّ ربي مثل مـــا قـــد وريـــنني ... وأحمى علـــى أكبـــادهن المكاويـــا
وقائلـــةٍ والـــدمعُ يحـــدرُ كحلـــها ... أهذا الذي وجدا يُبكـــي الغوانيـــا
فلم أر مثلـــي مُســـتغيثًا بشـــربةٍ ... ولا مثل ســـاقينا المصـــرَّدِ ســـاقيا
وســـربُ عـــذاري (... ... ...) ... من الليـــل قـــد نازعتـــهُنَّ (...)
تبصر خليلي هل ترى مـــن ظـــائنٍ ... تحملنّ من جنبى شروري غواديـــا
تأطرنَ حتى قُلتُ لســـنَ بوارِحًـــا ... ولا لاحقـــاتِ الحـــيِ إلا ســـواريا
أخذن على المقراةِ أو عـــن يمينـــها ... إذا قلتُ قد ورَّعنَ أنـــزلنَ حاديـــا
أشارت بمـــدراها وقالـــت لِتربهـــا ... أعبدُ بني الحسحاس يُزجي القوافِيا
رأت قتبًـــا رثًـــا وســـحقَ عبـــاءةٍ ... وأسودَ مِمّا يملكُ النـــاسُ عاريـــا
وما ضرَّني إلا كما ضـــرَّ خضـــرمًا ... من البحرِ خُطاف حسا منهِ ماضيا
فقل للغواني: ما لَهُـــنَّ ومـــا ليـــا ... تســـاقينَ سمـــا إذ رأيـــنَ خياليـــا
يُـــرجِّلن أقوامًـــا ويتـــركُنَ لمَّـــتي ... وذاكَ هوانُ ظـــاهر قـــد بـــداليا
أغاليُ أعلـــى اللهُ كعبـــكَ عاليـــا ... وروى بريـــاكَ العظـــام البواليـــا
أغالي لو أَشكو الذي قد أصـــابني ... إلى جبلٍ صعبُ الذُرى لانحنى ليـــا
أغاليُ ما شمسُ النـــهارِ إذا بـــدَت ... بأحسن مما بـــينَ برديـــكَ غاليـــا
أُغـــالي عُلـــيني بريقـــكِ عُلَّـــةً ... تكُـــن رمَقـــي أو عـــن فُؤاديـــا
تَحدَّرنَ من تلك الهضاب عشـــيَّةً ... إلى الطلعِ يبغين الهوى والتصـــابِيا
فلو كنـــتُ وردًا لونـــهُ لعشـــقنني ... ولكـــنَّ رَبي شـــائني بســـواديا

فما ضرَّني أن كانت أمّــي وليــدةً ... تصرُّ وتــبري باللقــاحِ التواديــا
تعاورنَ (... ...) وأبقــينَ مُــذهبًا ... من الصَّوغِ في صُغرى بنانِ شماليــا
وقُلن ألا يا العــبن مــا لم يردْنــا ... نُعاسُ فإنــا قــد أطلنــا التنائيــا
لعــــبنَ (... ...) جنابُــــهُ ... وألقينَ عــن أعطــافهنَّ المراديــا
وقُلن لمثــلِ الــرئمِ أنــت أحقُّنــا ... بــرع الــرِداء إن أرَدت تخاليــا
فقامت وألقــت بالخمــارِ مدلــةً ... تفادي القُباحُ السودُ منها تفاديــا
وما رمنَ حتى أرســلَ الحيُّ داعــيا ... وحتَّى بَدا الصُبحُ الذي كانَ تاليــا
تَمارين حتّى غــابَ نَجــمُ مَكيــدٍ ... وَحتّى بَــدا النَجمُ الَّذي كانَ تالِيا
وَحتّى استَبانَ الفَجرُ أشقَرَ ســاطِعًا ... كأنَّ عَــلى أعلاهُ سِبّــًا يَمانيــا
وأصبَحنَ صَرعَى في البُيوتِ كأنَّمــا ... شَرِبــنَ مُــدامًا مــا يُجبنَ المُنادِيا
فَعزَّيتُ نَفسي واجتَنَبــتُ غَــوايَتي ... و قَرَّبــتُ خُــرجوجَ العَشيَّةِ ناجيا
مَروحًا إذا صــامَ النَهــارُ كأنَّمــا ... كَسَوتُ قُتودي ناصِعَ اللَونِ طاوِيا
شَبوبًا تَحامــاهُ الكِــلابُ تَحامِيــا ... هُوَ اللَيثُ مَعدُوًّا عَليــهِ وَعادِيــا
حَمَتهُ العَشــاءَ لَيلَــةُ ذاتُ قِــرَّةٍ ... بِوَعساء رَملٍ أو بِحَزنــانَ خالِيــا
يَثيرُ ويُبدي عَــن عُــروقٍ كأنَّهــا ... أَعِنَّــةُ خَــرّازٍ جَديــداً وَباليــا
يُنَحّي تُراباً عَن مَبيــتٍ ومَكــنِسٍ ... رُكاما كَبَيــتِ الصَــيدَنانيِّ دانيــا
فَصَبَّحَهُ الرَامي مِنَ الغَوثِ غُــدوَةً ... بِأكلُبه يُغري الكِــلابَ الضَــوارِيا
فَجــالَ عَلــى وَحشــيِّه وتَخالُــهُ ... عَلى مَتنِهِ سِــبّاً جَديــداً يَمانيــا
يَذودُ ذيادَ الخامِسات وقَد بَــدَت ... سَوابِقُها مِــنَ الكِــلابِ غَواشِــيا
فَدَع ذا ولَكِن هَل تَرى ضَوءَ بارِقٍ؟ ... يُضِــيُ حَبِيّــاً مُنجِــدًا مُتَعالِيــا
يُضيءُ سَناهُ الهَضبَ هَضبَ مُتالِعٍ ... وجُبَّ بِذاكَ الهَضبِ لَو كانَ دانِيــا

نَعمــتُ بِهِ عَينــا وأَيقــنتُ أَنَّــهُ ... يَحُطُّ الوعولَ والصُخورَ الرَواسِــيا
فَما حَرَّكَتهُ الريحُ حتّــى حَسِــبتُهُ ... بحَــرَةِ لَيلــى أَو بنَخلَــةَ ثاوِيــا
فَمَرَّ عَلى الأَنهــاءِ فــالتَجَّ مُزنُــهُ ... فَعقَّ طَويلاً يَسكُبُ المــاءَ سَــاجيا
رُكاماً يَسُحُّ الماءَ مِــن كُــلِّ فيقَــةٍ ... كَما سُقتَ مَنكوبَ الوابِرِ حافِيــا
ومَرَّ عَلى الأَجبالِ أَجبــالِ طَيِّــئٍ ... فغادَرَ بالقيعــان رَنقــاً وصــافياَ
أَجَشُّ هَــزيمٌ سَــيلُهُ مَــعَ وَدقِــهِ ... ترى خَشَبَ الغُلّان فِيــهِ طَوَافِيــا؟
لَهُ فُــرَّقٌ جُــون يُنَــتَّجنَ حَولَــهُ ... يُفقِّئنَ بالميثِ الــدِّماثِ السَّــوابيا
فَلَمّــا تَــدَلّى لِلجبــالِ وأَهلِهــا ... وأَهلِ الفُراتِ جاوَزَ الجَوَّ ضــاحِيا
أَثارَ خَنــازيرَ السَــوادِ اِرتِجــازَهُ ... وَجادَت أَعاليــهِ العَقيــقُ الُمعالِيــا
بَكى شَجَوهُ واغتاظَ حَتّى حَسِــبتُهُ ... مِنَ البُعدِ لَمّا جَلجَلَ الرَعدُ حادِيــا
فأَصبَحتِ الثِيرانُ غَرقى وأَصبَحَت ... نساءُ تَمــيمٍ يَلــتَقِطنَ الصَياصِــيا
وَإِلّا فخَــوُّ حــينَ تَنــدى دِمائُــهُ ... عَلَيَّ حَرامٌ حــينَ أَصــبَحَ غادِيــا
فإن تَرتَحِل شــاماً فَشَــاما نــودُّه ... وَإِنَّ يمناً فَالقَلــبُ صَــبٌّ يَمانِيــا

ولما أفرط في التغزل بنساء مواليه، وذكر الأشعار التي تصف جمالهن ومحاسنهن عزم بنو أسد على قتله فرصدوه حتى أمسكوه وأوثقوه ثم سجنوه مدة قصيرة وحفروا له أخدودًا ، وحينما قدموه للقتل، أخذوه وهو شارب ثمل، فهزئت به امرأة منهم وهو على تلك الحال شماتة به، فقال:

فإنْ تهزئــي منّــي فيــا ربَّ ليلــةٍ ... جعلتكِ فيهــا كالقبــاءِ المفــرَّجِ

ومرَّت التي اتهموه بها ، فأهوى لها يده فضربوه، فقال:

فإنْ تقتلوني تقتلــوني وقــد جــرى لهــا عــرقٌ فــوقَ الفــراشِ وماءُ

فشـدوا وثاقـه للقتـل فلـم يخـف مـن المـوت، وقـال بيتـين يظهر فيهما استخفافه بالهلاك، وشماتته بمواليـه، ويفخـر بمـا صنعه بنسائهم، ويفرغ بعض حقده الدفين لينـتقم مـن مالكيـه وأسياده، يقول:

شُدُّوا وثاق العبــد لا يفلــتكم إنَّ الحيــاة مــن الممــات قريــبُ
فلقد تحدَّر من جــبين فتــاتكم عرقٌ على مــتنِ الفــراش وطيــبُ

فألقوه في الأخدود، ثم ملؤوا الأخدود حطبًا وأحرقوه فيه. (٦٧).

بئس الصُّحبة
هُدبة بن خَشرم (... _ ٥٠ هـ)
وصاحبه زيد بن زيادة (... _ ٥٤ هـ)

هدبة بن خشرم بن كرز بن ثعلبة من سعد هذيم من قضاعة. شاعر جاهلي فصيح من أهل بادية الحجاز من قبيلة عذرة، وأمه شاعرة هي حية بنت أبي بكر بن أبي حية، وهو شاعر مجيد فَلَق كثير من الأمثال، والحكم في شعره. وكان هدبة راوية الحطيئة، وجميل راوية هدبة.

صاحبه زيادة بين زيد بن مالك بن الحارث بن ثعلبة الكاهن بن عبد الله بن أسلم بن قضاعة العذري. وهو الآخر حكيم نصيح. شاعر إسلامي من شعراء صدر الإسلام يميل إلى شعر المطولات، إذ أنه ينتمي إلى بيت شعر فأخوه عبد الرحمن شاعر، وابنه المُسَوِّر شاعر أيضًا.

شاعران قتل أحدهما الآخر، واقتص من الآخر، فقُتل الاثنان، والسبَب في ذلك أبيات قالها كل واحد منهما في أخت الآخر. فحينما اصطحب هدبة بن خشرم مع زيادة بن زيد في سفر لهما، وهما قادمان من الشام في قافلة تضم أهلهما، كانا يتعاقبان قيادة القافلة وسوق الإبل وحدائها، وكان في القافلة أخت هُدبة فاطمة بنت خشرم، وحين تولى زيادة بن زيد قيادة القافلة ارتجز بعض الأبيات معرضًا بفاطمة أخت هدبة تهكمًا وسخرية وكيدًا لهما، فقد ضرب لها موعدًا في أحد

الأبيات، ولو كان جادًّا في غرضه لستر ذلك ولم يُشهر به، يقول:

عُوجِي علَينا وأربعي يا فاطِما ... مادُون أن يُرى البَعير قَائِمَا
ألا تَرين الدَّمع مِنِّي سَاجِمًا ... حَذَار دارٍ مِنكِ لَنْ تُلائما
فَعرَّجت مطردًا عُراهُما ... نعمًا يبذُّ القُطُف الرواسِما
كأن في المثْنَاة منه عائمًا ... إنَّك والله لأنَّ تباغِما
خُودًا كأنَّ البُوصَ والمآكِما ... منها نقًا مُخَالطٌ صرائما
خيرٌ من استقبالك السَّمائما ... ومِن منادٍ يبتغي عُلاكما

فغضب هدبة بن خشرم حين سمع شعر زيادة في أخته، فنزل وارتج بأخت زيادة "أم حازم" حيث قال فيها:

لقَدْ أراني والغُلام حَازِما ... نُزجي المطيَّ ضمَّرًا سِواهُما
مَتَى تظن القُلُص الرَّواسما ... والجِلة النَّاجية العياهما
يُبْلغِن أمَّ حازمٍ وحَازما ... خودًا كأن البوص والمآكما
منها نقًا مخالطٌ حرائما ... إذا هبطن مستجيرًا قائما
ورجَّع الحادي لها إلهاما ... أرجفن بالسَّوالف الجماجما
تسمعُ للمرء به قماقما ... كما يطن الصَّريف الدراهما
ألا ترين الدَّمع مني ساجمًا ... حِذار دار منك أن تُلائما
غادرَ منها النصُّ وجهًا ساهِما ... تطبَّقُ الأخفافُ والقوائِما
والله لا يشفي الفؤادَ الهائِما ... تمساحُكَ اللبَاتِ والمآكِما
ولا اللمامُ دون أن تُلازما ... ولا اللزامُ دونَ أن تُفاقِما
ولا الفقامُ دون أن تُفاغما ... وتعلوَ القوائِمُ القوائِما

... إلخ، فعابه زيادة، وردَّ عليه هدبة، وتشاتما طويلاً، وصاح بهما القوم، ووعظوهما حتى كتم كل منهما ما في نفسه من الغيض والحقد على صاحبه، غير أن هدبة كان أشدُّ غضبًا على زيادة إذ رأى الغلبة له، والضيم عليه، فقد تغزل في أخته فاطمة وهي حاضرة سامعة، بينما تغزل هو في أخت زيادة "أم حازم" وهي غائبة لا تسمع قوله.

لقد كانت أشعار الغزل الكيدية التي تبادلاها السبب المباشر فيما حصل بينهما من عداوة مستحكمة ولجاجة، أدت إلى مقتلهما وفنائهما، فقد مضيا في رحلتهما لا يتكلمان مع بعضهما حتى قضيا حجهما وعادا إلى ديارهما، ومنها بدأت العداوة تظهر في المعارضات الشعرية التي يحاول كل منهما العلو على صاحبه، ومن ذلك قول زيادة الذي يحط فيه من قدر هدبة، ويفخر عليه بأمه وأبيه في النسب:

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا ... وقطَّعت أوتارَ الفؤادِ المحجبا
فوصلاً ولا تقطع علايقَ خُلَّةٍ ... أُميمةَ حتَّى بتَّها فتقضبا
وأنَّك كالنَّاسِي الخليل إذا دَنَت ... به الدَّار والبَاكِي إذا ما تَغيبَا
فَسل الهوى أَوكُن إذا ما لقيتها ... كذي ظُفُرٍ يرمي إذا الصيدُ أسقبا
وقد أعْذَرت صَرف الليالي بأهْلِها ... وشَمْط النَّوى بيني وبينَك مطلبَا
فأصبح من بعدِ الفراقِ عميدُها ... خليلاً إذا ما نأى عنها تطرَّبا
فلا هي تالو ما نأت وتباعدَت ... ولا هو يألو ما دَنا وتقرَّبا
فكيف تلوم النفس فيما هجرتها ... وللقلب فيما لُمتها كان أذنبا

أطعتَ بها قولَ الوشاةِ فما أرى الـــ ـــوشاة انتهوا عنها ولا الدهر أعتبا
فهـــلاَّ صـــرمت والحبـــالُ متينـــةٌ أميمـــة إن واشٍ وَشَـــى وتكـــذَّبا
وشُعث يُجـــدُّون النّعـــال الضُّـــمرِ سواهم يقطعـــن المليـــعَ المذبـــذبا
جنوحًا كأسراب القطا راح مقصـــرًا روايـــا فـــراخٍ بـــالفلاة فأطنبـــا
عسفت بهم داويـــة مـــا تـــرى بهـــا هدى راكب إلا صـــفيحًا مُنصَّـــبا
وكم دونهـــا مـــن مهمـــهٍ وتنوفـــةٍ ومن كاشحٍ قد جاء بعدي فأعقبـــا
وراحلةٍ تشـــكو الكـــلالَ زجَرتُهـــا إذا الليلُ عن ضوءِ الصباح تجوبـــا
جماليـــةٍ قـــد غـــادرت في مناخهـــا لدى مُجهضٍ كالرألِ ذِئبًا وثعلبـــا
فأذهبَ منها الـــنصُّ كُـــلَّ مهمـــة سنائًا من العاميِّ قد كـــان أَوصـــبا
فصارت كجَفن السيف حَرفًا رذيـــةً برَى النيُّ عنها والسَديفَ المُلحّبـــا
وأســـطعَ نهّـــاضٍ أمـــينٍ فقـــارُهُ يعوم بصُـــلبٍ كالقنـــاطر أحـــدبا
قذُوفٍ إذا ما استانت مـــن مناخهـــا سما طرفُهـــا واســـتوفزتَ لِتقربـــا
تـــواترُ بـــين الحـــرَّتين كأنهـــا فريـــدٌ يراعـــى بالجنينـــة ربرَبـــا
إذا خفت شَكَّ الأمر فـــارم بعزمـــةٍ غيابتَهُ يركب بك العـــزم مركبـــا
وإن وجهةٌ سُدَّت عليـــك فروجُهـــا فإنـــك لاقٍ لا محالـــةَ مـــذهبا
ولم يجعل الله الأمـــور إذا اجتـــدَت عليـــك رِتاجًـــا لا يـــرامُ مُضَـــبَّبا
كذاك الفتى يومًـــا إذا مـــا تقلّبـــت بـــه صـــيرفيَّاتُ الأمـــورِ تقلّبـــا
يلامُ رجالٌ قبـــلِ تجريـــبِ أمـــرهم وكيف يلامُ المـــرءُ حتَّـــى يُجرَّبـــا
وإني لمعـــراضٌ قليـــلٌ تعرُّضِـــي لوجه امرئ يومًـــا إذا مـــا تجَنَّبـــا
قليلٌ عثاري حـــين أُذعـــرُ ســـاكنٌ جناني إذا ما الحربُ هرَّت لتكلبـــا
وحشَّ الكُماةُ بالســـيوف وقودَهـــا حفاظـــا وبـــالخطيِّ حتَّـــى تلـــهَّبا

فلم يُنسَ الجهلُ الحياءَ ولم أكُن أمينًا ولم أرسِل لساني ليحذبا
على الناس إلا أن أرى الداء بارزًا فأقمعَ نجمَ الداءِ عني فيجلبا
حؤوطٌ لأقصى الأهلِ أخشى وراءَه مذبٌّ ومثلي عن حمى الأصل ذبَّبا
وما بات جَهلي رابحًا مذ تركتُه وليدًا ولا حلمي يبيت مُعزّبا
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازلٍ قراه ونوِّبهُ إذا ما تنوَّبا
ولا تنتجع شرًّا إذا حيل دونَه بسترٍ وهب أستارَه ما تغيَّبا
قليلٌ ليوم الشَرِّ وَيكَ تَعَرُّضي لوجه امرئ يومًا إذا ما تجنَّبا
أنا ابن رقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي بنى هاديًا يعلو الهواديَ أغلبا
بني العِزِّ بنيانًا لقومٍ تماصَعُوا بأسيافهم عنه فأصبح مُصعبا
فما إن ترى في الناس أُمًّا كأُمِّنا ولا كأبينا حين ننسبه أبا
أَتمَّ وأنمى بالبنين إلى العلا وأكرم مِنَّا في القبائل منصِبا
وأخصبَ في المقرى وفي دعوة الندى إذا طايف الرُكبان طافَ فأحدَبا
مَلَكنا ولَم نملك وقُدنا ولم نُقَد كأنَّ لنا حقًّا على الناس تُرتبا
بآيةِ أنا لا نرى مُتتوِّجًا من الناس يعلونا إذا ما تعصَّبا
ولا ملكًا إلا اتقانا بمُلكِهِ ولا سُوقةً إلا على الخرج أتعَبا
ملكنا ملوكًا واستبحنا حماهُمُ وكُنا لهم في الجاهلية مَوكبا
ندامى وأردافًا فلم تُرَ سُوقَة توازننا فاسأل إيادًا وتغلبا

فأجابه هدبة:

تذكَّرتَ شَجوًا من شجاعةَ مُنصبا تليدًا ومُنتابًا من الشوقِ مُحلبا
تذكرت حيًّا كان في ميعة الصبا ووجدًا بها بعد المشيبِ مُعقّبا
إذا كان ينساها تردَّدَ حبُّها فيالكَ قد عنّى الفؤادَ وعذَّبا

ضنيً من هواها مُستَكنٌّ كأنهُ   خليعُ قداحٍ لم يَجد مُتنشَّبا

فأصبحَ باقي الودِّ بيني وبينَها   رجاءً على يأسٍ وظَنَّا مُغيَّبا

ويومَ عرَفتُ الدارَ منها ببيشةٍ   فَخلتُ طُلولَ الدارِ في الأرضِ مذنبا

تبينتُ مِن عَهدِ العِراصِ وأهلها   مرادَ جواري بالصَّفيحِ وملعبا

وأجنفَ مأطورِ القرى كانَ جُنَّةً   من السيلِ عالتهُ الوليدةُ أحدَبا

بعينيك زالَ الحيُّ منها لنيَّةٍ   قَذوفٍ تشوقُ الآلفَ المتطرِّبا

فزمُّوا بليلٍ كُلَّ وجناءَ حُرَّةٍ   ذقونٍ إذا ما سائقُ الرَكبِ أهذبا

وأعيسَ نضّاخِ المقذِّ تخالُهُ   إذا ما تَدانى بالظعينَةِ أنكبا

ظعائنَ مُتباعِ الهوى قذَفِ النوى   فرودٍ إذا خافَ الجميعُ تنكَّبا

فقد طالَ ما عُلِّقتَ ليلى مُغمَّرًا   وليدًا إلى أن صارَ رأسُكَ أشيبا

فلا أَنا أُرضي اليومَ من كان ساخطًا   تجنُّبَ ليلى إن أرادَ تجنُّبا

رأيتك في ليلى كذي الدَّاء لم يجد   طبيبًا يداوي ما به فتطببا

فما اشتفى مما به علَّ طِبَّه   على نفسه مما به كان جَرَبا

فدع عنك أَمرًا قد تولى لشأنه   وقضِّ لُبانات الهوى إذ تقضبًا

بشهمٍ جديليّ كأنَّ صريفهُ   إذا اصطُكَّ ناباهُ تغرُّدُ أخطبا

برى أُسَّهُ عند السفارِ فردَّهُ   إلى خالصٍ من ناصعِ اللون أصهبا

بهِ أجتدي الهمَّ البعيدَ وأجتزي   إذا وقدَ اليومُ المليعَ المذبذبا

ألا أُيّهذا المُحتدينا بشتمهِ   كفى بيَ عن أعراضِ قوميَ مُرهبا

وجازيتَ مِّني غيرَ ذي مثنويةٍ   على الدَفعَةِ الأُولى مُبرًّا مُجَرَّبا

لِزازَ حضارٍ يسبقُ الخيلَ عَفوهُ   وساطٍ إذا ضمَّ المحاضرَ مُعقبا

سَجولٌ أمامَ الخيلِ ثاني عَطفِهِ   إذا صدرُهُ بعدَ التناظُرِ صَوَّبا

تعالوا إذا ضمَّ المنــازلُ مــن مِــنىً ... ومكّةُ من كُــلِّ القبائــلِ منكبــا
نواضـــعُكُم أبناءَنــا عــن بنــيكُمُ ... على خيرنا في الناسِ فرعًا ومنصبًا
وخيرٍ لجــادٍ مــن مــوالٍ وغيرهِــم ... إذا بادرَ القومُ الكنيــفَ المُنصَّبا
وأشرعَ في المقرى وفي دعوةِ النــدى ... إذا رائــدٌ للقــومِ رادَ فأجــدَبا
وأقوَلنــا للضَّــيفِ يَــنزِلُ طارقًــا ... إذا كرِهَ الأضيافُ أهــلاً ومرحبــا
وأصبرَ في يومِ الطِعــانِ إذا غــدَت ... رعالاً يُبــارينَ الوشــيجَ المُــذربًا
هُنالِكَ يُعطي الحقَّ من كــانَ أهلَــهُ ... ويغلُبُ أهلُ الصدقِ مَن كانَ أكــذبا
وإن تسأَموا من رِحلَــةٍ أو تُعَجِّلــوا ... أنَى الحجِ أُخبركُم حــديثًا مُطنِّبــا
أنا المــرءُ لا يخشــاكم إن غضــبتم ... ولا يتوقى سُــخطكُم إن تغضَّــبا
أنا ابن الذي فــاداكم قــد علمــتمُ ... بــبطن مُعــانٍ والقيــاد المُجنبــا
وجدّي الذي كُنتُم تظلــونَ سُــجَّدًا ... لــهُ رَغبــةً في مُلكــهِ وتحوُّبــا
ونحنُ رَددنا قــيسَ عــيلانَ عَــنكُمُ ... ومن ســارَ مــن أقطــارهِ وتألبــا
بشهباءَ إذ شُبَّت لِحَــربٍ شُــبوبُها ... وغسانَ إذ زافــوا جميعًــا وَتَغلبــا
بنقعاءَ أظللنا لَكُــم مــن وَرائِهِــم ... بِمُنخرقِ النقعاءِ يومًــا عَصبصــبا
فَأُبنــا جِــدالاً ســالمينَ وغُــودروا ... قتيلاً ومشــدودَ اليــدينِ مُكلَّبــا
ألم تعلمــوا أنّــا نُــذبِّبُ عَــنكُمُ ... إذا المرءُ عن مولاهُ في الرَّوعِ ذَبَّبــا
وإنّــا نُــزَكيكُم ونحمــلُ كُلّكُــم ... ونجبرُ مــنكُم ذا العيــالِ المُعصَّــبا
وإنــا بــإذنِ اللهِ دوَّخَ ضــربُنا ... لكم مشرقًا في كُلِ أرضٍ ومغرِبــا
علينــا إذا جَــدَّت معــدٌ قــديمها ... ليــومِ النجــادِ ميعَــةً وتَغلُّبــا
وإنا أُنــاسٌ لا نــرى الحلــمَ ذِلّــةً ... ولا العجزَ حينَ الجدُّ حلمًا مؤرَّبــا
ونحــنُ إذا عــدَّت معــدٌ قــديمها ... يُعَدُّ لنا عدًّا علــى النــاس تُرتَبــا

سقنا إذا عدَّت معدٌ قديمها ليوم حفاظٍ مَيعَةً وتقلُّبا
وإنا لقومٌ لا نرى الحلمَ ذلّةً ولا نُبسلُ المجدَ المُنى والتجلُّبا
وإنا نرى من أعدمَ الحلمَ مُعدِمًا وإن كان مدثورًا من المال مُتربا
وذو الوفر مستغنٍ وينفعُ وَفرُهُ وليسَ يبيتُ الحلمُ عَنّا مُعزَّبا
ولانخذُلُ المولى ولا نرفَعُ العَصا عليه ولا نُزجي إلى الجارِ عقربا
فهذي مساعينا فجيئوا بمثلها وهذا أبونا فابتغوا مِثلَهُ أبا
وكان فلا تُودوا عن الحقِّ بالُمنى أفكَّ وأولى بالعلاءِ وأوهبا
لِمَثنى المئينَ والأساري لأهلها وحملِ الضياعِ لا يرى ذاك مُتعبا
وخيرًا لأدنى أصلهِ من أبيكُمُ وللمُجتدى الأقصى إذا ما تثوَّبا

وبقيت العلاقة بينهما متوترة مشحونة، على أن هُدبه لم يشفه ما قال من شعر، ولم يُحسَّ بنشوة الانتصار على خصمه، فأضمر في نفسه شرًّا، ونوى قتل زيادة، وبقي يترصده حتى ظفر به وقتله، ثم هرب مخافة الحبس، وكان والي المدينة آنذاك سعيد بن العاص ﷺ فأمر بحبس أهله حتى يعود، فلما سمع هدبة بذلك عاد وسلم نفسه لتخليص أهله.

وحاول قوم هدبة تسوية الأمر بدفع الدِّية عن القتيل، غير أن أهل زيادة رفضوها، ومازالوا كذلك حتى رفع الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ فسأل:" هل لزيادة ابن ؟" قالوا:"نعم، له ولد صغير اسمه المسور بن زيادة"، فقال:"يسأل رأيه عندما يَبلغ، إن كان يقبل بالدِّية أم لا ".

فبقي هدبة بالسجن حتى بلغ الصبي بعد ست سنين،

وحينما سئل رفض الدِّية، وطالب بقتل هدبة قصاصًا لأبيه، وقبل أن ينفذ فيه الإعدام استأذن هدبة أن يصلي ركعتين، فصلى وأطال بعض الوقت، ثم قال:" لولا يظن بي الجزع لأطلتهما"، ثم أنشد:

إن تقتلوني بالحديد فإنني   قتلت أخاكم مطلقًا لم يقيد

فقتلوه، وبذلك يسدل الستار على مأساة تسببَّ الشعر في قتل بطليها الشاعرين زيادة بن زياد، وهدبة بن حشرم.

وقيل: إن سعيد بن العاص ﷺ أراد أن يبذل محاولة أخيرة، فقال لعبد الرحمن أخي زيادة: "اقبل الدية، وأنا أعطيك مالم يُعطه أحد من العرب، أعطيك مئة ناقة حمراء، ليس فيها جداء، ولا ذات داء"، فقال عبد الرحمن: "والله لو نقبت لي قبتك هذه ثم ملأتها ذهبًا ما رضيت بها من دم هذا الأجدع".

فلم يزل سعيد يسأله ويزيد في عرضه فيأبى، ثم قال عبد الرحمن:" إنه قال بيتًا لو لم يقله لقبلت الدِّية، أو صفحت بغير دية، والله لو أردت شيئًا من ذلك لمنعني قوله:

لنجْدَعنَّ بأيْدِينا أُنُوفكمُ   ويذهبُ القتل فيما بيننا هَدَرًا

فدفعوا به للقتل، فبدت في عينه حسرة، وما ندم بَشَرٌ على قول كما ندم هدبة على قول هذا البيت ، وليت البيت ظل حبيسًا في وثاق هدبة، ولم يكن هدبة حبيسًا في وثاق البيت . (٦٨).

التحول نحو النهاية
عبيد الله الجعفي (... - ٦٨ هـ)

هو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك الجعفي، شاعر من بني منجح، ولد ونشأ في الكوفة. قيل: كان من خيار قومه صلاحًا وفضلاً واجتهادًا، قائد محنك شجاع اشترك في حرب القادسية، ولم يكن في زمانه أشجع منه. نَاصَر معاوية، فكان يكرمه، ثم حارب بني أمية، وكان له مواقف في الفتنة.

يعدُّ من الشعراء اللصوص، لأنه لم يكن يعطي الأمراء طاعة، فحين تفقد عبيد الله بن زياد - بعد قتل الحسين - أشراف أهل الكوفة لم ير عبيد الله بن الحر، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال له:" أين كنت يا ابن الحر ؟"، قال:" كنت مريضًا"، قال:" مريض القلب أو مريض البدن"، قال:" أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد مَنَّ الله علي بالعافية"، فقال ابن زياد:" كذبت، ولكنك كنت مع عدونا"، قال:" لو كنت مع عدوك لرُئِي مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى"، فخرج ابن الحر فركب فرسه، فقال ابن زياد:" أين ابن الحر ؟"، قالوا:" خرج الساعة"، قال:" عليَّ به"، وأُحضرت الشُّرط فقالوا له:" أجب الأمير"، فدفع فرسه ثم قال:" أبلغوه أني لا آتيه والله طائعا أبدًا"، ومضى إلى كربلاء ثم إلى المدائن.

وحين سجن المختار امرأته حتي يُسلم نفسه أخرجها منه ومن معها من النساء في مئة وثمانين فارسًا معهم الفؤوس والكلاليب لمكابرة السجن، وقاتلهم يومئذ بالكوفة، وخرج آخر النهار منها.

وجاء في خبر مقتله: أنه لحق بعبد الملك بن مروان، فلما صار إليه أكرمه وأجلسه معه على السرير وأعطاه مائة ألف درهم وأعطى أصحابه مالاً، فطلب منه ابن الحر ليوجه معه جندًا يقاتل بهم مصعبًا، فقال له: "سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال". فسار بأصحابه نحو الكوفة فنزل بقرية إلى جانب الأنبار، فاستأذنه أصحابه في إتيان الكوفة، فأذن لهم وأمرهم أن يخبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا إليه.

بلغ ذلك القيسية فأتوا الحارث بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه أن يرسل معهم جيشًا يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق أصحابه، فبعث معهم جيشًا كثيفًا، فساروا فلقوا ابن الحر، فقال ابن الحر لأصحابه: "نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا فيه"، فقال: "ما كنت لأدعهم"، وحمل عليهم وهو يقول:

يا لك يومًا فات فيه نهبي ... وغاب عني ثقتي وصحبي

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك، وأذن لأصحابه في الذهاب، فذهبوا فلم

يعرض لهم أحد، وجعل يقاتل وحده، فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية فطعنه وجعلوا يرمونه ويكتبون عليه ولا يدنون منه، وهو يقول:" أهذه نبل أم مغازل ؟" فلما أثخنته الجراح خاض إلى معبر قريب فدخله ولم يدخل فرسه، فركب سفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات، فأشرفت عليه الخيل، وكان معه في السفينة نبط (قوم سكنوا العراق) فقالوا لهم: "إن في السفينة طلبة أمير المؤمنين، فإن فاتكم قتلناكم"، فوثب ابن الحر ليرمي نفسه في الماء، فوثب إليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجري دمًا وضربه الباقون بالمجاذيف، فلما رأى أنه يقصد به نحو القيسية قبض على الذي معه وألقى نفسه معه في الماء فغرقا.

وقيل في قتله: إنه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره، فكتب إلى عبد الله بن الزبير قصيدةً يعاتب فيها مصعباً ويخوفه مسيره إلى ابن مروان، فحبسه مصعب، وله معه معاقبات من الحبس، وقيل: إنه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان، منها قوله:

لنعم ابن اخت القوم يُسجن مصعبٌ ... لطارقِ ليلٍ خائف ولنازلِ
ونعمَ الفتى يا ابنَ الزُبيرَ سجنتُم ... إذا قلقت يومًا صُقورُ الرَّحائلِ
فلو متُّ في قومي ولم آتِ عجزة ... يُضعِّفُني فيها امرؤٌ غيرُ عادلِ
لأُكرم بها من ميتَةٍ إن لقيتُها ... أُطاعنُ فيها كُلَّ خرقٍ منازلِ

وما كنتُ أخشى أن أراني مقيــدًا ... على غيرِ جُرمٍ وسط بكر بن وائلِ
وألفيتني يــا ابــنَ الــزُّبيرِ كأنَّما ... رميتُ بسهمٍ من سهامكَ ناصــلِ
فإن أنفلَت لا تجمعِ الشَمس بيننــا ... ولا الليلُ إلا في القنــا والقنابِــلِ
متى أدعُ فتيان الصعاليك يركبــوا ... ظماء الفصوص نائمات الأباجــل
تُشبِّهُها الطير السِّراعَ إذا اِغتــدَت ... بِفُرساها في السَّبسَــبِ المُتماحِــلِ
تطيرُ مع الأيدي إذا ارتفعــت بهــا ... شَمائُلــها ألحقنَهــا بالمســاحِلِ
يَقودُ رِعانَ الخيــلِ بي وبِصُــحبَتي ... كُميتُ الأعالي بربــريُّ الأســافِلِ
علينا دلاصٌ من تُــراث مُحــرِّقٍ ... وتركٍ جلا عنها مداسُ الصــياقلِ
ومُطــرداتٌ مــن رمــاحِ رُدينــةٍ ... وأتراسِ جونٍ عُلِّقــت بالشَــمائِلِ
فلو شئت لم تسجن صديقًا ولم تُهب ... إليك بصــقعاء المناكــب بــازل
من الجــربِ يمريهــا ودرَّتُها دَمٌ ... إذا امتريــت أخلافُهــا بالمناصــلِ
أنا ابن أبي قيسٍ فإن كنتَ ســائلاً ... بقيسٍ تجــدهم ذُروة في القبائــل
ألم ترَ قيسًا قيسَ عــيلان برقعــت ... لحاها وباعــت نبلــها بالمغــازِل
ومازلتُ أرجو الأزد حتى رأيتــها ... تقصِّــر عــن بنيانهــا المتطــاول
ومقتلُ مســعودٍ ولم يثــأروا بِــه ... وصارت سيوف الأزد مثلُ المناجلِ
وما خيرُ عقــلٍ أورث الأزد ذِلــة ... تُسَبُّ بــه أحَيــاؤهم في المحافــلِ
على أنهم شُــمط كــأنَّ لحــاهمُ ... لحاءُ تيوسٍ حُلِئــت عــن مناهــلِ

فأرسل زفر بن الحارث الكلائي إلى مصعب:" إني قد كفيتك قتال ابن الزرقاء، يعني عبد الملك بن مروان، وابن الحر يهجو قيسًا"، ثم إن نفرًا من بني ليم أسروا ابن الحر، فقال: إنما قلت:

ألم تر قيسًا قــيس عــيلان أقبلــت   وســـارت إلينا في القنا والقبـــائل

فلم يسمعوا له وبادره رجلٌ منهم يقال له عياش فضربه بالسيف فقتله . (٦٩).

النهاية الأكيدة
عمرو الأشدق (٣ – ٧٠ هـ)

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أحيحة شاعر من شعراء الدولة الأموية، يمتاز شعره بالقوة غير أنه مقلٌّ، أمير من الخطباء البلغاء، عاش في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، ويعود نسبه إلى أمية بن عبد شمس، وكان أميرًا مطاعًا، وسمي بالأشدق؛ لأنه صعد المنبر يومًا فبالغ في شتم الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ فأصابته لقوة (داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق).

وفد على معاوية بن أبي سفيان ﷺ، فاستصغره، فقال: " إن أول كلِّ مركب صعب، وإن مع أمس غدًا"، فقال له معاوية: "من أوصى بك أبوك"، فقال: " إنه أوصى إليَّ، ولم يوصي بي"، فقال معاوية: " إن ابن سمية هذا لأشدق"، فسمي عمرو الأشدق. وقيل: لأنه كان عظيم الشدقين، وقيل: لفصاحته.

تولى إمارة مكة والمدينة لمعاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد بن معاوية، وقدم الشام وأحبه أهلها، فلما طلب مروان بن الحكم الخلافة عاضده عمرو، فجعل له ولاية العهد بعد ابنه عبد الملك، ولما ولي عبد الملك أراد خلعه من ولاية العهد، ففر عمرو، واتفق خروج عبد الملك إلى الرحبة لقتال زفر بن الحرث الكلابي، فاستولى عمرو على دمشق وبايعه أهلها بالخلافة،

فعاد عبد الملك إلى دمشق، فامتنع عمرو فيها، فحاصره وتلطف له إلى أن فتح أبوابها، ودخلها عبد الملك، واعتزل عمرو بخمسمائة مقاتل، ولم يزل يتربص به الفرصة، حتى تمكن منه وقتله.

وقيل: إنه دعا لنفسه بالخلافة حين خرج عبد الملك من دمشق لقتال مصعب بن الزبير واستخلفه فيها، وقال في ذلك شعرًا عرَّض فيه بعد الملك بن مروان وضمنه تهديدًا ووعيدًا له، كما أنه شكك بأحقيته في الخلافة، وكان عمرو يدعي أن مروان بن الحكم جعل إليه ولاية العهد من بعد عبد الملك، يقول:

يريدُ ابن مروان أمورًا أظنها ... ستحمله مني على مركبٍ صعب
أتنقض عهدًا كان مروان شدَّه ... وأكد فيه بالقطيعة والكذب
فقدمه قبلي وقد كنت قبله ... ولولا انقيادي كان كربًا من الكرب
وكان الذي أعطيت مروان هفوة ... غنيت بها رأيًا وخطبا من الخطَب
وإن ينفد الأمر الذي كان بيننا ... نحل جميعًا في السهولة والرَّحب
وإن تعطها عبد العزيز ظلامة ... فأولى بها منا ومنكم بني حرب

وحين عاد عبد الملك إلى دمشق هادن عمرو الأشدق وصالحه، إلا أنه غدر به بعد ذلك وقتله بيده حين لاحت له الفرصة، وبعد مقتله خرجت أخته زوجة الوليد تندبه فقالت:

أيا عين جودي بالدموع على عمرو ... عشية تبتــز الخلافــة بالغــدر
غدرتم بعمرو يا بني خــيط باطــل ... وكلكم يبني البيوت علــى غــدر
وما كان عمرو غــافلا غــير أنــه ... أتتــه المنايا غفــلة وهو لا يــدري
كــأن بــني مــروان إذ يقتلونــه ... خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب النــار أهلــها ... وهتك مــا بين الــقرابة من ســتر
ألا يا لقــومي للوفــاء وللغــدر ... وللمغلقين الباب قسرًا على عمــرو

(٧٠)

المُتردّي
عُمير بن ضابئ (... - ٧٥ هـ)

هو عُمير بن ضابيء بن الحارث البرجمي، شاعر من سكان الكوفة، كان والده ضابئ شاعرًا خبيث اللسان، كثير الشَّر، عُرف في الجاهلية، وأدرك الإسلام، نزل المدينة أيام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وسجنه لقتله صبيًّا بدابته، وكان ضعيف البصر.

وحين طلب عثمان زيارة السجن والسجناء للاطلاع على أحوالهم علم ضابئ بذلك فأعد سكينًا في نعله لقتل عثمان حين يعرضون عليه فلم ينل مُراده، وبقي في السجن إلى أن مات ومن شعره قوله:

وقائلة لا يبعد اللهُ ضابئًا ... إذا القِرنُ لم يوُجد له من يُنازلهُ
همت ولم أفعل وكدتُ وليتني ... تركتُ على عثمان تبكي حلائلهُ
فلا يُعطين بعدي امرؤ ضِيم خُطَّة ... حذار لقاء الموت والموت قاتلهُ
وما ألفتك ما آمرت فيه ولا الذي ... تحدث من لاقيت أنك فاعلهُ
وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظة ... إذا همَّ لم ترعد عليه خصائلهُ

وحينما أحاط الثائرون بعثمان بن عفان ﷺ لقتله كان عُمير بن ضابئ أحد الذين شاركوا في قتله، وقيل:"إنه وثب على عثمان ﷺ وهو مطروح على الأرض فكسر ضلعًا من أضلاعه انتقامًا لأبيه الذي سجنه عثمان ومات في سجنه، وهو يردد:

همت ولم أفعل وكدتُ وليتني تركتُ على عثمان تبكي حلائلهُ

وحين ندب الحجاج الناس لقتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة، جاءه عمير بن ضابئ وقد انحنى كبرًا، فقال:" أيها الأمير: إنَّ بي من الضعف ما ترى، وإن ابني هو أقوى مني على الأسفار، أفتقبله بدلاً مني"، فقال الحجاج: "نفعل أيها الشيخ"، فلما ولّى، قيل له:" هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذي دخل على عثمان مقتولاً فوطئ بطنه حتى كسر ضلعين من أضلاعه، وردّد:

همت ولم أفعل وكدتُ وليتني تركتُ على عثمان تبكي حلائلهُ"

فقال الحجاج: "أيها الشيخ: هلاَّ بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان يوم الدار بدلاً منك. إن في قتلك لصلاحًا للمسلمين، يا حرسي اضرب عنقه".

فقتله وصادر أمواله وممتلكاته، وأمر مناديًا في الناس:" إلا إن عمير بن ضابئ تأخر بعد سماع النداء ثلاثًا، فأمر الحجاج بقتله"، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر للوصول إلى المهلب بن أبي صفرة. حتى قيل:" إن بعضهم سقط من على الجسر ومات غرقًا" (٧١).

التبدل والتحول
كعب الأشقري (... _ ٨٠ هـ)

كان أبو مالك كعب بن مَعدان فارسًا خطيبًا ، وشاعرًا من شعراء خراسان، وهو من الأشاقر، من قبائل الأزد. معدود في أصحاب المهلب بن أبي صفرة الذين اشتركوا في حروب الأزارقة، وقد مدحه، ومدح أبناءه ورافقهم، وقد أوفده المهلب إلى الحجاج مبشرًا بانتصاراته على الأزارقة، فأنشده مدائحه فيهم، وقد أعجب به الحجاج فسأله:"أخطيب أنت أم شاعر؟"، فقال:" كلاهما".

يقول الفرزدق: "شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقري". وقد عُرف عن كعب الأشقري، ولاؤه للمهلب بن أبي صفرة وأولاده من بعده، وبخاصة يزيد إذ كان يقربه ويجالسه، ويغدق عليه الأعطيات والهبات، ولقربه من نفوسهم، ومكانته في قلوبهم، فقد كانوا لا يسمحون للشعراء بهجائه، وحين قامت حرب بين قبيلة كعب، وعبد القيس، تدخل المهلب وأصلح بينهما، وتحمل ديات الفريقين، غير أن كعبًا هجا عبد القيس بقوله:

إنّي وإنْ كنتُ فرعَ الأزْدِ قد عَلِموا   أخزى إذا قيلَ عبد القيسِ أخوالي
فيهم أبو مالك بالمجدِ شَرفَني   ودنَّسَ العبدُ عبد القَيس سِربالي

وقوله:

ثِوى عـامَين في الجيـفِ اللـواتي مطَّرحـة علـى بـابِ الفصِيـلِ
أحـبُّ إليَّ مـن ظـلٌّ وكـن لعبـد القـيس في أصـل الفسِيـلِ
إذا ثـار الفُسـاء بهـم تغنـوا ألم تربـع علـى الـدِّمن المثـولِ
تظـلُّ لهـا ضَـبَاباتٌ علينـا موانـعُ مـن مبيـتٍ أو مَقِيـلِ

وحين بلغ زياد بن الأعجم قول كعب في عبد القيس غَضب، وقال: "يا عجبًا للعبد بن العبد بن الحيتان والسرطان، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم، والله لأدعنه وقومه غرضًا لكل لسان"، ثم قال زياد يهجوه:

قالوا الأشَاقِر تَهْجُوكم فقُلت لهـم ما كنتُ أحسَبَهم كانُوا ولا خُلِقُوا
قومٌ من الحسَبِ الزَّاكـي بمنزلـة كطُحلب الماءِ لا أصـلٌ ولا وَرَقُ
لا يُكثِرونَ وَإن طالَـت حَيـاتُهُمُ ولو يَبُول عليهم ثعلـبٌ غرقـوا
إِنَّ الأشاقِرَ قَـد أَضـحَوا بِمَنزِلَـةٍ لَو يُرهِنونَ بِنَعلي عَبـدِنا غَلِقـوا

فشكاه كعب إلى المهلب، وقال له: "إنك المقصود بهذا الهجاء"، فقال المهلب: "أنت أسمعتنا هذا، وأطلقت لسانه فينا، وقد كنتَ غنيًّا عن هجاء عبد القيس، وفيهم مثل زياد، فاكفف عن ذكره، فأنت الذي بدأته"، ثم دعا زيادًا وعاتبه، فقال زياد: "أيها الأمير: قد سمعت ما قاله فيَّ وقومي، فإنْ كنت ظلمته فانتصر له، وإلا فالحجة عليه، ولا حجة على امرئ انتصر لنفسه، ولحسبه، ولعشيرته، ولولاك أيها الأمير ما قصرَّتُ في هجائه"، فأقسم المهلب عليهما أن يصطلحا، فكفَّ كل منهما عن الآخر.

وهكذا كان المهلب يدافع عن كعب بمكانته، وكعبٌ يدافع عنه بشعره، وحين أمر الحجاجُ المهلبَ بقتال الإزارقة، كتب إليه يستبطئه في القضاء عليهم، ويُؤول ذلك إلى عجزه، أنشد كعب الأشقري أمام رسول الحجاج قوله:

إنَّ ابن يوسفَ غرَّه من غَزْوكم ... خفضَ المقامِ بجانبِ الأمصَارِ
لو شَاهَد الصفين حين تلاقِيا ... ضاقتْ عليه رحيبةُ الأقطارِ
من أرض سابور الجنود وخيلنا ... مثلُ القِداح بريتَها بشِفَارِ
من كلِّ خنذيذ يُرى بلبانه ... وقْع الظُّباة مع القَنَا الخطَّارِ
لرأى مُعَاودة الرِّباع غنيمة ... أزْمانَ كان مخلفِ الأقْتَارِ
فدعِ الحروبَ لشِيَبها وشَبَابها ... وعليكَ كلَّ غزيرةٍ معطارِ

فبلغت الأبيات إلى الحجاج فغضب، وأمر المهلب بإرسال كعب إليه، فأرسله المهلب إلى عبد الملك بن مروان، ومعه رسالة يسترضيه فيها، وكتاب يقسم عليه أن يعفو عنه، ويعرض عمَّا بلغه من شعره، فكان ما أرادَ المهلب.

غير أن علاقة كعب الأشقري لم تكن قويه ومتينة مع ابن المهلب يزيد كما هي مع أبيه، فكان يحرض عليه الولاة، ويدفعهم إلى إبعاده، وحين تولى عمر بن عميرة بلدة بحرية بين البصرة وعمان يقال لها "التّرم"، قال له كعب:" أنت شيخ من الأزد يوليك التَّرم ويولي ربيعة الأعمال السنية، ثم أنشده قوله:

لقـدْ فـازت ربيعـةُ بالمعـالي — وفـازَ اليَحمـدي بعهـدِ زمٍّ
فإنْ تـكُ راضـيًا منـهم بهـذا — فـزادك ربُنـا غمًّـا بغـمٍّ
إذا الأزديُّ وضـحَّ عارضـاه — وكانـت أمـه مـن حـيٍّ جـرمِ
فـثم حماقـةٌ لا شـك فيهـا — مقابلـةُ فمـن خـالٍ وعـمٍّ

وحين سمع عمرو بن عمير اليحمدي هذا الشعر أنفِ قبول الولاية، وردَّ عهد يزيد عليه، فحلف يزيد ألا يستعمله سنة، فكانت سنة جدبٍ وفقر على عمرو، وندم على ترك الولاية.

ولما عُزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم مدحه كعب الأشقري، وهجا يزيد بن المهلب وثلبه بقوله:

رمتكَ فيل بما فيها وما ظلمت — وراقها قبلك الفجفاجة الصَّلفُ
لا يجزئ الثغر خوار القناة ولا — حشُّ المكاسر والقلب الذي يجفُ
هل تذكرون ليالي الترك تقتلهم — مادون كازةَ والفجفاج ملتحف
لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا — فهم ثقال على أكتافها عُنفُ
أنتم شباس ومرداذان محتقر — وبسخراء قبور حشوها القلف
إني رأيت أبا حفص تفصله — أيامه ومساعي النَّاسِ تختلفُ
قيس صريح وبعض الناس يجمعهم — قرىً وريف فمنسوب ومقترف
لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا — سبعين ألفًا وعزُّ السَّعد مؤتنف
وفي سمرقند أخرى أنت قاسمها — لئن تأخر عن حوبائكِ التلف
ما قدم الناس من خير سبقت به — ولا يفوتك مما خلفوا شرف

وحين بلغه أن يزيد وليها مرة أخرى هرب منها إلى عُمان، وأقام بها فترة ثم تركها لسوء أحواله فيها، إذ لم يجد من يستحق المدح فيها، ولا من يهب الجزل ويعطي الكثير، فكتب إلى يزيد بن المهلب يعتذر، ويرجو العفو والصفح، يقول:

بئس التَّبدل من مرو وساكنها ... أرض عمان وسكنى تحت أطواد
يُضحِي السَّحاب مطِيرًا دون منصفها ... كأن أجيَالها غُلّت بفرصَادِ
يالهف نفسِي على أمرٍ خطلتُ به ... وما شفيت به غمري وأحقَادي
أفنيت خمسين عامًا في مديحكُم ... ثم اغتررتُ بقولِ الظَّالم العَادي
أبلغ يزيد قرين الجود مألكة ... بأنّ كعبًا أسيرًا بين أصفادِ
فإنْ عفوت فبيت الجودِ بيتكم ... والدَّهر طوران من غيٍّ وإرشَادِ
وإنْ مننت بصفحٍ أو سمحتَ به ... نزعتَ نحوك أطنابي وأوتادي

غير أن يزيد لم يعفُ عنه، ولم يقبل اعتذاره على أن ابنه مجزأة رجاه في ذلك وطلبه فرفض، فداهنه يزيد حتى عاد إليهم، فأوعز إلى ابن أخيه الذي كانت بينهما عداوة وشقاق بقتله، وكان كعب قد هجا ابن أخيه بأمه، لأنها سوداء، في قصيدة، قال فيها:

إنَّ السَّواد الذي سَربلت تعرفه ... ميراثُ جَدِّك عن آبائه النوبِ
أشبهتَ خالك خالَ اللؤم مؤتسيًا ... بهديهِ سَالكًا في شرٍّ أسلوب

فنمت إلى ابن أخيه فاحتملها عليه ضغينة، وحين أوعز

إليه يزيد بن المهلب بقتله، وجعل له مالاً على قتله، جاءه وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله نحو سنة ٨٠ هـ ، فطويت صفحة شاعريته، وغيبت حياته ثمنًا لأحاديث لم تقدم ولم تؤخر غير أنه اجتلبت منيته . (٧٢).

إبداع تحفه المكاره
الأقيشر(... - ٨٠ هـ)

هو المغيرة بن عبد الله بن مُعرِّض بن عمرو الأسدي، المعروف بالأُقَيشر، شاعر مشهور، من أهل بادية الكوفة، وكان يتردد إلى الحيرة، ولد في الجاهلية، وأدرك الإسلام، ولقب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر، وكنيته: أبو مُعَرض، كان يغضب إذا دُعي بالأقيشر، قال عنه البغدادي: "كان كوفيًا، خليعًا، ماجنًا، فاسقًا، فاجرًا، مدمن الخمر، قبيح المنظر".

كان هجاءً سليط اللسان، لم يسلم من هجوه أحد، وهجاؤه سبب مقتله، أدرك دولة الخليفة عبد الملك بن مروان وهجاه، وأكثر شعره في الخمر والمجون حتى وُصف بشاعر الخمرة في عصره، ووصف بأنه عنين لا يأتي النساء، وله في الخمارين أشعار وافتراءات كثيرة، ومما يروى عنه أنَّ عمَّته قالت له يومًا: "اتقِ الله، وقم فصلِّ"، فقال:" لا أصلي "، فأكثرت عليه، فقال: "قد ابرمتني، فاختاري خصلة من خصلتين: إما أن أصلي ولا أتطهر أو أتطهر ولا أصلي"، قالت:" قبحك الله، فإن لم يكن غير هذا فصلِّ بلا وضوء فصلَّى بلا وضوء".

قال له الخليفة عبد الملك: أنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده:

تُريك القَذى من دونها وهـي دونـه لوجه أخيها في الإنـاء قطـوبُ
كُميت إذا فُضـت وفي الكـأس وردة لها في عظام الشـاربين دبيـبُ

فقال له الخليفة: "أحسنت يا أبا معرض، لقد أجدت في وصف الخمرة، وأظُنّك قد شربتها"، وهو هنا يستدرجه ليقيم عليه الحدَّ، ففهم الأقيشر ما يهدف إليه الخليفة، فقاله له:" والله يا أمير المؤمنين إنَّه ليريبني منك معرفتك بهذا"، (أي: بما تفعل الخمرة في أجسام الشاربين)، وكأنه يلمح إلى أن الخليفة قد شربها.

وذكرت بعض المصادر أن سبب قتله أنه كان في مجلس فأتي مسكين الحنظلي، فقال له:" اهجُ قومي، وأهجو قومك"، فقال الأقيشر:" ومن أنت ؟" قال:"رجل من تميم"، وأنشده شيئًا من شعره هجاه به، فقال الأقيشر يجيبه في مجلس:

فـلا أسـدًا أسـبُّ ولا تميمًـا وكيـف يحـلُّ سـبُّ الأكرمينـا
ولكـن التقـارض حـل بـيني وبينك يـابن مضـرطة العجينـا

فخجل مسكين، وأقنع رأسه، وصاح به الصبيان:" يا ابن مضرطة العجينا". وحين بنى سمَّاك بن مخرمة مسجده بالكوفة، وهو أكبر مسجد لبني أسد، قال الأقيشر:

غضبت دودان مـن مسـجدنا وبـه يعـرفهم كـل أحـد
لـو هـدمناه غـدوة بنيانـه لا نمحت أسماؤهم طـول الأبـد
اسمهُـم فيـه وهـم جيرانـهُ واسمهُ الـدهرَ لعمـرو بـن أَسـد

كُلَّمـا صـلوا قسـمنا أجـرَهُ فلها النصـفُ علـى كـلِّ جسـد

فحلفوا ليضربونه، فأتاهم، فقال:" قد قلت بيتًا محوت به كل ما قلت"، قالوا:" وما هو يا فاسق ؟"، فقال:

وبنـو دودان حـيٌّ سـادة حلَّ بيـت المجـد فـيهم والعَـدد

فتركوه. وكان بالحيرة مرة فاجتاز بمجلس فقال أحدهم:" يا أقيشر"، فقاله له:

أتـدعوني الأقيشـر ذاك اسمـي وأدعوك ابن مطـفئة السِّراج

فقال الرجل: "ولم ذاك ؟"، فقال:

تنـاجي خُـدنها بالليـل سِـرًّا وربُّ النـاس يعلـم مـا تنـاجي

فغَلَب على الرَّجل وأولاده لقب ابن مطفئة السراج، وهجا ابن الضحاك التميمي حين كتب إليه:

عجبت لشـاعرِ مـن حـيٍّ سـوءٍ ضـئيل الجسـم مبطـانٌ هجـين

بقوله:

إني أتـاني مقـال كنـت آمنـه فجاء من فاحش في النـاس مخلـوع

عبد العزيز أبـو الضَّـحاك كنيتـه فيه من اللؤم وهـي غـير ممنـوع

ولم تَبِـت أمـه إلا مطاحنـة وأن تـؤاجر في سـوق المراضـيع

ينسابُ ماءُ البرايـا في (...) سـربًا كأنما انسـابَ في بعـضِ البلاليـعِ

من ثمَّ جـاءت بـهِ و(...) حنَّكـهُ كأنـهُ في (...) تمثـالُ يُسـروعِ

فجزع ابن الضحاك منها جزعًا شديدًا، وطلبت منه

بنو تميم الكف عن ذلك ففعل.

وصعد رجل من بني تميم المنبر فانكسرت الدرجة من تحته، فسقط عنها، فأنشد الأقيشر:

أبني تميم ما لمنبر ملككم؟ ... ما يستقر قراره يتمرمر
إنَّ المنابر أنكرت أستاهكم ... فادعو خزيمة يستقر المنبر
خلعوا أمير المؤمنين وبايعوا ... مطرًا لعمرك بيعةٌ لا تظهرُ
واستخلفوا مطرًا فكان كقائلٍ ... بدلٌ لعمركَ من يزيدٍ أعورُ

وهجا أبا الذيال قريظة بن يقظة هجاءً مقذعًا قال فيه:

عدمت أبا الذيال من ذي نواله ... له في بيوت العاهرات طريقُ
أبا الخمر عيرت امرأً ليس مقلعًا ... وذلك رأي لو علمت وثيقُ
سأشربها مادمت حيًّا وإن أمت ... ففي النفس منها زفرة وشهيقُ

وأراد الأقيشر أن يتزوج ابنة عم له يقال لها: الرباب، فطلب أهلها منه أربعة آلاف درهم مهرًا لها، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئًا، فذهب إلى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيًّا، فطلب منه المساعدة فأعطاه الصداق.

فقال الأقيشر:

كفاني المجوسي مهر الرباب ... فدىً للمجوسي خالي وعم
شهدت بأنك رطب المشاش ... وأن أباك الجواد الخصم
وأنك سيد أهل الجحيم ... إذا ما ترديت فيمن ظلم
تجاور قارون في قعرها ... وفرعون والمكتنى بالحكم

فقال له المجوسي: " ويحك! سألت قومك فلم يعطوك

وجئتني فأعطيتك، فجزيتني هذا القول، ولم أفلت من شعرك وشرك!"، قال الأقيشر:" أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهلٍ!".

وذكر الشافعي: أن الأقيشر هجا عبيد الله بن أبي إسحاق بن طلحة بن عبيد الله هجاءً كثيرًا شديدًا فقتله غلمان له، إذ قال لهم:" ألا تريحونا منه"، فانطلقوا وجمعوا بعرًا وقصبًا بظهر الكوفة، وجعلوه في حفرة، وأقبل الأقيشر، وهو سكران من الحيرة على بغل رجل مكّار، فأنزله عن البغل، وعادوا فأخذوا الأقيشر، فشَدُّوه ثم وضعوه في تلك الحفرة، وألهبوا النار في القصب والبعر، فجعلت تلفح وجهه وجسمه حتى مات . (٧٣).

الثأر المرُّ
بَحِير بن ورقاء الصريمي (... - ٨١ هـ)

هو بَحِير بن ورقاء الصريمي التميمي السعدي، شاعر مقل، من كبار القادة في خُراسان، وأحد الأشراف الشجعان في العصر الاموي، كان مع أمية بن عبد الله أمير خراسان، ثم صحب المهلب في بعض غزواته، وقتله صعصعة بن حرب العوفي غيلة بخراسان.

وكان سبب قتله أنه لما قَتل بَكِير بن وساج - وكلاهما تميميان - بأمر من أمية بن عبد الله بن خالد ، قال عثمان بن رجاء أحد بني عوف يحرض آل بكير من الآباء والأبناء (عدة بطون من تميم سموا لذلك):

لعمري لقد أغضبتُ عينًا على القذى ... وبت بطينًا من رحيق مروق
وخليت ثأرًا طلَّ واخترت نومة ... ومن يشرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت مِن عوف بن سعد ذؤابة ... تركت بحيرًا في دم مترقرقِ
فقل لبحير نَمْ ولا تخشْ ثائرًا ... ببكر فعوف أهل شاء حبلق
دعوا الضأن يومًا قد سبقتم بوتركم ... وسرتم حديثًا بن غرب ومشرق
وهبوا فلو أمسى بكير كعهده ... لغاداهمو زحفًا بجأواء فيلق

وقال أيضا:

فلو كان بكر بارزا في أداته ... وذي العرش لم يقدم عليه بخير
ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب ... وفي الله طلاب بذاك جدير

فبلغ بحيرًا أن رهط بكير من الأبناء يتوعدونه فقال:

توعـــدني الأبنـــاء جهـــلاً كأنما ... يرون فنائي مقفرًا من بـــني كعـــب
رفعـــت لـــه كفّـــي بســـيف مهنـــدٍ ... حسام كلون الثلج ذي رونـــق عضـــب

وحـين بلغـت الأبيـات بـني عـوف ثـارت ثـائرتهم وتعاقـد سبعة عشر رجلاً منهم على طلب الثأر بدم بَكير فخرج فتى منهم يقال له: شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرًا واقفًا فحمل عليه فطعنه وصرعه وقتله.

وقيـل: خـرج صعصـعة بـن حـرب العـوفي مـن الباديـة ومضى إلى خراسان، وجاور قرابة لبحير مدة، وادعـى إلى بني حنيفة من اليمامة، وأطـال مجالستهم حتـى أنسـوا بـه، ثـم قـال لهـم: " إن لـي بخراسـان ميراثـا فـاكتبوا لـي إلى بحـير كتابًـا ليعينني على حقي"، فكتبوا لـه، وسـار حتـى وصل إلى بحير، ولقي قومًا مـن بـني عـوف فـأخبرهم أمـره، ولقـي بحيرًا فـأخبره أنـه مـن بـني حنيفـة مـن أصـحاب ابـن أبـي بكـرة، وأنَّ لـه مـالاً بسجستان، وميراثًا بمرو، وقدم لبيعه ثم يعود إلى اليمامة.

فأنزله بحير، وأمر له بنفقة ووعده بمساعدته، فقـال صعصعة: " أقيم عندك حتى يرجع الناس"، فأقام شـهرًا يحضـر معـه مجلسـه ويسـمر معـه، وكـان بحـير قـد حـذر، فلمـا أتـاه صعصعة بكتاب أصحابه، وذكر أنَّـه مـن حنيفـة أمنـه، فجـاء يومًا صعصعة وبحير عند المهلب بن أبي صفرة، فدنا منه كأنه يكلمه فطعنه بخنجر معه في خاصرته فقتله من الغد . (٧٤).

المُتهور
أبو جلدة اليشكري (... - ٨٣ هـ)

هو أبو جلدة بن عبيد بن منفذ بن حِجْر بن عبيد الله بن مسلمة، من بني جشم بن غنم من بني يشكر بن بكر بن وائل. شاعر أموي من أهل الكوفة، كان مولعًا بالشراب، ينفق كل ماله فيه، فنشأ فقيرًا صعلوكًا، ونعته ابن قتيبة بالخبيث.

شاعر رقيق العبارة، جيد السبك، له مراثٍ جميلة، اُشتهر عنه الوفاء والأمانة والصدق، ولذلك لمَّا جيء برأسه إلى الحجاج نظر إليه طويلاً ثم قال: "كم من سرٍّ أودعته في هذا الرأس، فلم يخرج حتى أُتيت به مقطوعًا".

رحل إلى سجستان ثم عاد إلى الكوفة، واتصل بالحجاج وكان من بطانته، وخواصه وجلسائه، ثم انقلب عليه وشايع عبد الرحمن بن الأشعث في حربه ضد الحجاج، وكان بينه وبين زياد بن الأعجم مهاجاة.

قتله الحجاج بعد هزيمةِ عبد الرحمن بن الأشعث سنة ٨٣ هـ. وكان من أشدِّ النَّاس تحريضًا على الحجاج بالشعر ومن ذلك قوله:

لعمري لأهل الشّام أطْعنُ بالقَنا — وأحمى لما تُخشى عليه الفضائح
هم المُقدمونَ الخيل تدمي نحورها — إذا أبيض من هول اللقاء المسائح
فرَرَنا عجالاً عن بنينا وأهلنا — وأزواجنا إذ عارضتنا الصفائح

جبنًا وما من مورد الموتِ مهربٌ ... ألا قبحت تلك النفوس الشحائح
تركناهم صحن العراق وناقلت ... بنا الأعوجيَّات الطِّوال الشَّرامح
فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح
بكين إلينا خشيةً أن تُبيحها ... رماحُ النصارى والسُّيوف الجوارح
بكيْن لِكيما يمنعوهُنَّ منهم ... وتأبى قلوبٌ أضمرتها الجوانِح
وناديتنا أين الفِرار وكنتم ... تغارون أن تبدو البرى والوشائح
أأسلمتمونا للعدو على القَنا ... إذا انتزعت منها القرون النواطِح؟
فما غار منكم غائر لحليلة ... ولا غربٌ عزَّت عليه المناكح

وروي أن هذه القصيدة شدت من عزيمة أهل الكوفة وأنفوا، وثاروا فشدوا شدة تضعضع بسببها عسكر الحجاج. وحين وصل خبر القوم والقصيدة إلى الحجاج غضب على أبي جلدة لكثرة تحريض الناس وحقد عليه هذه القصيدة.

وروي أن الحجاج قال يومًا لجلسائه: "ما حرضَّ عليَّ أحد كما حرضَّ أبو جلدة، فإنَّه نزل على سرحة في وسط عسرك لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناس ينظرون إليه، فقالوا له: مالك؟! ويلك! أجننت؟ ما هذا الفعل؟ قال: كلكم قد فعلتم مثل هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرته، فشتموه، وحملوا عليَّ، فما أنساهم وهو يقدمهم ويرتجز:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا ... مالك يا حجاج منا منجى
لتُبعجن بالسيوف بعجا ... أو لتفرنَّ فذاك أحجى

فوالله لقد كاد أهل الشام يتضعضعون لولا أن الله – تعالى – أيدنا بنصره ".

وبعد أن أخمد الحجاج ثورة ابن الأشعث قُبض على أبي جلدة اليشكري وأعدم من فوره وجيء برأسه إلى الحجاج .

(٧٥).

وجاهة تجرُّ نهاية
الأعشى الهمداني (... - ٨٣ هـ)

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم، يكنى أبا المصبح، ولقبه الأعشى الهمداني، وهمدان جده الأعلى، وسمي بالأعشى لضعف بصره. ولد في الكوفة، ودرس القرآن الكريم في صباه، وأولع بالقراءات، كان يعدُّ شاعر أهل اليمن وفارسهم، وكان خطيبًا متمكنًا مسموع الكلمة، روي عنه أنه كان متوقد الذكاء، وحاضر البديهة، يتمتع بعزيمة قوية لا تفل، وحجة لا تضل.

قال عنه أبو الفرج: "هو شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية". وعدَّه الأصمعي في الفحول الإسلاميين المكثرين، وقال عنه الجاحظ: "ومن الخطباء الشعراء العلماء، وممن تنافر إليه الأشراف: أعشى همدان"

ذُكر عنه أنه كان يعيش حياتين متناقضتين: حياة تقى وورع وزهد أيام الطلب والنشأة، وحياة أخرى تفيض بالمشاعر والأحاسيس في أثناء نظم الشعر والغزل، ولذا كانت شخصيته متناقضة تشوبها حالات من الضجر واليأس والاضطراب.

أعجب الأعشى في بدء حياته بمصعب بن الزبير، وما لبث أن تقرب من الأمويين وقاتل معهم، فهو شاعر مواكب للأحداث، منغمس فيها، ومن ذلك أنه اشترك في سنة ٨٠ هـ

بحركة هدفت إلى قلب نظام الدولة الأموية، كان يتزعمها عبد الرحمن بن الأشعث، بدأت نشاطها ضد الحجاج، فكان لسانًا لاذعًا مسلطًا عليه.

والحقيقة أن اسم الأعشى لم يرتبط بأي حدث تاريخي كارتباطه بثورة ابن الأشعث، الذي حشد معه في ثورته أكثر أهل الكوفة، فلم يبقَ من وجوه الكوفين أحد إلا وتمرد معه لقسوة الحجاج عليهم، وقد شارك الأعشى في هذه الثورة مشاركة فعلية، ووقف منها موقفًا مؤيدًا، باللسان تارة، وبالسِّنان تارة أخرى، فأرسل الأشعار التحريضية ضد الحجاج، والأبيات في مدح ابن الأشعث، وتارة يهجو الحجاج، وكل ذلك بهدف جمع القبائل تحت راية ابن الأشعث.

ولعل دوافع الأشعث تلتقي مع دوافع الأعشى في هذه الثورة وهي طلب المجد والسيادة، وإعادة الملك والسلطان، فكلاهما ينطلق من عصبية ضيقة، وقومية أضيق، وعلى ذلك لم يسلم الحجاج من هجاء الأعشى، ومما زاده غضبًا مدح ابن الأشعث وهو ألدُّ أعداء الحجاج، وأجرأ الخارجين، لكن الحجاج تغلب على جماعة ابن الأشعث، وأسر زعماءهم، وكان منهم الأعشى، فلما رآه الحجاج أسيرًا سرَّ، وقال: "الحمد لله الذي أمكن منك" ألست القائل:

شطت نوى مَن دارهُ بالإيوان ... إيوانِ كسرى ذي القُرى والريحان
فالبندَ نيجين إلى طردستان ... فالجسرِ فالكوفةِ فالغرِّيان

من عاشقٍ أمسى بزابلستان ... إنّ ثقيفًا منهم الكذابان
كذابُها الماضي وكذابٌ ثانِ ... أمكن ربي من ثقيفٍ همدان
يومًا إلى الليلِ يُسلّي ما كانَ ... إنَّا سمونا للكفور الفتان
حين طغى بالكُفرِ بعد الإيمانِ ... بالسِّيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمعٍ كالقَطا من قحطانِ ... ومن معدٍ قد أتى تبنُ عدنان
بجحفلٍ جمٍ شديدِ الإرنان ... فقلِ لحجاجٍ وليِّ الشيطان
يثبتِ لجمعِ مذحجٍ وهمدان ... والحيِّ من بكرٍ وقيسِ عيلان
فإنهم ساقوهُ كأس الذيفان ... ومُلحقوهُ بقرى ابنِ مروان

ثم ألست القائل يا أعشى ؟:

من مُبلغُ الحجاجِ أنـ ... ـني قد ندبتُ إليه حربا
حربًا مُذكرةً عَوا ... نًا تُترك الشُبان شهبا
وصفقتُ في كفٍّ امرئٍ ... جلدٍ إذا ما الأمرُ غبّا
يا ابن الأشجِّ قريعَ كِنـ ... ـدة لا أُبَالي فيك عتبا
أنتَ الرئيسُ ابنُ الرئيـ ... ـس وأنتَ أعلى الناسِ كعبَا
نبئتُ حجاجُ بن يو ... سفَ خرَّ من زلقٍ فتبًّا
فانهضْ فُديت لعلهُ ... يجلو بكَ الرحمنُ كربا
فإذا جعلتَ دروب فا ... رسَ خلفهم دربًا فدربا
وابعث عطيةَ في الخيو ... ل يكبُّهنَّ عليه كبًّا

كلا، يا عدو الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرَّ من زلق فتبَّ وحار وانكب وما لقي ما أحبّ. ورفع الحجاج صوته، وأربد وجهه، واهتز منكباه، حتى لم يبقَ في

المجلس إلا من خاف على نفسه، وارتعدت فرائصه، فقال الأعشى: بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى اللهُ إلا أن يتممَّ نورَه ... ويُطفئ نارَ الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحقِّ في كلِ موطنٍ ... ويعدلَ وقعَ السيفِ من كانَ أصيدا
وينزلَ ذُلاًّ بالعراقِ وأهلهِ ... كما نقضوا العهد الوثيقَ المؤكدا
وما أحدثوا من بدعةٍ وعظيمةٍ ... من القولِ لم تصعدَ إلى اللهِ مصعدا
وما نكثوا من بيعةٍ بعد بيعةٍ ... إذا ضمنوها اليومَ خاسوا بها غدا
وجبنًا حشاهُ ربُّهم في قلوبهم ... فما يقربونَ الناسَ إلا تهدُّدا
فلا صدقَ في قولٍ ولا صبرَ عندهم ... ولكنَّ فخرًا فيهمُ وتزيُّدا
فكيف رأيتَ اللهَ فرَّقَ جمعهُم ... ومزَّقهُم عُرضَ البلادَ وشرَّدا
فقتلاهم قتلى ضلالٍ وفتنةٍ ... وحيُّهُم أمسى ذليلاً مُطرَّدا
ولما زحفنا لابن يوسفَ غدوةً ... وأبرقَ مِنّا العارضانِ وأرعدا
قطعنا إليه الخندقينِ وإنَّما ... قطعنا وأفضينا إلى الموتِ مُرصدا
فكافحنا الحجاجُ دون صُفوفنا ... كفاحًا ولم يضرِب لذلكَ موعدا
بصفٍ كأنَّ البرقَ في حجراتهِ ... إذا ما تجلى بيضُهُ وتوقدا
دلفنا إليه في صُفوفٍ كأنَّها ... جبالُ شروري لو تُعانُ فتنهدا
وما لبثَ الحجاجُ أن سلَّ سيفه ... علينا فولى جمعنا وتبدَّدا
وما زاحفَ الحجاجُ إلا رأيتهُ ... حسامًا مُلقَّى في الحروب معوَّدا
وإنَّ ابنَ عباسٍ لفي مُرجحنَّةٍ ... نُشبهها قطعًا من الليلِ أسودا
فما شرعوا رُمحًا ولا جردوا يدًا ... ألا رُبما لاقى الجبانُ فجرَّدا
وكرت علينا خيلُ سُفيانَ كرَّةً ... بفرسانها والسمهري مُقصَّدا

وسُــفيانُ يهــديها كــأنّ لــواءَهُ — من الطعنِ سندٌ باتَ بالصبغِ مُجسدا
كُهولٌ ومردٌ من قُضــاعة حولــهُ — مساعيرُ أبطالٌ إذا الــنكسُ عــرّدا
إذا قال شُدوا شــدةً حملــوا معًــا — فأنهــلَ خرصــانَ الرمــاحِ وأوردا
جنــودُ أمــيرِ المــؤمنينَ وخيلــهُ — وسُــلطانهُ أمســى مُعانًــا مؤيّــدا
ليهنــئ أمــيرَ المــؤمنينَ ظُهــورُهُ — على أمَــةٍ كــانوا بُغــاةً وحُسَّــدا
نزوا يشتكون البغي من أُمــرائِهم — وكانوا همُ أبغــى البُغــاةِ وأعنــدا
وجدنا بــني مــروانَ خــيرَ أئمَّــةٍ — وأفضلَ هذي الخلقِ حلمًا وسؤددا
وخير قُــريشٍ في قــريش أرومــةٍ — وأكــرمهم إلا الــنبيَّ مُحمَّــدا
إذا مــا تــدابرنا عواقــبَ أمــرهِ — وجــدنا أمــيرَ المــؤمنينَ مُســدَّدا
سيغلبُ قومًا غــالبوا الله جهــرة — وإن كايدوهُ كان أقــوى وأكيــدا
كذاكَ يُضلُّ الله مــن كــان قلبُــهُ — مريضًا ومن والى النفــاقَ وألحــدا
فقد تركوا الأهلينَ والمالَ خلفَهُــم — وبيضًا علــيهنَّ الجلابيــبُ خُــرَّدا
يُنــاديهم مُســتعبراتٍ إلــيهمُ — ويُذرينَ دمعًا في الخُــدودِ وإثمــدا
وإلا تنــاولهُنَّ منــكَ برحمــةٍ — يكُــنَّ ســبايا والبُعولــةُ أعبُــدا
أنكثًــا وعصــيانًا وغــدرًا وذلــةً — أهانَ الإلــهُ مــن أهــان وأبعــدا
تعطــف أمــيرَ المــؤمنين علــيهمُ — فقد تركوا أمرَ الســفاهةِ والــردى
لعلهُم أن يُحــدثوا العــامَ توبــةً — وتعرفُ نُصــحًا منــهمُ وتــودُّدا
لقد شأمَ المصــرينِ فــرخُ محمَّــدٍ — بحقٍ وما لاقى مــن الطــيرِ أســعدا
كمــا شــأمَ الله الــنُجيرَ وأهلــهُ — بجدٍ لهُ قد كــان أشــقى وأنكــدا

فقال من حضر من أهل الشام للحجاج: "لقد أحسن أيها الأمير فخلِّ سبيله" فأجابهم:" أتظنون أنه أراد المدح ؟ لا

والله، ولكنه قال هذا أسفًا لأنكم تغلبتم عليه، وأراد بما قال أن يحرض أصحابه".

ثم أقبل عليه فقال له:" أظننت يا عدوّ الله أنك تخدعني بهذا الشعر، وتفلت من يدي حتى تنجو ؟، ألست القائل ويحك ؟:

يأبى الإله وعزة ابن محمد — وجدود ملك قبل آل ثمود
أن تأنسوا بمذمين، عروقهم — في الناس إن نسبوا عروق عبيد
كم من أب لك كان يعقد تاجه — بجبين أبلج مقول صنديد
وإذا سألت المجد أينَ محلُّه — فالمجدُ بين محمدٍ وسعيد
بين الأغرِّ وبين قيسٍ باذخٌ — بَخْ بَخْ لوالده وللمولود
ماقصرت بك أن تنال مدى العلا — أخلاق مكرمة وإرث جدود
قرم إذا سامى القروم ترى له — أعراق مجد طارف وتليد
وإذا دعا لعظيمة حشدت له — همدان تحت لوائه المعقود
وَإِذا دَعَوتَ بِآلَ كِندَةَ أجفَلوا — بِكُهولِ صِدقٍ سَيِّدٍ وَمَسودِ
يمشون في حلق الحديد كأنهم — أسد الإباء سمعن زأر أسود
وَشَبابِ مَأسَدَةٍ كَأَنَّ سُيوفُهُم — في كُلِّ مَلحَمَةٍ بُروقُ رُعودِ
ما إن ترى قيسًا يقارب قيسكم — في المكرمات ولاترى كسعيد

والله لا تبخخ بعدها أبدًا. أولست القائل ؟:

وأصابني قومٌ وكنتُ أُصيبهم — فاليومَ أصبرُ للزمانِ وأعرفُ

كذبت والله ماكنت صبورًا ولا عروفًا، ثم قلت بعده:

وإذا تصبك من الحـوادثِ نكبـةٌ فاصبْر فكـلٌ غيابـة ستكشَّـف

أما والله لتكونَنَّ نكبة لا تكشف غيابتُها عنك أبدًا، يا حرسي: اضرب عنقه"، فضرب عنقه، فمات دافعًا حياته ثمنًا لشعره.

والحوار الذي دار بين الحجاج والأعشى قبل قتله لم يكن موضوعه الثورة وأهدافها، وخطط ابن الأشعث ونياته، بل كان موضوعه أشعار الأعشى وقصائده ومراميه، وبسببها كان قرار الإعدام الذي نفذ سريعًا.

إن حفظ الحجاج لتلك الأشعار واستشهاده بها، واستحضارها في ذهنه دلالة على أهميتها، وقوة تأثيرها في نفسه، وانزعاجه المتأزم منها، واندفاعه للانتقام من قائلها .

(٧٦).

صورة الموت
أبو حَزابة التميمي (٤٠ – ٨٥ هـ)

هو الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بني تميم، ولد في حدود ٤٠ هـ لأنه كان غلامًا حينما جعل معاوية يزيدًا وليًا للعهد: من شعراء الدولة الأموية، بدوي تحضر وسكن البصرة، شاعرٌ راجز فصيح اللسان، خبيث الهجاء. أُكتتب في الديوان ثم أرسل في الجيش إلى سجستان فأقام بها مدة، ثم رجع إلى البصرة، أيام فتنة بن الزبير.

ولما ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان سنة ٨٠ هـ انظم إليه أبو حزابة وناصره وشايعه وخلع بيعة ابن مروان، وكان قد وفد على يزيد بن معاوية في حياة أبيه،ودخل على طلحة الطلحات الخزاعي، وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان، وكان أبو حزابة قد مدحه، فأبطأت عليه الجائزة من جهته، ورأى ما يعطي غيره من الجوائز، فأنشده:

وأدليت دلوي في دلاء كثيرة ... فجئن ملاء غير دلوي كما هيا
وأهلكني ألا تزال رغيبتي ... تُقصِّر دوني أو تحل ورائيا
أراني إذا استمطرت منك سحابة ... لتمطرني عادت عجاجا وسافيا

فرماه طلحة بحِقّة فيها درة، فأصابت صدره ووقعت في

حجره، وقيل: أعطاه أربعة أحجار، وقال له:" لا تخدع عنها"، فباعها بأربعين ألفًا.

ثم ولى من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد الله بن علي بن عدي وكان شحيحًا بخيلاً فقال له أبو حزابة:

يا بن علي برح الخفاء ... قد علم الجيران والأكفاء
أنك أنت النذل واللفاء ... أنت لعين طلحة الفداء
بنو عدي كلهم سواء ... كأنهم زينية جراء

ثم وليها بعد عبد الله بن علي عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز أيام الفتنة، فاستأذنه أبو حزابة أن يأتي البصرة، فأذن له، فقدمها، وكان الناس يحضرون المربد، ويتناشدون الأشعار، ويتحادثون ساعة من النهار، فشهدهم أبو حزابة، وأنشدهم مرثية له في طلحة الطلحات يضمنها ذمًّا لعبد الله بن علي وكان قصيرًا دميمًا، وهي قوله:

هيهات هيهات الجناب الأخضر ... والنائل الغمر الذي لا يزرر
واراه عنا الجدث المغور ... قد علم القوم غداة استعبروا
والقبر بين الطلحات يحفر ... أن لن يروا مثلك حتى يُنشروا
أنا أتانا جرز محمر ... أنكره سريرنا والمنبر
والمسجد المختضر المطهر ... وخلف يا طلح منك أعور
بلية يا ربنا لا نسخر ... أقل من شبرين حين يشبر
مثل أبي القَعواء لا بل أقصر ... .

وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيرًا.

وقال له رجل من بني تميم بن مرة قيس، وهو عون بن عبد الرحمن بن سلامة: "بئسما قلت ! أتشاهر الناس بشتم قريش ؟"، فقال له: "إني لم أعُمَّ، إنما سميت رجلاً واحدًا"، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع، ثم أمر عون ابن أخ له، فدعا أبا حزابة فأطعمه وسقاه، وخلط في شرابه شيء ما فسلحه، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه، فسلح على بابهم وفي طريقه، حتى بلغ أهله، ومرض أشهرًا، ثم عُوفي، فركب فرسًا له، ثم أتى المربد فإذا عون بن سلامة واقف، فصاح به، فوقف، ولو لم يقف كان أخف لهجائه، فقال له أبو حزابة:

يا عون قف واستمع الملامة ... لا سلم الله على سلامة
زنجية تحسبها نعامة ... شكاء شان جسمها دمامة
ذات (...) كريشي حمامة ... بينهما (...) كرأس الهامة
أعلمتها وعالم العلامة ... لو أن تحت (...) صمامة
لدفعت قدمًا بها أمامه ... .

فكان الناس يصيحون به: أعلمتها وعالم العلامة.

وقيل له: "لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك، وشرَّفك، وألحقك بعِلية أصحابه، فلست دونهم"، وكان أبو حزابة يومئذ غلامًا حدثًا، وكان معاوية حيًّا، ويزيد أميرًا يومئذ، فلما أكثر قومه عليه في ذلك وفي قولهم إنك ستشرف بمصيرك إليه قال:

يشـــرفني ســـيفي وقلـــب مجانـــب ... لكـــل لئـــيم باخـــل ومعلـــهج
وكري علـــى الأبطـــال طرفًـــا كأنـــه ... ظليم وضربي فـــوق رأس المـــدجج
وقولي إذا ما النفس جاشت وأجهشت ... مخافـــة يـــوم شـــره متـــأجج
عليك غمار الموت يا نفـــس إنـــني ... جريء على درء الشـــجاع المهجهـــج

فخشي أن يذهب إلى يزيد فلا يصل إليه فلما أكثر عليه قومه، وعنفوه في تأخره أتى يزيد بن معاوية، فأقام ببابه شهرًا لا يصل إليه فرجع، وقال: " والله لا يراني ما حملت عيناي الماء إلا أسيراً أو قتيلا"، وأنشأ يهجو يزيد بن معاوية:

فو الله لا آتي يزيدًا ولو حـــوت ... أنامله مـــا بـــين شـــرقٍ إلى غـــربِ
لأنَّ يزيـــدًا غَيَّـــر الله مـــا بـــه ... جنوحٌ إلى السُّوأى مُصر على الـــذنب
فقل لبني حرب تقـــوا الله وحـــدّه ... ولا تُسعدِوه في البطالـــة واللعـــب
ولا تأمنوا التغـــيير إنْ دام فعلـــه ... ولم ينهه عن ذاك شيخ بـــني حـــرب
أيشربها صِرفًا إذا الليـــل جَنَّـــه ... معُتَقة كالمســـك تختـــال في القلـــب
ويلحى عليها شـــاربيها وقلبـــه ... يهيم بها إنْ غابَ يومًا عن الشُّـــربِ

ومدح أبو حزابة عبد الله بن علي العشمي وهو على سجستان فلم يثبه فقال يهجوه:

هبـــــت تعـــــاتبني أمـــــا ... مـــــة في الســـــماحة والفضـــــال
وأبيـــــت عنـــــد عتابهـــــا ... إلا خلائـــــق ذي النـــــوال
أعطـــي أخـــي وأحوطـــه ... جهـــدي وأبـــذل جـــل مـــالي

وأقيه عند تشاجر الأبطا ... ل بالأسل النهال

حفظا له ورعاية ... للخاليات من الليالي

إذ نحن نشرب قهوة ... درياقة كدم الغزال

حمراء يذهب ريحها ... ما في الرؤوس من الخبال

وإذا تشعشع في الإناء ... رمت أخاها باغتيال

وعلا الحباب فخلته ... عقدًا ينظم من لآلي

تشفي السقيم بريحها ... وتميته قبل الإجال

تلك التي تركت فؤا ... د أبي حزابة في ضلال

لا يستفيق ولا يفيـ ... ـق نزيفها في كل حال

وإذا الكماة تنازلوا ... ومشى الرجال إلى الرجال

وبدت كتائب تمتري ... مهج الكتائب بالعوالي

فأبو حزابة عند ذا ... ك أخو الكريهة والنزال

يمشي الهويني معلمًا ... بالسيف مشيًا غير آل

كالليث يترك قرنه ... متجدلا بين الرمال

إني نذير بني تميـ ... ـم من أخي قيل وقال

من لا يجود ولا يسو ... د ولا يجير من الهزال

وتراه حين يجيئه السؤا ... ل يولع بالسعال

متشاغلاً متنحنحًا ... كالكلب جمجم للعظال

فارفض قريشًا كلها ... من أجل ذي الداء العضال

وصلت القصيدة إلى مسامع عبد الله بن علي فساءته كثيرًا وآلمته طويلا ، وظل يتربص به ، وبعد أن أخمد الحجاج ثورة ابن الأشعث ظفر به من ضمن الأسرى فقتله . (٧٧).

وضاح الموت
وضاح اليمن (... - ٩٠هـ)

وضَّاح اليمن لقب غَلَب على الشاعر عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داود، لجماله وبهائه، وحُسن وجهه. يعدُّ من شعراء الغزل المجيدين، وقد اختلف في نسبه فجعله أناس من قبيلة خولان الحميدية، ونسبه آخرون إلى الفرس الذي قدموا مع سيف بن ذي يزن لنصرته على الحبشة.

قيل عنه: "وكان من حُسنه يتقنع في المواسم مخافة العين" وهو شاعر يمني رقيق الغزل، عجيب النسيب، وجماله كان قنطرة العبور إلى قلوب النساء ومن ثم أسلمنه إلى طريق الهلاك، فقد كان يهوى النساء، وتهواه النساء، ومن ثم يتغزل بهن، وطبيعة الغزل عنه تتراوح بين الغزل العفيف والصريح، وكان يمزج بينهما بشكل عجيب بمفردات عفيفة ومعنى صريح.

أما النهاية المأسوية لهذا الشاعر فبدأت في إحدى المواسم التي حج فيها الخليفة الوليد بن عبد الملك، وحجت معه زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وكانت آية في الجمال، وحسن القوام، قدمت مكة مع بعض جواريها، وكان الوليد قد احتاط لما يمكن أن يحصل لمثل هذا الموكب المثير للمشاعر عند أهل الشعر والغزل، فتوعد الشعراء إن هم تغزلوا بها.

وصلت أم البنين إلى مكة مع بعض جواريها في موكب ملكي كبير، وجّه أنظار الناس، وشغل شعراء الغزل، إلا أن الذي حصل هو ما كان يخشاه الوليد، فقد رآها وضّاح اليمن فبهره جمالها، وكان معه كُثيِّر عزة فرأى أن يتغزل بجواريها ليحفظ رأسه، أما وضّاح فأبى إلا أن يتغزل بها، وقد حثه على ذلك جمالها الساحر.

وقيل:" إن أم البنين وقعت في غرام وضاح وأحبته في تلك الرحلة، وكانت قد بعثت إليه وآخرين معه وطلبت منهم أن يقولوا فيها الشعر"، و كعادة معظم الشعراء ممن لا يحسبون للعواقب حسابها، فيرتقون بأشعارهم إلى مواطن هلاكهم فأرسل القصائد إثر القصائد في وصف أم البنين والتشبيب بها، يقول:

حَتَّام نكتمُ حبَّنا حتّاما؟ — وعلام نستبقي الدموع علاما؟
إنَّ الذي بي قد تفاقم واعتَلى — ونما وزادَ وأرثَ الأسقامَا
قد أصبحتْ أم البنين مريضةً — نخشي ونشهقَ أن يكون حِماما
يا ربِّ امتعني بطولِ بقائها — واَجبر بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأرضها — قد فارق الأخوات والأعماما
كم راغبين وراهبين وبؤسٌ — عصموا بقرب جناحها أعصاما
بجناب ظاهرة الثنا محمودةٌ — لا يستطاع كلامها إعظَاما

إن وضاحًا لم يكن على حيطة وحذرٍ حين أطلق لسانه في الغزل، متناسيًا مكانتها ومكانة زوجها في الدولة، ولا

يوجد مسوغٌ لهذا الجرأة غير أنه اتبع هواه فضلَّ، فقد كانت جرأته في غير محلها؛ ولذا جرت عليه الهلاك.

ولعل قصائد وضاح بالتغزل في أم البنين هي التي كانت السبب في المكيدة المدبرة التي حاك فصولها الخليفة للتخلص من وضاح وقتله على رغم كثرة قصائد المديح التي نظمها في مدح الوليد، والتي قيل إنها كانت بتوجيه من أم البنين لاستدرار رضا الخليفة عنه وتقريبه من البلاط ليكون قريبًا منها، ولذلك نجحت تلك القصائد في تقريب وضاح من البلاط الملكي لكنها عجلت بنهايته.

وقيل: "إن الوليد أحسن رفده، وأجزل صلته، ثم نما إليه أنه شبب بأم البنين فجفاه، وأمر أن يحجب عنه، ودبر في قتله". ومن القصائد التي آلمت الوليد بن عبد الملك قول وضاح في أم البنين لما سافرت:

صَدَعَ البينُ والتّفرق قلبي ... وتولّت أم البنين بلُبّي
ثوتِ النفسُ في الحُمول لديها ... وتوَلّى بالجِسم مني صحبي
ولقد قلت والمدامع تجري ... بدموعٍ كأنها فيضُ غربِ
جزعًا للفراقِ يوم تولت ... حسبي الله ذو المعارج حسبي

وقوله:

ترجَّل وضــاحٌ وأســبل بعــدما ... تكهَّل حينًا في الكهول ومــا احــتلمْ
وعُلِّق ببضــاء العوارضــي طفلــةً ... مخضبةُ الأطــرافِ طيبــةَ النســم
إذا قلتُ يومًــا نــوِّليني تبسَّــمت ... وقالت: معاذَ اللهِ من فِعل ما حــرم
فَمَا نَوَّلَت حَتَّى تَضَــرَّعَتُ عِنــدَهَا ... وأَعلَمتُها مَا رَخَّصَ اللَّهُ في اللَّمَــم

وقد جاء عن الخليفة قوله: "أما لهذا الكلب من زاجر عن نسائنا وأخواتنا ... والله سأسكتَنَّ لسانه".

وهكذا يتبين أن الوليد قد علم بتغزل وضاح بزوجته، وعزم على وضع حدٍ لهذا التجاوز الخطير، وتشير بعض الروايات حول مقتله وقد ذكرها الأصفهاني في الأغاني، وهي تختلف في تفاصيلها وتتفق في نتيجتها، منها: أن وضاحًا تغزل بأم البنين فطلبه الوليد بن عبد الملك وأمر بقتله، فقال له ابنه عبد العزيز: " لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقق قوله، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهيل، فإنه لما شبب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله"، فقال: "إذن تحقق قوله، ولكن تبُرُّه وتحسن إليه فيستحي، ويكف ويكذب نفسه" فلم يقبل الوليد من ابنه، وجعل وضاحًا في صندوق ودفنه حيًا.

وفي رواية أخرى:" أن أم البنين عشقت وضاحًا وكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها، فإذا خافت دارته (أخفته) في صندوق عندها وأقفلت عليه، وذات يوم أهدي للوليد جواهر قيمة أعجبته، واستحسنها، فدعا خادمًا له

فبعث بالجواهر معه إلى أم البنين وقال له: " قل لها لقد أعجبتني هذه الجواهر فآثرتك بها"، فدخل عليها الخادم مفاجأة ووضاح عندها فأدخلته الصندوق والخادم يرى، فسلمها ما أوصاه به الوليد، ثم قال لها: " يا مولاتي هبيني منها حجرًا"، فنهرته بشدة وشتمته، فرجع إلى الوليد فأخبره بما رأى، فقال الوليد: "كذبت يا ابن اللخناء"، وأمر به فضربت عنقه.

ثم انطلق إلى أم البنين فرآها جالسة تتمشط، وكان الخادم قد وصف له الصندوق الذي أدخلت وضاحًا فيه فجلس عليه ثم قال لها: " يا أم البنين ما أحب إليك هذا البيت من بين بيوتك! فلم تختارينه ؟"، فقالت: " أجلس فيه وأختاره؛ لأنه يجمع حوائجي كلها فأتناولها كلها من قريب"، فقال لها: " هبي لها صندوقًا من هذه الصناديق"، قالت: "كلها لك يا أمير المؤمنين"، قال: " ما أريدها كلها، إنما أريد واحدًا منها"، فقالت: " خذ أيها شئت"، قال: " هذا الذي جلست عليه"، قالت: "خذ غيره فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها"، قال: " ما أريد غيره".

قالت: "خذه يا أمير المؤمنين"، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله، فحملوه إلى مجلس فوضعوه فيه ثم دعا عبيدًا له وأمرهم فرفعوا البساط، وحفروا بئرًا عميقة في المجلس، ثم وقف مخاطبًا الصندوق، وقال: " يا هذا أنه بلغنا شيءٌ، إن كان حقًّا فقد كفنَّاك ودفنا ذكرك، وقطعنا أثرك، وإن

كان باطلاً فيها دفنا الخشب، وما أهون ذِلك"، ثم قذف به في البئر، وهيل عليه التراب، وسويت الأرض وردَّ البساط إلى حاله، وجلس الوليد عليه، وبعد ذلك لم يُرَ لوضاح أثر في الدنيا، وهكذا انتهت حياة وضاح بهذه العقوبة الأليمة التي جناها من مخاطرة بانت ملامحها منذ لحظتها الأولى . (٧٨).

النهاية البائسة
عبد الله العُرجي (٧٥ - ١٢٠هـ)

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، كنيته أبو عمر، كان ممن شاركوا عام ٩٨هـ بغزو الروم بقيادة مسلمة بن عبد الملك رحمه الله وأبلى فيها بلاء حسنًا، بعدها تحول من حياة الزهد إلى حياة الترف شأن بعض أهل الحجاز، فمال إلى حبِّ الصيد والتشبيب بالنساء، والمغامرات الجريئة.

يعدُّ من شعراء قريش، ومن الشعراء المطبوعين، وشبَّه بعمرو بن أبي ربيعة في غزله وحبِّه للنساء، وحياة اللهو، وروي عنه فروسية عجيبة، وإقدام رهيب، وكان ذا كرم كبير، متلافًا للمال، ولقب بالعرجي لأنه سكن قرية العُرج بالطائف.

وعن ولعه بالنساء فقد ذُكر أنه خرج يومًا للنزهة، فرأى أمَّ الأوقص التميمية وكان يحبها ويتعرض لها، وهي تتستر عنه، فرآها جالسة بين نسوة يتحدثن، فأحبَّ أن يراها عن قرب، فأتى إلى أعرابي كان يبيع اللبن على حمار، فأخذ دابته وثيابه، ثم أقبل عليهن فطلبن منه لبنًا، فمال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص، ويرميها بنظرة فاحصة، وأخرى إلى الأرض كأنه يبحث عن شيء، وهن يشربن اللبن، فقالت إحداهن:"أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض أضاع منك شيء؟"، قال:" نعم، قلبي"، فلما سمعت أم الأوقص كلامه عرفته،

وقالت:" العرجي، ورب الكعبة"، فطلبن منه الانصراف، ووردن اللبن عليه.

وهو صاحب البيت المشهور:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدَادِ ثغرِ

وتبعًا لشهواته وميله إلى اللهو والمغامرات الجريئة فقد تشبب بكُلابة وكانت مولاة لثقيف عند عبد الله بن أبي القاسم بقصيدة طويلة يقول فيها:

حورٌ بعثنَ رسولاً في ملاطفةٍ ... ثقفًا إذا أسقط النساءة الوهم
إليَّ أنْ أتينا هدءٍ إذا غفلت ... أحراسنا افضحتنا إن همُ علموا
فجئتُ أمشي على هولٍ أُجشمهُ ... تجشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كرمُ
إذا تخوفتُ من شيءٍ أقولُ لهُ ... قد جفَّ فامضِ بما قد قدرَ القلمُ
أمشي كما حرَّكت ريحٌ يمانيةٌ ... غُصنًا من البانِ رطبًا طلهُ الرهمُ
في حلةٍ من طرازِ السوسِ مُشربةٍ ... تعفو بهداها ما تُندبُ القدمُ
وهنَّ في مجلسٍ خالٍ وليس بهِ ... عينٌ عليهنَّ أخشاها ولا برمُ
لما بلغتُ إزاءَ البابِ مُكتتمًا ... وطالبُ الحاج تحتَ الليلِ مُكتتمُ
أبدين لي أعينًا نجلاً كما نظرت ... أُدمٌ هجانٌ أتاها مصعب قطمُ
قالت كلابةُ: من هذا؟ فقلتُ لها: ... أنا الذي أنتِ من أعدائهِ زعموا
إني امرؤٌ لجَّ بي حبٌّ فاحرَضني ... حتى بليتُ وحتى شفَّني السقمُ
لا تذكريني لأعداءٍ لو أنَّهمُ ... من بُغضنا أُطعموا الحمى إذن طعموا
فأنعمي نعمةً تُجزي بأحسنها ... فرُبما مسَّنى من أهلكِ النعمُ
سترُ المحبينَ في الدُنيا لعلهمُ ... أن يُحدثوا توبةً فيها إذا أثموا

إذا أُناسٌ مــن الآنــاسِ جــاورهم ... تذمموا باصــطلاحٍ بعــدما حُرِمُــوا
هذي يميني رهينًــا بالوفــاءِ لكــم ... فارضي بها ولأنفِ الكاشِحِ الــرغمُ
قالت: رضيتُ ولكن جئت في قمرٍ ... هلا تلبثتَ حــتى تــدخُلُ الظلــمُ
خلت سبيلي كما خليتُ ذا عُــذرٍ ... إذا رأتــهُ إنــاثُ الخيــلِ تنــتحمُ
حــتى أويــتُ إلى بــيضٍ ترائبــها ... من زيها الحليُ والحنــاءُ والكــتمُ
فبتُّ أسقي بــأكواسٍ أُعــلُّ بهــا ... أصنافَ شتى فطابَ الطعمُ والنســمُ
يجعلني بعــد تســويفٍ وتغديــةٍ ... بحيثُ يُثبتُ غُرضَ الضــامرِ الــولُمُ
حتى بدا ســاطعُ للفجــرِ تحســبُهُ ... سنا حريقٍ بليــلٍ حــين يضــطرمُ
كغرَّةِ الأزهرِ المنسوبِ قد حُسرت ... عنهُ الجلالُ تلالاً وهــو مُصــطخمُ
ودعــتُهنَّ ولا شــيءٌ يــراجعني ... إلا البنــانُ وإلا الأُعــينُ السُــجُمُ
إذا أردنَ كلامي عندهُ اعترضــت ... من دونهِ عــبراتٌ فــانثنى الكلــمُ
لمــا تبينَّــهُ والوجــدُ يعطُفــني ... لِحُــبِّهنَّ وهُــنَّ الولــهُ الــرؤمُ
تميُّــلَ الــتينِ يجــري تحتــهُ نهــرٌ ... يَغطى وترفعُ مــن أفنانــهِ النســمُ
تكادُ ما رُمنَ نهضًــا للقيــام معًــا ... أعجازهُنَّ مــنَ الأقطــانِ تنقصــمُ
يخونُهــا (... ...) صُــويت ... كما تخونُ عُكُومَ المُثعــلِ الخضــمُ
مُستنشداتٌ وقد مالت ســوالفُها ... إلى الولائــدِ لا غــيرَ الهــوى ألمُ
لما رأيتُ الذي يلقينَ مــن كمــدٍ ... وأنَّ آخرَ ليلــي ســوفَ ينصــرمُ
لبستُ ساجي على بُرديَّ مُنطلقًــا ... تحتَ الشمالِ وفيها قطقــطٌ شَــبِمُ
لا مُسرعَ المشي من خوفٍ ولاثبطًا ... كالليثِ أبرزهُ تحتَ الدُجى الــرِهَمُ
حــتى أويــتُ إلى طــرفٍ برابيــةٍ ... كأنهُ مُعرضًــا مــن ســاعةٍ عَلَــمُ
لا يكسرُ الطرفَ نظارٌ يقــالُ بــهِ ... مــن حــدَّةِ الطــرفِ (...) لَمَــمُ

كأنما قرصُ نابيةٍ شكيمتهُ — قرشُ المُدى ينتحيها الجازِ والخذِمُ
ضافي السبيبِ تقدُّ الغُرضَ زفرَتُهُ — نهدٌ وتقصرُ عن أضلاعِهِ الحزُمُ
فذاكَ حُصنُ الفتى مثلي إذا جعلَ — بالمُحصنينَ قصورُ الشيدِ تنهدِمُ

فلما سمع القاسم الشِّعر اتهم كلابة، وقطع عنها مأكلتها من ماله، ثم أحلفها بين الركن والمقام أن العرجي كذب فيما قاله عنها، فحلفت له سبعين يمينًا، فرضي عنها وردَّها.

وتغزل أخرى بعاتكة من بني نصر زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي في قصيدة، منها قوله:

يا دارَ عاتكةَ التي بالأزهرِ — أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألقَ أهلك بعد عام لقيتهم — ياليت أنَّ لقاءهم لم يقدر
بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ — في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمرِ
مستشعرين ملاحفًا هرويةٍ — بالزعفران صباغها والعُصفر
باتا بأنعمِ ليلةٍ حتى بدا — صبحٌ تلوَّحَ كالأغرِّ الأشقرِ
فتلازما عندَ الفِراقِ صبابةً — أخذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعسرِ

وهو على رقة ألفاظه، وعذوبة شعره، كان بذيء اللسان، فقد جاء إليه رجل وقال له:" جئتك أخطب إليك مودتك"، فقال:" بل خذها زنا، فإنه أحلى وألذ".

وقال في هجاء أبي عدي العبلي:

أتانا فلم نشعر به غير أنَّه — له لحية طالت على حمق القلب
كراية بيطار بأعلى حديدة — إذا نصبت لم نكسب الحمد بالنصب

أتانا على شـــغب يعـــرض بالقرى
وهل فوق قرصٍ من قرى صاحب السَّغب

وقال في هجاء محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك لما ولاّه مكة، وكتب إليه أن يحج بالناس:

كــأن العـــام لـــيس بعـــام حـــجٍّ　　تغـــيرت المواســـم والشُّـــكول
إلى جيـــداء قـــد بعثـــوا رســـولاً　　ليخبرها فـــلا صـــحب الرســـولُ

وقوله:

ألا قل لمـــن أمســـى بمكـــة قاطنًـــا　　ومن جاء من عمقٍ ونقـــب المشـــلَّلِ
دعوا الحـــج لا تســـتهلكوا نفقـــاتكم　　فما حـــجُّ هـــذا العـــام بالمتقبـــل
وكيف يُزَكّى حج مـــن لم يكـــن لـــه　　إمامٌ لدى تجمـــيره غـــير دُلـــدلِ؟
يظـــلُّ يرائـــي بالصـــيام نهـــاره　　ويلبس في الظلماء سمطـــي قرنفـــلِ

وكـان قـد تشـببٌ بجيـداء أم محمـد بـن هشـام، وكـان يشبب بها ليفضح ابنها، يقول:

عـــوجي علينـــا ربـــة الهـــودج　　إنـــك أن لا تفعلـــي تحرُجـــي
أيسر مـــا نـــال محـــبٌّ لـــدى　　بَـــيْنِ حبيـــبٍ قولـــه عـــرِّج
تُقـــضَ إليـــه حاجـــةٌ أو تقُـــل　　هـــلاً لِي ممـــا بِي مـــن مخـــرَجِ
من حـــيِّكُم بنـــتُم ولم ينصـــرِم　　وجـــدُ فُـــؤادِ الهـــائمِ المُنضَـــجِ
فعاجـــتِ الـــدَّهماءُ بي خيفـــةً　　أن تســـمعَ القـــولَ ولم تُعـــنِج
فما استطاعت غـــيرَ أن أومـــأَت　　نحـــويَ بعـــيني شـــادنٍ أدعـــجِ
يـــاوي إلى أَدمـــاءَ مـــن حُبِّـــهِ　　تحنُـــوا عليـــهِ رائـــمٌ عـــوهجِ

تُريكَ وحفًا فوقَ جيدٍ لها ... مثلَ رُكامِ العنَبِ المُدمَجِ
كأنَّ الحلي على نحرها ... نجوم فجر ساطعٍ أبلجِ
تحوذ بالبُرد لها عبرة ... جادت بها العينُ ولم تفشجِ
مخافةَ الواشينَ أن يفطنُوا ... لشأنها والكاشحِ المُزعجِ
كأنها ريمٌ بذي مشوبٍ ... أحورُ يقرو مُصَّعَ العوسجِ
كناسُهُ الأرطى ومُصطافُهُ ... مع الغضا المُورسِ والعرفجِ
وانطلقت تخوى بها بغلةٌ ... في بغلاتٍ وُقُحٍ وسَّجِ
يحملنَ بيضًا جُردًا بُدَّنًا ... مثلَ غمامِ البردِ المُثلجِ
قُمتُ طويلاً بعدما أدبروا ... أنظرُ فعلَ المُفحمِ المُرتَجِ
أقولُ لَمّا فاتني منهمُ ... ما كنتُ من وصلهمِ أرتجي
إني أُتيحت لي يمانيةٌ ... إحدى بني الحرثِ من مُذحجِ
نلبَثُ حولاً كاملاً كُلَّهُ ... لا نلتقي إلا على منهجِ
في الحجِّ إن حجَّت وماذا منىً ... وأهلُهُ إن هيَ لم تحججِ

وشببَّ بزوجته جبرة المخزومية بقوله:

عوجي عليَّ فسلّمي جبر ... فيم الصدود وأنتم سفرُ
ما نلتقي إلا ثلاث منًى ... حتى يفرقَ بيننا النَّفرُ
الحول بعد الحول يجمعنا ... ما الدهر إلا الحولُ والشعرُ
نظرت بمقلة مغزلٍ علقت ... فننًا تنعَّم نبته نضر
حوراء يمنعها القيام إذا ... قعدت تمام الخلقِ والبُهر
كالعذق في رأس الكثب نما ... طولاً ومالَ بفرعِه الوقِر

فلما سمع محمد بن هشام هذا الأشعار حقدها على

العوجي، وقيل: إنه ضجر من أمه جيداء؛ لأنها كانت السبب – وفق اعتقاده – في عدم وصوله إلى الخلافة؛ لأنها لم تكن قرشية.

وجاء: أن محمد بن هشام حقد على العرجي، ودفعته أشعاره إلى التنكيل به، حين كان واليًا لمكة لهشام بن عبد الملك، فقد أخذه وسجنه وقيده وضربه، وشهرَّ به في الناس، ثم حبسه وأقسم ألا يخرج من سجنه ما دام له سلطان، واستمر العرجي محبوسًا تسع سنين، اشتكى خلالها من جفاء الأهل، وتنكر الأصدقاء، وبقي في السجن إلى أن مات.

وقيل إنه حبسه وضربه وعذَّبه حتى مات في سجنه، بقي أن أشير إلى أن التشبيب بجيداء لم يكن بدافع الحبِّ بقدر ما كان انتقامًا من العرجي هدفه فضيحة محمد بن هشام. وبذلك تكون قصائد العرجي في النساء، وبخاصة جيداء المخزومية هي التي قادته إلى تلك النهاية الصعبة. (٧٩).

سُخفٌ وموت
مُزاحم بن عمرو (... - ١٢٠هـ)

هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث من بني عقيل بن كعب، شاعر غزل من عشاق العرب، بدوي من الشجعان، عاصر جرير والفرزدق، وسئل كل منهما أتعرف أحدًا أشعر منك ؟ فقال الفرزدق: " لا ، إلا أن غلامًا من بني عقيل، يركب أعجاز الإبل، وينعت الفلوات فيجيد" وأجاب جرير قريبًا من ذلك.

وقيل لذي الرمة:" أنت أشعر الناس، فقال: لا ، ولكن غلامًا من بني عقيل، يقال له: مزاحم، يسكن الروضات، ويقول وحشيًّا من الشعر، لا يقدر أحدٌ أن يقول مثله". إلا أنه كغيره ممن لم يحفظوا ألسنتهم فهوى بهم شعرهم إلى الدركات.

فقد كان مزاحم يهوى زوجة عبد الله بن عبيد الله الشهير بابن الدمينة، وكانت تسمى "حَمَّاء" ويأتيها ويحدثها محتقرًا أهلها وقومها ، غير عابئ بهم وبسمعة المرأة التي يقصدها.

أتت الأخبار إلى ابن الدمينة ، فامتعض من تصرف مزاحم، ومنع زوجته من الخروج، فاشتد ذلك على مزاحم، فلم يجد بدًا من فضحه وفضح امرأته في قصيدة كانت هي هلاكه يقول فيها :

يا ابن الدُّمينـــة َوالأخبـــارُ يرفعُهـــا — وخد النَّجائب والمحقُـــور يُخفيهـــا
يا ابنَ الدُّمينة إن تغضب لما فَعَلـــت — فطالَ خزيُك، أو تغضب مواليهـــا
أو تبغضوني فكم من طعنة نفـــذت — يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها
جاهدت فيها لكم إنّـــي لكـــم أبـــدًا — أبغـــي معَـــايبكُم عمـــدًا فآتيهـــا
فذاك عندي لكـــم حتَّـــى تغيـــبني — غَـــبراء مظلمـــة هـــارٍ نواحيهـــا
أغشَى نسَاءُ بني تـــيم إذا هجعـــت — عني العيـــون ولا أبغـــي مقاريهـــا
كم كاعبٍ من بـــني تـــيم قعـــدتُ لهـــا — وعانسٍ حين ذاق النـــوم حاميهـــا
كقعدة الأعسر العلفـــوف منتحيًـــا — متينة مـــن متـــون النبـــل ينحيهـــا
و(...) عنـــد حـــس المـــاء (...) — وقـــول (... ...) حـــين تثنيهـــا
علامـــة كيـــة مـــا بـــين (...) — وبـــين (...) لا شـــل كاويهـــا
و(... ...) إن زاغـــت فتبعثـــه — حـــتى يقـــيم (... ...) فيهـــا
بـــين (...) في مســـتهدف و(...) — ذي حرة ذاق طعم الموت صـــاليها
ماذا ترى ابن عبيـــد الله في امـــرأة — ليست بمحصـــنة عـــذراء حاويهـــا
أيـــام أنـــت طريـــد لا تقاربهـــا — وصادف القوس في الغرات باريهـــا
نـــرى عجـــوز بـــني تـــيم ملفعـــة — شمطًا عوارضـــها ريـــدًا دواهيهـــا
إذ تجعل الدفنس الورهـــاء عـــذرتها — قشـــارة مـــن أديم ثم تفريهـــا
حتى يظل هـــدان القـــوم يحسبها — بكرًا وقبل هوى في الدار هاويهـــا

... والقصيدة أطول من ذلك بكثير، وهي قصيدة لا يكتبها شاعرٌ عاقل يعرف حدود الله، وأمانة الكلمة، فقد امتلأت بالفحش والأوصاف الجسدية، والتشبيه الفاضح، مما يستقبح ذكره في غير موضعه، وجعل من كلماته وسيلة

رخيصة لتصوير سلوك شائن.

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته، فقال لها: "لقد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغك"، قالت: "والله ما رأى ذلك قط"، قال: فمن له العلامات ؟"، قالت: "وصفهن له النساء"، قال: "هيهات، والله أن يكون ذلك كذلك"، ثم أمسك مدة وصبر، وظن مزاحماً نسي،وظنت هي أنه قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: " والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك".

فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، وجعل يكلمها، وهي مكانها لم تكلمه، فقال لها: " يا حماء، ما هذا الجفاء الليلة"، فقالت له بصوت ضعيف: " ادخل"، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه، وقد جعل له حصى في ثوبه، فضرب بها كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحه ميتًا، فجاء أهله فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله.

لقد كان ذلك مآل من لا يقدر قيمة أعراض الناس وشرفهم، أما زوجته حماء فقد وضع ابن الدمينة على وجهها وسادة من قطيفة وجلس عليها حتى قتلها . (٨٠).

قرين المصائب
الكميت بن زيد (... - ١٢٦ هـ)

هو أبو المستهل، الكميت بن زيد بن خُنيس بن مجالد الأسدي، شاعر الهاشميين ،من أهل الكوفة، كان عالمًا بآداب العرب، ولغاتها وأنسابها، ثقة في عمله، وكان مولعًا في جمع الأنساب والمناقب، وهو خطيب بني أسد، وفقيه قومه، حافظ للقرآن، كاتب حسن الخط.

قال عنه أبو عبيدة: "لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت لكفاهم". وقال أبو عكرمة الضبي: "لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان"، اجتمعت فيه خصال لم تجتمع لشاعر: كان خطيب بني أسد، وكان فارسًا شجاعًا سخيًّا، راميًا، لم يكن في قومه أرمى منه.

كان منحازًا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبًا للمضرية على القحطانية، وهو من أصحاب الملحمات، والقصائد المشهورة في آل البيت، وروي عن ذكائه وفطنته الكثير من القصص والحكايات.

ولد أيام مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فانفتحت عيناه على المصائب والنكبات، واتصل بالإمام علي الرضا ومدحه، وكان مقتله في خلافة مروان بن الحكم.

عُرف عن الكميت شدة التحامل على اليمنيين، إذ كان يكره عرب الجنوب، ويهجو شعراء اليمن، بينما كان

خالد القسري، والي العراق متعصبًا لليمنيين، يقربهم ويدعمهم ويدافع عنهم، وقد كانت العلاقة بين الكميت وخالد القسري طيبة وطبيعية في بادئ الأمر، قبل أن تتدهور تدهورًا شديدًا بسبب الوشايات، والدسائس المغرضة، والرسائل التحريضية التي أججها بعض الناس بينهما.

ومن جهة أخرى فقد كان خالد القسري عامل هشام بن عبد الملك على العراق شديد الولاء والحماس لبني أمية، وقد نقل عنه في الوقت نفسه نقدًا وغمزًا بهشام في مجالسه الخاصة، وذات مرة سمع الكميت بأن الشاعر الطرماح زار خالد القسري، ومدحه فأعطاه وأكرمه، وخلع عليه، فعزم على زيارته ومدحه، فنصحه أحد أصدقائه بعدم ذلك للاختلاف بين الشاعرين، ولما بين علاقتهما من فتور، إلا أنَّ الكميت أصَرَّ على قصد خالد القسري ومدحه، ولم يكن يعلم تحامل خالد عليه، والجوّ المشحون ضده بالعراق إثر هجائه اليمنيين بقصيدته التي كانت سببًا في مقتله، لأن خالد القسري غضب حين سمعها، وقال:"والله لأقتلنه"، ومنها قوله:

الا حييت عنا يا مدينا ... وهل بأس بقول مسلّمينا
لنا قمر السماء وكل نجم ... تشير إليه أيدي المهتدينا
وجدت الله إذ سمى نزارًا ... وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات ... وللناس القفا ولنا الجبينا

وما ضربت هجائن من نزار — فواج من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق — مطهرة فيلفوا مبغلينا
وما سمَّوا بأبرهة اغتباطًا — بشر ختونة متزينينا
وما وجدت نساء بني نزار — حلائل أسودين وأحمرينا
ومن عجب عليَّ لعمر أم — غذتك وغيرها تبًّا يمينا
تجاوزت المياه بلا دليل — ولا علم تعسَّف مخطئينا
فإنَّك والتَّحول من معدٍّ — كهيلةَ قبلنا والحالبينا
تخطت خيرهم حلبًا ومسًّا — إلى المولى المغادر هاربينا
كعترِ السُّوء تنطحُ عالفيها — وترضيها عِصيُّ الذابحينا

وقيل:" إن خالد القسري حلف على قتله بسبب قصيدته المذهبة التي تتألف من ثلاث مائة بيت"، وفيها فخر الكميت بقومه، وعرَّض بأخذ الفرس والأحباش وغيرهما نساء اليمن، فالهجاء فيها شمل كل اليمنيين، ومطلعها:

ألا حييت عنا يا مدينا — وهل بأس بقول مسلِّمينا

فدبر خالد القسري مكيدة لقتله، فاشترى ثلاثين جارية حسناء، وحفظهن قصائد الكميت التي يمدح بها بني هاشم، ودس الجواري مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك، فاشتراهن الخليفة، وحينما أنشدنه القصائد المذكورة استشاط غضبًا، وسألهن عن قائلها، فقلن له:" شاعر اسمه الكميت بن زيد"، فكتب إلى خالد القسري وهو عامله على العراق أن ابعث إليَّ برأس الكميت.

فبعث خالد إلى الكميت في الليل، فأخذه وأودعه السجن، فهرب منه بحيلة حتى استجار بمسلمة بن عبد الملك، فأرشده إلى حيلة، وهي الاستجارة بقبر معاوية بن هشام، ففعل فعفا عنه هشام، وحين عُزل خالد القسري عن إمارة العراق، ووُضع في السجن بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك، ولي إمارتها يوسف بن عمر الثقفي فقدم إليه ومدحه بقصيدة تضمنت تعريضًا وذمًّا بخالد القسري جاء فيها قوله:

خرجتَ لم تمشِ البراح ولم تكن ... كمن حِصْنه فيه الرِّتاج المضبَّبُ
حلفتُ بربِّ النَّاس ما أمُّ خالدٍ ... بأمك إذ أصواتِنا الحقل و الهَبُّ
ولا خالدٌ يستطِعم الماء قائمًا ... بعدِلك والدَّاعي إلى الموت أقربُ

وكان الحرس المحيطون بيوسف بن عمر مازالوا موالين ومحبين لخالد القسري، فلم يعجبهم ثلب خالد وذمه في القصيدة، وبينما الكميت ينشدها هجم عليه الحراس وغرزوا سلاحهم في صدره بحجة أنه أنشد الأمير القصيدة قبل أن يأذن له بالإنشاد، وهكذا كتب الشعر السخيف، والقول الهزل نهاية شاعر شهير ملأ الأفاق في عصره شجاعة وحكمة .(٨١).

تقعقع المكائنة
الوليد بن يزيد (٨٨ – ١٢٦هـ)

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص، يكنى أبا العباس الخليفة الأموي الحادي عشر، سكن الشام، شاعرٌ مجيدٌ، من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، كان وسيمًا جسيمًا أبيض مشربًا بحمرة، أقام في الرصافة،نشأ في بيت أبيه يزيد حياة ترف ودلال، وكان ميالاً إلى اللهو والمرح والعبث، مات أبوه وهو فتى في سن الطيش والغرور، فعاقر الخمر، واستمع إلى الغناء، ونادم الخلعاء، وتهتك في حبِّه للنساء، فوصف بأنه خليع بني مروان، وقد عيب عليه قوله:

أشهد الله والملائكة الأبـ ... ـرار والعابدين أهل الصلاح
أنني اشتهي السَّماع وشرب الكأ ... س والعضَّ للخدود الملاح
والنديم الكريمَ والخادمَ الفا ... رِه يسعى عليَّ بالأقداحِ
يفهمُ الوحيَ والإشارةَ بالكفـ ... ـفِ ويَصبو إلى هُبوبِ الرياحِ
وظريفَ الحديثِ والكاعبَ الطِفـ ... ـلةَ تختالُ في سُموطِ الوشاحِ

قال عنه أبو الفرج:" كان الوليد يضرب بالعود، ويوقع بالطبل، ويمشي بالدّف على مذهب أهل الحجاز".

له شعر رقيق وعلم بالموسيقى، وأشعار حسنة في الغزل والعتاب ووصف الخمر، وقد أخذ الشعراء معانيه المخترعة في وصف الخمر فسرقوها وأدخلوها في أشعارهم وبخاصة أبي

نواس فإنه أكثرهم أخذًا لها.

وقال عنه الشريف المرتضى: "كان الوليد مشهورًا بالإلحاد، متظاهرًا بالعناد"، وقال ابن خلدون:"ساءت القالة فيه كثيرًا"، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه، وقالوا: إنها من شناعات الأعداء، ألصقوها به.

ولي الخلافة سنة ١٢٥هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك، وما لبث أن نقم الناس عليه، وخلعوه وبايعوا يزيد بن عبد الملك، فنادى بخلع الوليد، وكان غائبًا في الأغداف (شرقي عمَّان) وحين وصله النبأ انصرف إلى البخراء فقصده جمع من أنصار يزيد فقتلوه في قصر النعمان بن بشير، وكان الذي قتله عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع فترة من الزمن، وتضافرت على قتله دواع كثيرة، إذ كان متهمًا في دينه، ومتعصبًا للقيسية، وكان يهجو اليمانية ويتحداهم بشعره، وكان قد قتل أحد أشرافهم البارزين فقتلته اليمانية.

قيل: وكان ابن عم الوليد ناقمًا عليه لسوء سيرته، وفساد عقيدته، فكان يحرض الناس عليه، وأيدته في ذلك القبائل اليمانية التي نقمت على الوليد تعصبه للقيسية قبيلة أمه، ولهجائه إياهم، وتحديهم أن ينتصروا لخالد بن عبد الله القسري، وهو من قبيلة بَجِيلة اليمانية، ومن القصائد التي سببت قتله، قصيدته التي يهجو بها اليمانية، ويفخر فيها بقتله

خالدًا، ويتحدى قومه اليمانية أن يثأروا له، ومنها قوله:

فدع عنكِ أدكـارك آل سُـعدى ... فنحن الأكثرون حصًـى ومـالاً
ونحنُ المـالكون النَّـاس قسـرًا ... نسـومُهُم المذلـة والنكـالا
ونوردُهُم حيـاض الخسـف ذُلاً ... ومـا نـألوهم إلا خبـالاً
وطِئنـا الأشـعرين بعـزٍّ قـيسٍ ... فيا لـك وطـأةً لـن تُسـتقالا
وهـذا خالـدٌ أمسـى أسـيرًا ... ألا منعـوه إن كـانوا رجـالاً
عظـيُمهم وسـيدُهُم قـديمًا ... جعلنـا المخزيـاتِ لـه ظـلالا
فلو كانت بنـو قحطـان عربًـا ... لمـا ضـاعت صـنائعه ضـلالا
ولا تركـوه مسـلوبًا أسـيرًا ... يُسامر مـن سلاسـلنا الثقـالا
وكندةُ والسـكون فمـا اسـتقالوا ... ولا برحـت خيـولُهم الرِّحـالا
بها سُمنا البريـة كـل خسـفٍ ... وهـدَّمنا السُّـهولة والجبـالا
ولكـن الوقـائع ضعضـعتهم ... وجـذتهم وردَّتهـم شِـلالا
فمـا زالـوا لنـا أبـدًا عبيـدًا ... نسـومُهم المذلـة والسِّـفالا
شـددنا ملكنـا بـبني نـزارٍ ... وقوَّمنا بهـم مـن كـان كـالاً
فأصبحت الغـداة علـيَّ تـاجٌ ... لُملك الناس مـا تبغـي انتقـالا

وقد أثارت القصيدة ثائرة اليمانية، وانبرى شعراؤها يردون عليه، وكانت من دواعي إقدامهم على قتله، بزعامة منصور بن جمهور.

وقيل: إن سبب قتله هو تهتكه ومجونه، وقصائده وحبِّه وانغماسه في اللذات، وسخريته من شعبه، ومن ذلك قصيدته التي قالها حينما علم بتملل شعبه منه، وانتقادهم له علانية،

فقال:

ذَروا لِيَ سَلمى وَالطِـلاءَ وَقَينَـةً ... وَكَأساً أَلا حَسـبي بِـذلِكَ مـالا

خُذوا مُلكَكُمُ لا ثَبَّتَ اللَهُ مُلكَكُـم ... ثَباتاً يُسـاوي مـا حَييـتُ قِبـالا

أَبا المُلكِ أَرجو أن أُعَمَّرَ فـيكُمُ ... أَلا رُبَّ مُلكٍ قَـد أُزيـلَ فَـزالا

أَلا رُبَّ دارٍ قَد تَحمَّـلَ أَهلُهـا ... فَأَضحَت قِفـاراً وَالبِقـاعُ تِـلالا

وَخَلّوا عِناني قَبلَ عَيرٍ وَما جَـرى ... وَلا تَحسُدوني أَن أَموتَ هُـزالا

وقيل:" إنه قتل بعد أن انتهك محارم الله تعالى فرماه الناس بالحجارة، فدخل القصر وأغلقه فأحاطوا به وقالوا: لم ننقم عليك في أنفسنا شيئًا ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله تعالى، وشرب الخمر، واستخفافك بأمر الله تعالى فقتلوه"، ومن استخفافه قوله:

تحـامـاك الحتـوفُ وأفلتـوني ... أخـو الملـهوفِ والبـطلُ المحامي

وكـائن بالقليـب قليـب بـدر ... مـن الفتيـان والعـربِ الكـرامِ

أيوعدُني ابـن كبشـة أن سـنحيا ... وكيـف حيـاةُ أصـداءٍ وهـامِ

أيعجـزُ أن يـردَّ المـوت عـني ... وينشـرني إذا بليـت عِظـامي

ألا مـن مبلـغُ الـرحمن عنِّـي ... بـأنِّي تـارك شـهر الصـيام

فقـل لله يمـنعني شـرابي ... وقـل لله يمـنعني طعـامي

(٨٢).

تهاون وبَونٌ
عطية الكلبي (... - ١٣٠ هـ)

هو عطية بن الأسود الكلبي، شاعر أموي شامي، ينتسب إلى كلب بن وبرة، كان مولى لثابت بن نعيم الجذامي والي فلسطين الذي ثار بأهل حمص على بني أمية، وساندته الكليبة وعلى رأسها الأصبغ بن ذؤالة، غير أن مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين قاتلهم، وكسر شوكتهن، وتمكن من أسر الأصبغ فقتله وصلبه، فرثاه عطية بقصيدة، كانت هي سبب هلاكه، وفيها يهجو بها مروان بن محمد ويحرض اليمانيين عليه، فقتله مروان، ومنها قوله:

أبلغ بني القين عن قيسٍ مغلغلةً ... قومي ومشجعة النائي بها الوطن
وُدِّي إذا غبتُمُ عن نصرِ قومكُم ... كُنتمْ جميعًا وأدنى داركُمْ عدَنُ
لوْ تأذنونَ إلى الدّاعي لكانَ بنا ... يوم الطّعانِ إلى داعيكُم أذنُ
يا ثابت بن نعيم دعوة جزعًا ... عقّت أباها وعقّت أمها اليمنُ
كم من أخٍ لك أو مولى فجُعت ... يوم الوقيعة لم ينشر له كفنُ
ومن يمانيةٍ بيضاء موجعةٍ ... ما إن يسوغ لها ماءٌ ولا لبنُ
مفجوعة بذوي القربى إذا همّت ... ردَّ الشراب عليها الثكل والحزنُ
يا ثابت بن نعيم ما بكم ثُؤُرٌ ... أبَعَدَ عامك هذا تُطلب الإحنُ
بينْ لنا يأمرِ الجندانِ أمرَهما ... ماذا تريدُ بأنا منكُمُ قَمَنُ
قد طالَ ما قدْ أرى أشرافَنا أكلَتْ ... أحساها وتأيَّيْناكَ مذْ زمنُ
يا خير من طلب الله الدماء به ... حاش النبي وإن قالوا هَنٌ وهنُ

أنائم أنت أم مغضٍ على مضضٍ؟ كلاً وأنت على الأحساب مؤتمن
وتاركٌ أنت مالَ الله يأكُله عيرُ الجزيرةِ والأشرافُ تُرتَهنُ
أو يهجعنَّ سليما في منازلهِ أو يأمننَّ وأهلُ الخوفِ ما أمنوا

وحين وصلت القصيدة إلى مروان بن محمد غضب منها، وطلبه، فلما مَثُل بين يديه، قال له مروان:"أنت القائل ؟

يا ثابت بن تميم دعوة جزعا عقّت أباها وعقّت أمها اليمنُ"

فقال عطية:" نعم"، فقال مروان:"أتحريضًا على كل حال"، ثم أمر بقتله، فقتل في الحال .(٨٣).

الحتوف المؤلمة
ابن الدمينة (... - ١٣٠هـ)

هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد من بني عامر بن تيم الله، والدمينة أمّة، ويكنى ابن الدمينة وأبا السُّري، ينتمي إلى قبيلة خثعم اليمانية، شاعر غزلي من فحول شعراء العصر الأموي، بدوي من أرقّ الناس شعرًا، أكثر شعره في الغزل والنسيب والفخر، وله في المدح والهجاء وأشعار كثيرة، كان العباس بن الأحنف يطرب لشعره، واختار له أبو تمام في حماسته ستة مقاطع.

ذُكر: أن رجلاً من أخواله من سلول يقال له: مزاحم بن عمرو كان يُرمى بامرأة ابن الدمينة، وكان اسمها حَمّاء، قال السكري: "كان اسمها حمادة"، فكان يأتيها ليلاً ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابن الدمينة من إتيانها، واشتد عليها. فقال مزاحم يذكر ذلك، يشهر به:

يا ابن الدُّمينة والأخبارُ يرفعُها	وخد النَّجائب والمحقُور يُخفيها
يا ابنَ الدُّمينة إن تغضب لما فَعَلت	فطالَ خزيُك، أو تغضب مواليها
أو تبغضوني فكم من طعنة نفذت	يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها
جاهدت فيها لكم إنّي لكم أبدًا	أبغي معَايبكُم عمدًا فآتيها
فذاك عندي لكم حتّى تغيبني	غَبراء مظلمة هارٍ نواحيها
أغشَى نسَاءُ بني تيم إذا هجعت	عني العيون ولا أبغي مقاريها
كم كاعبٍ من بني تيم قعدتُ لها	وعانسٍ حين ذاق النوم حاميها

كقعدة الأعسر العلفوف منتحيًا — متينة من متون النبل ينحيها
و(...) عند حس الماء (...) — وقول (... ...) حين تثنيها
علامة كية ما بين (...) — وبين (...) لا شل كاويها
و(... ...) إن زاغت فتبعثه — حتى يقيم (... ...) فيها
بين (...) في مستهدف و(...) — ذي حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا ترى ابن عبيد الله في امرأة — ليست بمحصنة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها — وصادف القوس في الغرات باريها
نرى عجوز بني تيم ملفعة — شمطًا عوارضها ريدًا دواهيها
إذ تجعل الدفنس الورهاء عذرها — قشارة من أديم ثم تفريها
حتى يظل هدان القوم يحسبها — بكرًا وقبل هوى في الدار هاويها

وغيرها من الأبيات التي تمجها الأسماع ويأبى الحياء أن يستدعيها في هذا المقام.

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته، فقال لها: "لقد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغك"، قالت: "والله ما رأى ذلك قط"، قال: فمن له العلامات ؟"، قالت: "وصفهن له النساء"، قال: "هيهات، والله أن يكون ذلك كذلك"، ثم أمسك مدة وصبر، وظن مزاحمًا نسي، وظنت هي أنه قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: "والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك".

فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، وقعد

له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، وجعل يكلمها، وهي مكانها لم تكلمه، فقال لها: " يا حماء، ما هذا الجفاء الليلة"، فقالت له بصوت ضعيف:" ادخل"، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه، وقد جعل له حصى في ثوبه، فضرب بها كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحه ميتًا، فجاء أهله فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله ثم هجا قبيلته سلول بقوله:

قالوا هجتك سلول اللؤم مخفية ... فاليوم أهجو سلولاً لا أخافيها
قالوا هجاك سلولي فقلت لهم ... قد أنصف الصخرة الصماء راميها
رجالهم شرُّ من يمشي ونسوهم ... شرُّ البرية واسَتْ ذل حاميها
يحككن بالصخر (...) بها نُقب ... كما يحكُّ نقاب الجرب طاليها

وبعد مقتل مزاحم مضى أخو القتيل إلى الوالي أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة لقتله أخيه، وهجائه قومه، فقبض عليه الوالي؛ وزجَّه في السجن، ولما طال سجنه ولم يجد عليه الوالي سبيلاً ولا حجة أطلقه، ومع أن بني سلول قتلوا رجلاً من خثعم بَواء بقتيلهم لم يستشفوا من ابن الدمينة لهجائه إياهم.

وقد قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، وهي من خثعم، ترثي ابنها، وتحض مصعبًا وجناحًا أخويه:

بأهلي ومالي، بل بجل عشيرتي ... قتيل بني تيم بغير سلاح

فهلا قتلتم بالسلاح ابـن أخـتكم فتظهـر فيـه للشـهود جـراح
فلا تطمعوا في الصلح ما دمـت حيـة وما دام حيًّا مـصعب وجنـاح
ألم تعلمـوا أن الـدوائر بيننـا تـدور، وأن الطـالبين شـحاح؟

وكانت لا تزال تحرض أخا القتيل مصعبًا على قتل ابن الدمينة، وتقول له: "اقتل ابن الدمينة، فإنه قتل أخاك، وهجا قومك، وذم أختك، وقد كنت أعذرك قبل هذا لأنك كنت صغيرًا، وقد كبرت الآن".

فلما خرج من عندها أبصر ابن الدمينة واقفًا ينشد الناس، فعلاه بسيفه حتى قتله، وقيل: إنه سنحت لمصعب فرصة حين لقيه وهو عائد من الحج فقتله في تَبَالة (مكان قريب من الطائف) وبذلك تطوى صفحة حياته إلى الأبد. (٨٤).

التجاوز
أبو المَخشي (... - ...)

هو عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد بن عدي بن امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم بن مرّ بن معد بن عدنان التميمي العبادي، ويكنى أبا المخشي، وأبوه زيد دخل الأندلس من المشرق مع جند دمشق، فنزل بقرية "شوش".

نشأ أبو المخشي على قول الشعر، واشتهر بأنه شاعرٌ مطبوعٌ مجودٌ، حلو الألفاظ، بارع المعاني، شاعر الأندلس في زمانه، لكنه كان خبيث اللسان، كثير الهجاء، جسورًا على الأعراض، فقطع لسانه هشام بن عبد الرحمن سلطان الأندلس، وانجبر قليلاً، واقتدر على الكلام.

كان منقطعًا إلى سليمان بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية، وكان هشام بن عبد الرحمن يبغضه لانقطاعه إلى أخيه، فبغي عليه عنده، وقيل: "إنه أنشد له أبياتًا تعرض له فيها"، وقيل: "إنها مصنوعة على لسانه، وفيها بيت قصد به أبو المخشي معنى فحرفه الساعي إلى معنى آخر"، وهو قوله:

وَلَيْسَ كَمِثْلِ مَنْ إنْ سِيْمْ عُرْفًا ... يُقَلِّبُ مُقْلَةً فِيهَا اعْوِرَارُ

وكان هشام أحولَ، فقيل له: "إنما عرَّض بك، ولم يرد سواك"، فاغتمَّ هشام لذلك وكان والي مَاردة فأعمل

الحيلة في أبي المخشي حتى قبض عليه، وسيق له فقطع لسانه، وسمل عينيه.

وحين بلغ الإمام عبد الرحمن الداخل شقَّ عليه ما فعله ابنه هشام في أبي المخشي، وكتب إليه يعنفه، ويقبح فعله، وصار أبو المخشي بعد ذلك يتكلم كلامًا ضعيفًا، وبقي أعمى، وفي ذلك يقول:

خضعت أم بناتي للعدى ... أن قضى الله قضاءً فمضى
ورأت أعمى ضريرًا إنما ... مشيه بالأرض لمسُ العصا
فبكت وجدًا وقالت قولةً ... وهي حرى بلغت مني المدى
ففؤادي قرحٌ من قولها ... ما من الأدواء داء كالعمى
وإذا نال العمى ذا بصرٍ ... كان حيًّا مثل ميت قد ثوى
وكأن الناعم المسرور لم ... يك مسرورًا إذا لاح الرَّدى

وكان أبو المخشي يسكن بواد "شوس" وكان بينه وبين ابن الهبيرة مهاجاة شديدة، واجتمعا يومًا للمناقضة فيه، فقال له ابن هبيره يعيره بنسبه إلى النصرانية؛ لأن آباءه كانوا نصارى:

أَقُلْفَتُكَ الَّتِي قُطِعَتْ بِشَوْشٍ ... دَعَتْكَ إِلَى هَجَائِي وَانْتِضَالِي

أي: شتمي، فرد عليه أبو المخشي سريعًا:

سَأَلْتَ وَعَنْدَ أُمِّكَ مِنْ خِتَانِي ... بيَانٌ كَانَ يَشْفِي مِنْ سُؤَالِي

وقيل: " كان بين الأخوين تباعد مفرط، ثم اتفق لأبي

المخشي أن مدح هشامًا ووفد عليه في "مَاردة" وكان يتولى حربها لأبيه، فلما مثل بين يديه قاله له: يا عاصم: إن النساء اللاتي هجوتهن لمعاداة أولادهن، وهتكت أستارهن قد دعون عليك، فاستجاب الله لهن، فبعث عليك مني من يدرك منك ثأرهن، وينتقم لهن"، ثم أمر به فقطع لسانه، ومات في دولة الحكم بن هشام . (٨٥).

المسكين
أبو نخيلة (... - ١٤٥هـ)

أبو نخيلة يعمر بن حزن بن زائدة بن لقيط بن هَدم، من بني رحمان من سعد بن زيد بن مناة، وكني أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة.

شاعر راجز كان عاقًّا لأبيه، فنفاه عن نفسه، فخرج إلى الشام، واتصل بمسلمة بن عبد الملك، فأقام في رعايته، فاصطفاه لنفسه، وأحسن إليه، وأوصله إلى الخلفاء واحدًا بعد الآخر فأغنوه.

مدح هشام بن عبد الملك، وكان الوليد بن يزيد يحبه حبًّا شديدًا، وهو الذي علمَّ الوليد الشعر، وكان يجزل عليه العطايا والهبات والأموال، وقد غلب على شعره الرجز وله قصائد المدح الطويلة، إذ إنه لم ينقطع عن خليفة من الخلفاء، فكل من آلت إليه الخلافة قصده ومدحه، فقد مدح بني أمية حينما كان الأمر بيدهم، ثم مدح بني العباس حينما آل الأمر إليهم، مع الاعتذار الضمني إليهم بهجاء بني أمية؛ لأنه شاعر الكرسي لا الخليفة .

دخل على هشام بن عبد الملك فمدحه بقصيدة فصار من المقربين إليه، يقول في مطلعها:

لما أتتني بُغية كالشهد   والعسَلِ الممزوجِ بعد الرَّقدِ
يا بردها لمشتفٍ بالبردِ   رفعت من أطمار مستعد

وقلت للعيس اعتلي وجدّي ... فهي تخدى أبرح التخدي
كم قد تعسفت بها من نجد ... ومجرهد بعد مجرهد
قد ادّرعن في مسير سَمد ... ليلا كلون الطيلسان الجرد
إلى أمير المؤمنين المجدي ... ربّ معدّ وسوى معد
ممن دعا من أصيدٍ وعبد ... ذي المجد والتشريف بعد المجد
في وجهه بدر بدا بالسعد ... أنت الهمام القرم عند الجدّ
طوقتها مجتمع الأشد ... فاهلّ لما قمتَ صوبُ الرعد

على أن أبا نخلة غيَّر هذه القصيدة وجعلها في مدح الخليفة العباسي أبي العباس السفاح بعد أن آلت الخلافة إليه بعد زوال ملك بني أمية، إذ انقطع إلى بني العباس، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، ومدحهم وهجا بني أمية.

غير أن سلوكه الشعري كان منبوذًا من الناس لمعرفتهم بتاريخه مع بني أمية، فحين هجا بني أمية في مجلس السفاح امتعض إسحاق بن مسلم، وقال للسفاح: "والله إني قد سمعت منه فيكم شرًا من هذا في مجالس بني أمية، وماله عهد، ولا هو بوفيٍّ ولا كريم"، فظهر أثر ذلك في وجه العباس.

ونفهم من ذلك أن شخصية أبي نخلة الشعرية مهتزة، وقابلة للتغير والتحول حسب الظروف والأوضاع، ومهيأة لأن يصيبه بسببها شرٌّ عظيم، لأنه لا يحسب للأحداث حسابها، وللأمور عواقبها الصحيحة.

حظي بثقة أبي جعفر المنصور، ومدحه بالقصائد الطوال، إلا أن واحدة منها كتبت نهايته برغم إعجاب المنصور بها، واستحسانه إيَّاها، ففي هذه القصيدة يمدح المنصور، ويشيد به، ثم يغريه ويحرضه على خلع ولي عهده عيسى بن موسى، وهو من الشخصيات العسكرية القوية، ذات النفوذ الشاسع، فهو من قضى على ثورة محمد ذي النفس الزكيَّة في مكة، وثبت حكم المنصور، وقد طالبه في تلك القصيدة بعقد البيعة لولاية العهد إلى ابنه محمد بن المهدي بدلاً من عيسى بن موسى، وهو بذلك وجدها فرصة للتقرب من أبي جعفر المنصور، وإظهار حسن النية، وسلامة الطوية له، ولا شك أن التجاوز في حدود المدح، وطلب العطاء، والمناداة بخلع ولي العهد، وإقرار البيعة لغيره، مجازفةٌ عظيمة، ومخاطرة كبيرة، ومغامرة قوية من شاعر عُرف بتبدل ولائه وسلوكه، يقول فيها:

في يومنا الحاضِر هذا أو غدِ ... واصنع كما شئت وزده يزددِ
ورده منك رداءً يرتدِ ... فهو رِداء السَّابق المقلدِ

إلى أميرِ المؤمنين فاعمدِي إلى الذي يندي ولا يندي ندى
سِيري إلى بحرِ البحارِ المزبدِ إلى الذي إنْ نفدت لم ينفدِ
ليس ولي عهدنا بالأسْعدِ عيسى فزَحلقْها إلى محمدِ
من عندِ عيسى معهدًا عن معهدِ حتَّى تؤدى من يدٍ إلى يدِ
فقد رضينا بالغلامِ الأمردِ وقد فرغنا غير أن لمْ نَشْهد
وغير أن العقد لم يؤكد فلو سمعنا قولك أُمدِدْ امددِ
كانت لنا كدعقة الورد الصَّدي فناد للبيعة جميعًا نحشدِ

وهو في هذه القصيدة يقف ضد عيسى بن موسى بوضوح، ويطلب المنصور بنقل ولاية العهد إلى محمد المهدي، ويبلغه أنه هو وقبيلته مستعدون للبيعة دون تقاعس حين ينادي المنصور بذلك، كما أنه يحرض الحاضرين في المجلس إلى موافقته الرأي، وقد أشاع أبو نخيلة هذه القصيدة، وروتها الخاصة، وتناشدتها العامة.

وقيل: إن المنصور أعطاه ألفي درهم عنها، وأمره بإنشادها بحضور عيسى بن عمر، فدعا به وعيسى بن عمر جالس عن يمينه، وفي المجلس كبار القادة والأمراء، وزعماء القبائل والمسؤولون في الدولة؛ فأنشده إيَّاها، وأنصت له حتى سمعها عن آخرها، قال أبو نخيلة: "فجعلت أرى فيه السرور"، ثم قال لعيسى بن موسى: "لئن كان هذا عن رأيك لقد سررت عمك، وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السَّار"،

فقال عيسى: "لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين".

لقد كانت تلك القصيدة مسوغًا لتغيير ولاية العهد، وإزاحة عيسى بن موسى، وتعيين المهدي مكانه، لاعتبار القصيدة بمكانة البيعة للمهدي، وهكذا ضاعت الخلافة من عيسى بن موسى التي عاش عمره ينتظرها، مما دفع به إلى مطاردة أبي نخيلة، فهرب منه إلى خراسان، فأرسل خلفه مولى له اسمه قطريّ، ومعه بعض الرجال فلحقوه في طريقه إلى خراسان، فأدركوه فذبحوه وسلخوا جلده، ورموا به إلى النسور.

وقيل: إن القصيدة التي سببت قتله هي قوله:

خليفة الله وأنّا ذاكا ... أسْندِ إلى محمدٍ عَصَاكا
فاحفظ النَّاس لها أدناكا ... وابنك ما استَلفيته كفاكا
وكلنا منتظرٌ لذاكا ... لو قلت هاتوا قلت هاكا هاكا

وهكذا سقط أبو نخيلة ضحية زلات لسانه، وهفوات كلامه، وسخيف كلماته، وقد يكون للوعود التي أغري بها سبب في خوضه ذلك الصراع الخطر التي كتب رحيله قتلاً، سنة ١٤٥هـ. (٨٦)

اختلاف وخِلاف
سديف بن ميمون (... - ١٤٦ هـ)

هو سَديف بن ميمون المكي، مولى آل أبي لهب، كان أعرابيًّا بدويًّا شديد السواد، من الغلاة في الرفض، شاعر مخضرم، عاش وأدرك دولتي بني أمية وبني العباس، وذكر عنه في أيام بني أمية قوله: "هو بريء من جورهم وظلمهم وعدوانهم".

وهو شاعر مقلّ من شعراء الحجاز، وكان شديد التعصب لبني هاشم، مظهرًا ذلك لبني أمية في أيام بني أمية، وروى عنه كلام بعد أن دالت أمور الحكم والسياسة إذ يقول: "اللهم صار فيئنا دولة بعد القسمة، وأمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثًا بعد الاختبار للأمة، واشتُريت المعازف والملاهي بمال اليتيم والأرملة، وحَكَم في أبشار المسلمين أهل الذمة".

ربطته مع أبي العباس السفاح معرفة وصداقة، وحين أفضت الخلافة إليه قصده من مكة إلى الأنبار فلما وصل إليه قال له:" من أنت ؟"، قال: أنا سديف بن ميمون"، قال السفاح:" مولاي سديف ؟" قال:"نعم يا أمير المؤمنين"، ثم هنأه بالخلافة، ودعا له بالبركة، و كان المجلس ممتلئًا، وفيه من رجال بني أمية ممن أكرمهم أبو العباس وقربهم، فأنشد قوله:

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديمًا ... والرؤوس القماقم الرواس

يا أمير المطهرين من الذم ... ويا رأس منتهى كل راس
أنت مهدي هاشم وهداها ... كم أناسٍ رجوك بعد إياس
لا تقبلن عبد شمس عثارًا ... واقطعن كل رقلة وغراسي
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـه بدار الهوان والإتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم ... وبها منكم كحرٍّ المواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم ... عنك بالسيف شأفة الأرجاس
ولقد ساءني وساء سوائي ... قربهم من منابر وكراسي
فاذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلاً بجانب المهراسي
والإمام الذي بحران أمسى ... رهن قبرٍ في غربةٍ وتناسي
نعم كلب الهراش مولاك لولا ... أودٌ من حبائل الإفلاس

فتغير لون أبي العباس وأخذه زمع ورعدة؛ فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم، وكان إلى جنبه، فقال:" قتلنا والله العبد".

ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال:" يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياءٌ تتلذذون في الدنيا! خذوهم! ". فأخذوهم الحراس فقتلوهم، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي وقال له: "إن أبي لم يكن كآبائهم وقد علمت صنيعته إليكم"، فأجاره واستوهبه من السفاح، وقال:" هل قد علمت يا أمير المؤمنين صنع أبيه إلينا ؟".

وقيل: إنه قال القصيدة وفيها يحرض الخليفة السفاح

على بني أمية ، ويذكره بالقتلى من بني العباس وآل الرسول ﷺ فأثارت تلك القصيدة مشاعر الخليفة السفاح، وهيجت شجونه ضد بني آمية ، فقال رجل من بني أمية : "أعرابيٌّ جلف جاف لا يدري ما يخرج من رأسه" ، وانتهى المجلس بسلام، وتفرق الحاضرون.

وفي الغد اجتمع بنو أمية ، وبعض قادتهم، فجاء سديف ، واستأذن، ودخل على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك قام بين يدي السفاح وأنشده قصيدة يمدحه فيها ويحرضه على قتل من ظفر به من بني أمية جاء منها قوله:

يا ابن عمِّ النبي أنت ضياء	استبنا بك اليقين الجليَّا
ياوصي الشهيد أكرمك الله	فقد كنت للشهيد وصيًّا
لا يغرنك ما ترى من خضوع	إنَّ تحت الضلوع داءً دويا
بطنَّ البغض في القديم فأضحى	ثاويًا في قلوبهم مطويا
جردِ السيف وارفع السوط حتَّى	لا ترى فوق ظهرها أمويا

واستمر في إنشادها وأبو العباس يزداد غضبًا وحنقًا ، وهي طويلة فلما انتهى قال له: "يا سديف:" ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾" ، فقال سديف:

أحيا الضغائن أباء لنا سلفوا	فلن تبيد وللآباء أبناء

فارتعد السفاح غضبًا ، ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا.

وقيل: قال له أبو الغمر سليمان بن هشام (و هو صديق

قديم لأبي العباس، وبينه وبين سديف قرابة): " يا ابن الفاعلة ألا تسكت ؟"، مما زاد غضب السفاح فأمر حرسه بقتل من في المجلس فقتلوا.

وبعد تولي أبو جعفر المنصور الخلافة خرج عن طاعته بعد فترة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وأعلن الثورة في البصرة، فأيده سديف، والتحق به، وناصر الثورة بالشعر مرة، وبالسلاح مرة أخرى، وأظهر عداوته لبني العباس، وكان أخوه محمد بن عبد الله بن الحسن قد أعلن الثورة قبله في المدينة المنورة ضد أبي جعفر المنصور وبايعه أهل مكة والمدينة، وفي ذلك قال سديف أبياتًا من الشعر تؤيد الثورة، وتعلن العصيان، وتبرز المناهضة للخلافة العباسيَّة، يقول مخاطبًا محمد بن الحسن قائد ثورة المدينة المنورة منها قوله:

إنَ الحَمامة يوم الشَعب من حَضَن ... هاجت فؤادَ مُحبّ دائِم الحَزَنِ

إنا لنأملُ أن ترتدَّ إلفَتنا ... بعد التَّباعد والشَّحناء والإحَنِ

وتنقضي دولة أحكام قادها ... فينا كأحكام قوم عابدي وثنِ

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا ... إنَّ الخلافةَ فيكم يا بَني حَسن

لا عزّ ركن نزارٍ عند نائبة ... إن أسلموك ولا ركنٌ لذي يمنِ

ألست أكرمَهم يوماً إذا انتسبوا ... عُودًا وأنقاهم ثوبًا من الدَرنِ ؟

وأعظمَ الناس عند الله منزلةً ... وأبعدَ الناس من عجز ومن أفنِ

وحين وصلت القصيدة إلى مسامع الخليفة المنصور استُطير بها، فكتب إلى عبد الصمد بن علي أن يأخذ سُديفًا

فيدفنَه حيًّا، ففعل.

وقال الرياشي:" وذكر هذه الأبيات لأبي جعفر، شيخ من أهل بغداد، قال:" هذا باطل، الأبيات لعبد الله بن مصعب، وإنما كان سببُ قتل سُديف أنه قال أبياتًا مُبهمة، وكتب بها إلى أبي جعفر، وهي هذه:

أسرفت في قَتل الرعيّة ظالمًا ... فاكفف يدَيك أضلَّها مَهديُها
فلتأتينّ رايةٌ حُسنية ... جرارة يقتادها حسنيها

فالتفت أبو جعفر، فقال لخازم بن خزيمة:" تهيأ بهيئة السفر متنكّراً، حتى إذا لم يبق إلا أن تَضع رجلَك في الغرز ائتني"، ففعل. فقال له:" إذا أتيت المدينة فادخل مسجدَ النبي ﷺ فدَع سارية وثانية، فإنك تنظر عند الثالثة إلى شيخ آدَم يُكثر التلفت، طويل كبير، فاجلس معه فتوجع لآل أبي طالب، واذكر شدّة الزمان عليهم ثلاثة أيام، ثم قُل له في الرابع: مَن يقول هذه الأبيات:

أسرفت في قَتل الرعيّة ظالمًا ... فاكفف يدَيك أضلَّها مَهديُها
فلتأتينّ رايةٌ حسنية ... جرارة يقتادها حسنيها"

قال: ففعل. فقال له الشيخ:" إن شئت نبّأتك مَن أنت؟ أنت خازم ابن خُزيمة، بعثك إليَّ أميرُ المؤمنين لتعرف مَن قائل هذا الشعر، فقُل له: جُعلت فداك، والله ما قلتُه ولا قاله إلا سُديف ابن ميمون، فإني أنا القائل وقد دَعوني إلى الخروج مع

محمد بن عبد اللّه:

دعَوني وقد شالت لإبليس راية ... وأوقد للغاوين نارُ الحُباحب

أبا اللّيث تغترُّون يَحْمي عرينَه ... وتَلْقون جهلاً أُسدَه بالثعالب

فلا نَفعتْني السنُّ إن لم يَؤُزّكم ... ولا أحكَمْتني صادقاتُ التجارب"

قال: وإذا الشيخ إبراهيمُ بن هَرْمة. قال:" فقدمتُ على المنصور فأَخبرته الخبر. فكتب إلى عبد الصمد بن عليّ، وكان سُديف في حَبسه، فأَخذه فدَفنه حياً".

وقيل: إن سديفًا رُمي في بئر بعد أن جُلد فهلك فيه، ومهما يكن فإن سديف بن ميمون قدَّم حياته ثمنًا لقصيدة لم يفكر في عواقبها .(٨٧).

تحوُّل نحو الهلاك
صالح بن عبد القدوس (... - ١٦٠هـ)

كان صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأسدي مولى للأزد، ويكنى أبا الفضل، ويعدُّ من الشعراء الحكماء المشاهير، وأصحاب الحكمة، ذُكر عنه أنه في نشأته كان كثير التَّردد إلى حلقات الوُّعاظ والمتكلمين، ومناقشة أصحاب الملل والنحل، ولذا فقد كان يعظ الناس في البصرة، وله كثيرٌ من العلاقات والمناظرات مع معاصريه، وشعره كله حكم وآمثال وآداب.

اتصل في عصر بني أمية بواصل بن عطاء زعيم المعتزلة وشاهد الخصومات الكلامية والدينية في مجلسه، وتردد في العصر العباسي إلى مسجد البصرة وخطب فيه وحاضَرَ، واشتبك مع أبي الهذيل العلاَّف بمجادلات ومساجلات فكرية وفلسفية عميقة ومعقدة، حتى اتهم بالزندقة.

قال عنه الذهبي رحمه الله: "صاحب الفلسفة والزندقة"؛ لأنه خلط بينهما، وقال أيضا: "قال النسائي: ليس بثقة"، وقال عنه المرزباني: "كان حكيم الشعراء زنديقًا متكلمًا، يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم"، وقال عنه الخطيب البغدادي: "كان مشهورًا بالزندقة وله مع أبي الهذيل مناظرات، وشعره كله أمثال، وحكم وآداب"

ودافع عنه ابن المعتز بقوة، وشكك في زندقته،

مستشهدًا بأشعاره في الزهد، وطاعة الله، والأمر بمحاسن الأخلاق. يقول: "أما الرجل فله في الزهد في الدنيا والترغيب في الجنة، والحثّ على طاعة الله - عز وجل - والأمر بمحاسن الأخلاق، وذكر الموت والقبر ما ليس لأحد، وكان شعره كله أمثالاً وحكمًا" ويذكر الأبيات الآتية:

وليس بعجزِ المرء إخطاؤه الغنى ... ولا باحتيالٍ أدرك المالَ كاسبه
ولكنه قبضُ الإله وبسطه ... فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومناقبه

ثم يضيف بعد ذلك: "فيا عجبًا كيف يمكن أن يقول زنديق مثل هذا القول؟ وكيف يكون قائله زنديقًا؟".

ومما هو جديد بالذكر هنا أن العصر العباسي كان يعجُّ بالفتن والدسائس والوشايات المهلكة، ولذا فكثيرٌ ما ندم الخلفاء على قتل أناس، وكثيرٌ ماندموا على ضحاياهم الأبرياء.

وقد يكون الشيطان أغوى هذا الشاعر ليسلك معه طريق الضلال والهلاك مثله مثل من ركب موجته، ولذا فقد شنَّ الخلفاء العباسيون حملة لمحاربة الزندقة وأهلها، ابتدأها المهدي ثم هارون الرشيد، وحينئذ هرب صالح من البصرة إلى دمشق، وبقي فيها متسترًا مدة من الزمن، حتى قُبض عليه، ونقل إلى بغداد للمحاكمة، وسجن فيها فترة، ثم حاكمه هارون الرشيد بعد أن وصل إلى مسامعه أبياتٌ تعرض فيها

لجناب الرسول ﷺ وفيها يُعَرِّض بقصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها ذكرها ابن المعتز دليلا على اتهام ابن عبد القدوس بالزندقة، وقال بعدها: " عليه لعنة اله إن كان قالها، يقول فيها:

غَضَبَ المسكين زوجتَه ... فجرت عيناه من دُرَرِه
ماقضى المسكين من وطَرٍ ... لا والمعشار من وطره
عُذت بالله اللطيف بنا ... أن يكون الجورُ من قدره

ويزعم أن الرسول ﷺ أكره زيد بن حارثة رضي الله عنه على طلاقها ليتزوج بها، ولم يقرأ آيات القرآن الكريم التي قطع الله – سبحانه وتعالى – بها الظنون حول هذا الزواج، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

جاء في فتح الباري: " وقد أخرج بن أبي حاتم هذه القصة من طريق السُّدي فساقها سياقًا واضحًا حسنًا ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أُميْمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما

صنع رسول الله ﷺ فزوجها إيَّاه ثم أعلم الله عز و جل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله وكان يخشى الناس أن يقولوا تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيدًا.

أي: قبل أن يحرم الإسلام التبني، فأراد الله بهذه الحادثة أن يبين للناس حكمًا كانوا يجهلونه، وهو جواز أن يتزوج الرجل مطلقة من تبناه قبل تحريم التبني، وأنها لا تكون كزوجة الولد المطلقة، ودليله قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾.

أما ما ذكره بعض المفسرين من روايات مكذوبة أو ضعيفة في تفسير هذه الآية من أن النبي ﷺ رأى زينب بنت جحش فأعجبته فأراد فراقها، فقال له ﷺ: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾. ويخفي في نفسه محبة الزواج بها، فكل هذا باطل لا يصح، وقد نزه الله رسوله ﷺ عنه".

وقد اختلف في اسم الخليفة الذي حاكمه، فبعضهم قال المهدي، وبعضهم قال إنه الرشيد، إلا أن ابن المعتز رجح أن يكون من حاكمه هو الخليفة هارون الرشيد الذي أحضره و قال له: "أنت القائل هذه الأبيات؟"، قال:" لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، فاتقِ الله، ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي ﷺ: "ادرؤوا الحدود

بالشبهات ما استطعتم""، وجعل يتلو القرآن حتى رقَّ له، وقد أعجب بغزارة علمه وأدبه، وحسن بيانه، وكثرة حكمه، وبراعته في الحوار، وبلاغته في استحضار الحجج، وفصاحته في بيانها، فأمر بتخلية سبيله، وحينما أراد الخروج، أعاده الرشيد وقال له: "أنشدني قصيدتك السينية" - وما عرف أن هذه القصيدة ستكون النهاية له، وستحول الموقف إلى كارثة آنية توجب إعدامه، على ما فيها من حكم ونصائح، فقال:

يا أيها الدارس علمًا ألا ... تَلتمس العون على درسه
لن تبلُغ الفرع الذي رُمته ... إلا ببحث منكَ عن أسه
فاسمع لأمثالِ اذا أنشدَت ... ذكّرت الحزم ولم تنسه
إنا وجدنا في كتاب خلت ... لهُ دهور لاحَ في طرسه
أتقنه الكاتب واختاره ... من سائر الأمثالِ من حدسه
لا يبلغ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغُ الجاهل من نفسه
والجاهل الآمن ما في غد ... لحفظه في اليوم أو أمسهِ
وخير من شاورت ذو خبرة ... في واضح الأمرِ وفي لبسه
لا يقبسن العلم إلا امرؤ ... يُعانِ باللبِ على قبسه
وإنَّ من أدبته في الصِّبا ... كالعودِ يسقي الماء في غرسه
حتى تراه مورقًا ناظرًا ... من بعدِ ما أبصرت من يبسَّه
والشَّيخ لا يترك أخلاقه ... حتَّى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله ... كذي الضنا عادَ إلى نكسه

والحمــــق داء مالـــــه حيلـــــة — تُرجى كبعد الـــنجم عـــن لمسِـــه
والـــق أخـــا الضـــعنِ بإيناســــه — لِتُـــــدرك الفُرصـــــة في أُنســِـــه
كالليـــث لا يعـــدو علـــى قُرنـــه — إلا علـــى الأمكـــان مـــن فرســـه

فقال له الرشيد: " يا شيخ، هذا الكلام يشبه هذا الكلام، وهذا الشعر من نمط ذلك الشعر - يعني الأبيات التي نسبت إليه - ونحن نتمثل وصيتك وما شهدت به على نفسك من أنك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبدًا"، وأمر فضربت عنقه، وصُلب على الجسر ببغداد جزاءً وفاقًا.

وقال ياقوت:" قتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعُلِّق بضعة أيام للناس ثم دُفن".

إن إعدام صالح بن عبد القدوس بسبب بيت تضمنته إحدى قصائده، كان موضوعها الحكمة والموعظة، يؤكد صحة وقوع الحادثة من صالح بن عبد القدوس، وإن نهايته كانت بسبب فلتات لسانه، وتطاوله على جناب المصطفى ﷺ.

.(٨٨)

لهو وموت
حماد عَجرد (... - ١٦١هـ)

هو أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس الكوفي، ويكنى أبا عمرو، وهو مولى عامر بن صعصعة، منشؤه في الكوفة، ولقب بعَجرد لأنَّ أعرابيًا مرَّ به في يوم شديد البرد، وهو عُريان يلعب مع الصبيان، فقال له:" تعجردت يا غلام"، (أي: تعريت، فسمي عجرد، والمتعجرد: المتعري).

يعدُّ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، غير أنه لم يشتهر إلا في الدولة العباسية، وهو شاعر مجيد، ومن كبار هجَّائي عصره، وهجاؤه فاحش وقذع، وألفاظه سيئة، وتعابيره مستنكرة يأباها الذوق، وتمجها الآذان، وهو من الشعراء الماجنين، واتهم بالزندقة، وقيل: إنه يعدُّ من زعماء الزنادقة الذين كانوا يتهمون في دينهم، وعلى ذلك فقد نظم قصائد رائعة.

قال عنه الخطيب البغدادي: "كان خليعًا ماجنًا"، وجاء عن علي بن الجعد قوله: "قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم: حماد عجرد، ومطيع بن إياس الكناني، ويحيى بن زياد، فنزلوا بالقرب منا، فكانوا لا يُطاقون خبثًا ومجانةً".

وذكر ياقوت الحموي عن إبراهيم العامري قوله: "كان بالكوفة ثلاثة نفر، يقال لهم: الحمادون، حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون ويتعاشرون

معاشـرة جميلـة، ويتناشـدون الأشـعار، وكـانوا كلـهم نفـس واحدة، وكانوا يُرمون بالزندقة جميعًا".

وعلـى كثـرة مجونـه وفسـقه ونيلـه مـن أعـراض النـاس، وتطاولـه علـى حرمـاتهم، فقـد اسـتطاع أن يـأمن علـى حياتـه؛ لعلاقتـه القويـة مـع محمـد بـن أبـي العبـاس السـفاح، الـذي أمـن بعلاقته كل غائلة، ومع ذلك فقد سبب لـه اتصـاله بمحمـد بـن أبـي العبـاس مشـكلات جسـامًا، لأن محمـدًا عـرف بكثـرة اللهو، والميـل إلى اللـذات، ولـذا فقـد كـرهـه المنصـور، وكـان يـؤثر عليـه المهـدي بالخـلافـة، وقـد اسـتخدم الخليفـة المنصـور علاقـة ابـن أخيـه محمـد بـن أبـي العبـاس بحمـاد عجـرد لتـدمير سمعته، وإسقاطه من أعين النـاس، ليرفع سمعة ابنه المهدي.

حبسـه المهـدي لكثـرة سـكره، فكتـب إليـه قصـيدة يستعطفه فيها، فرضي عنـه، وأخرجـه وكافـأه، غيـر أن ميلـه إلى المجـون والتهتـك بـالأعـراض، وارتكـاب المحـرمـات، وطلـب اللـذات الإباحيـة، والتغـزل بالغلمـان والإمـاء غـزلاً مكشـوفًا فاضحًا أوقعه في المهلكات،

وقد صحب حماد عجرد محمد بـن أبـي العبـاس السـفاح في رحلاته كثيرًا، وحينمـا تـولى إمـارة البصـرة خطـب ابنـة عـم أبيه زينب بنت سـليمان العباسـي، وكـان يهواهـا فـرفض أهلـها أن يزوجوها له، لنقص كانوا يرونـه في عقلـه، فـزاده رفضـهم حبًّا لها، فأراد أن يسيء إليهم ويؤذيهم، فطلب من نديمه حماد

أن ينظم فيها غزلاً على لسانه، فنظم فيها القصائد والأشعار، وبالغ في ذلك وزاد، منها قوله:

زينبُ ما ذنبي وماذا الذي ... غضبتُم منه ولم تغضبوا
والله ما أعرف لي عندكم ... ذنبًا ففيم الهجُر يا زينبُ
إن كنتُ أغضبتكم ضلَّةً ... فاستعتبوني إنَّني أعتبُ
عودوا على جهلي بأحلامِكم ... إني – وإن لم أُذنب – المذنبُ

وقوله:

ألا مَنْ لقلبٍ مستهام معذب ... بحبٍّ غزال في الجمال مربب
يراه فلا يستطيع ردًّا لطرفه ... إليه حذار الكاشح المترقب
ولولا مليك نافذ فيه حكمه ... لأدنى وصالاً ذاهبًا كل مذهب
تَغَبَّرتُ خلفَ اللّهوِ بَعد صِرارِهِ ... فَبُحتُ بِما أَلقاهُ مِن حُبِّ زَينَبِ

وقوله:

زينبُ مالي عنك من صبر ... وليس لي منك سوى الهجر
وجهك والله وإنْ شفني ... أحسنُ من شمسٍ ومن بدرِ
لو أبصر العاذلُ منك الذي ... أبصرته أسرع بالعذرِ

وانتشر تشبيب حماد بها، ونسب بعض الناس الشعر إلى محمد، ولكن أخا زينب محمد بن سليمان عرف الحقيقة فأقسم أن يقتل حمادًا، ولكنه لم يستطع لمكانة حماد من محمد بن أبي العباس.

وبعد موت محمد بن أبي العباس طلبه محمد بن سليمان أخو زينب فهرب واعتذر إليه بالقصائد تلو القصائد ولكنه لم

يعفُ عنه، ثم استجار بقبر أبيه سليمان بن علي العباسي، المعروف بأبي أيوب ونظم قصيدة تضمنت مدحًا واعتذارًا، ولم ينفعه ذلك، فقد قال محمد بن سليمان حينما بلغه لجوء حماد واستجارته بقبر أبيه: "ولله لأبلّنَّ قبر أبي بدمه"، فأيقن حماد أن لا فائدة ترجى من قصائده في المديح والاعتذار فهرب إلى بغداد مستجيرًا بجعفر بن الخليفة المنصور فأجاره وحماه على أن يهجو محمد بن سليمان، فهجاه وبالغ في هجائه ومنه قوله:

قل لوجه الخصيِّ ذي العار إني — سوف أهدي زينبَ الأشعارا
قد لعمري فررتُ من شدة الخو — ف وأنكرتُ صاحبيَّ نهارا
وظننت القبورَ تمنع جارًا — فاستجرت التربَ والأحجارا
كنتُ عند استجارتي بأبي أيـ — ـوب أبغي ضلالة وخسارا
لم يجرني ولم أجد فيه حظًّا — أضرمَ اللهُ ذلك القبرَ نارا

وقال يهزأ به وكان بدينًا:

يا بن سليمان يا محمدُ يا — من يشتري المكرمات بالسِّمن
إن فخرت هاشمٌ بمكرمةٍ — فخرت بالشَّحم منك والعكن
لؤمك بادٍ لمن يراه إذا — أقبلت في العارضين والذِّقِنْ
ليتك إذ كنت ضيقًا نكرًا — لم تُدع من هاشم ولم تكن
جدَّاك جدَّان لم تُعبْ بهما — لكنما العيبُ منك في البدن

فبلغت قصائده محمد بن سليمان، فقال: "والله لايُفلتن أبدًا، وإنما يزداد حنقًا بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه، ولا أتغافل أبدًا" وظل يطلبه، وحماد يتنقل عنه من مكان إلى

آخر، حتى بلغ محمد بن سليمان وجوده في الأهواز فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به وقتله اغتيالا (٨٩).

أعمى البصر والبصيرة
بشار بن برد (٩٥-١٦٧هـ)

هو بشار بن برد بن يَرجُوخ وأبوه بُرد من عبيد خَيرَة القشيرية، امرأة المهلب بن أبي صفرة، وجده يرجوخ ممن سباهم المهلب، ولذلك نشأ بشار على الرِّق، فكان في عبيد القشيرية، ثم أعطته لامرأة من بني عقيل، وفي تلك التحولات ولد بشار، ثم اعتقته خيرة القشيرية هو وأبوه.

ويكنى أبا معاذ ولد أعمى فلم ير الدنيا قط، ونشأ في البصرة، وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وذُكر عنه أنه كان دميم الخلقة فعرضه أكبر من طوله بشعًا، عظيم الوجه، محدورًا طويلا، جاحظ المقلتين يغشاهما لحم أحمر، وجمع إلى ذلك ثقل الروح، وغلظه الشعور، وجُبْن الطبع، وتبدل الود وغيرها، وفي تلك الظروف، وهذه الأحوال نشأ بشار حاقدًا ناقمًا قاسي القلب، يمعن في الهجاء، ويتلذذ بالذم، ويستمتع بالتهالك والسخرية، ويطرب بالتعرض للحرمات.

نشأ في موالي بني عقيل فأخذ عنهم الفصاحة والبيان، ووهب الملكة الشعرية، فنظمه مبكرًا، وكان جل شعره مديحًا وهجاءً وغزلاً، وكان سليط اللسان في هجائه، وقد اجترأ على هجاء الأشراف والوزراء ورؤساء المذاهب وخصومه من الشعراء، وكان متهمًا في عقيدته.

قال عنه الجاحظ: "كان بشار شاعرًا خطيبًا صاحب منثور ومزدوج وسجع ووسائل"، وهو من المعدودين في الشعراء الهجائين، وقد اتفق كل من ترجم له أنه من زنادقة الشعراء، وقد نقلت عنه الأخبار الكثيرة في إعراضه عن الشريعة، وميله عن طريق الهدى.

وصفه ابن المعتز بقوله: "كان شاعرًا مجيدًا مغلقًا طريفًا محسنًا، خدم الملوك، وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم". وقد سئل أبو عبيدة: "أمروان عندك أشعر أم بشار؟، فقال: حكم بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر آلاف بيت جيد، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد، وما أحسبهم برزوا في مثلها، ومروان أمدح للملوك".

وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه، ويقول: "كان مطبوعًا لا يكلف طبعه شيئًا متعذرًا، لا كمن يقول البيت ويحككه أيامًا"، وكان يشبه بشارًا بالأعشى والنابغة الذبياني.

وقيل لبشار: "ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك ما يشك"، قال: "ومن أين يأتيني الخطأ! ولدت هاهنا ونشأت في حجور ثمانين شيخًا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم

فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ؟!".

كما أنه يعدُّ من الخطباء البلغاء الفصحاء، وقد عدَّه ابن رشيد القيرواني من كُتَّاب الزمام (القضاء)، وتصريف الأمور. وقد شطح كثيرًا في بعض قصائده ومنها التي يفضل فيها إبليس على آدم، والنار على الطين، يقول:

إبليس خيرٌ من أبيكم آدم ... فتنبهوا يا معشر الفجارِ

إبليس من نارٍ وآدم طينة ... والأرض لا تسمو سمو النَّارِ

الأرض مظلمة والنار مشرقة ... والنَّار معبودةٌ مذ كانت النَّار

ولكثرة تبدل ولائه، وشدة تعصبه للعجم فقد كانت صورته حالكة السواد في التاريخ الأدبي، فمرة يفتخر بولائه لقيس في قصيدة تجاوزت السبعين بيتًا منها قوله:

أمنت مضرة الفحشاء أني ... أرى قيسًا تضر ولاتضار

كأن الناس حين تغيب عنهم ... نبات الأرض أخطأه القطار

بجي من بني عيلان شوس ... يسير الموت حيث يقال ساروا

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول:

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك فافخر

مولاك أكرم من تميم كلها ... أهل الفعال ومن قريش المشعر

فارجع إلى مولاك غير مدافع ... سبحان مولاك الأجل الأكبر

وقال يفتخر بولاء بني عقيل:

عَبـــدَ إني إليـــكَ بالأشـــواقِ   لِـــتَلاقٍ وكيـــفَ لي بـــالتلاقي
أنا واللهِ أشـــتَهي ســـحرَ عينيــــ   ـــكِ وأخشى مصـــارعَ العُشـــاقِ
وأهابُ الحرسيَّ مُحتسِبَ الجُنـــ   ـــدِ يلُـــفُّ الـــبريءَ بالفُســـاقِ
فاصبري مثلما صبرتُ فـــإنَّ الـــ   ـــصبرَ حظٌّ من صـــالحِ الأخـــلاقِ
إنني من بني عقيـــل بـــن كعـــب   موضع السيف من طُلى الأعنـــاق

و يذكر الأصمعي:" أن بشارًا كان من أشد الناس تبرمًا بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي ذهب ببصري؛ فقيل له: ولم يا أبا معاذ؟ قال: لئلا أرى من أبغض".

وقد تقرب بشار من الخليفة المهدي ومدحه بقصائد ومقطوعات استطاع من خلالها أن يكون من سمَّاره ومحدثيه في مجلسه، وكان يأنس به، ويجزل له العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة.

وقدم بشار على الخليفة المهدي مرة ومدحه بقصيدة تضمنت غزلاً رقيقًا، فنهاه المهدي عن قول الغزل في شعره؛ لشدة غَيرة المهدي، وعلى الرغم من أنه نهاه عن التغزل بالنساء فقد بلغت مسامع المهدي بعض أبياته في النسيب وفيها ينصح الرجال بتحمل المتاعب، والتجمل بالصبر إذا أرادوا الوصول إلى قلب المرأة، وكسب ودِّها، وبذا تتحقق لهم مآربهم، وفيها يرشدهم بعدم اليأس من عناد المرأة، ورفضها الخضوع في الظاهر، حتى وإن أظهرت غلظة في القول، ومنعة في الفعل، فرفضها سيتحول إلى قبول، وعسرها إلى يسر، يقول:

قاسِ الهمومَ تنل بها نجحًا   والليل إنّ وراءه صُبْحا
لا يؤيسنك من مخبأةٍ   قول تغلظه وإنْ جرحا
عسر النساء إلى مياسرةٍ   والصعب يمكن بعدما جمعا
بل كيفَ يحملُ طول ليلتهِ   قلقُ الوسادِ يبيتُ مُجتنحا
قال ابنُ حاجتهِ التي كُتمت   وطبيبُهُ للقلبِ إن قرحا
ما بالُ يومكَ لا تُسرُّ بهِ   لتروحَ ذاكَ اليومَ أو تلحا
فأجبتُهُ بمقالةٍ صدقت   وأخوكَ تصدُقُهُ وإن كلحا
إنّ الحبيبَ طوى زيارتهُ   وشجيتُ بالمكتومِ إن صرَحا
أرقي لشخصٍ ما يُفارقني   ويُحبُّهُ قلبي وإن نزَحا
لّما تبينَ أنني كلفٌ   بحديثهِ وبقربهِ صفحا
شهدَ اللسانُ بما أُجنُّ لهُ   والدمعُ يشهدُ كُلّما سفحا
أشقى بما لاقيتُ من سكني   أحببتُهُ وأثابني نزحا
ندمًا عليه غداةَ فارقني   هلا أُباعدُهُ فإن مَلُحا
يا بُعدَ قلبي من مودَّتهِ   أمسى بصالحةٍ وما صلحا
قد كان يمنحُني صبابتهُ   وأثبتُهُ وُدي بما منحا
فتبدَّلت سُعدي بشيمتها   شيمًا لتكدحَ غير ما كدَحا
صبرت سُعيدةُ لا تُساعفُني   وجزعتُ من مسِّ الهوى مرحا
تعسَ الفُؤادُ ألا يُصابرُها   حتى تكونَ كمازحٍ مزحا
ومُسهِّرٍ في العين تحسبُهُ   يُبدي نصيحتهُ وما نصحا
ختمت على قلبي بخاتمها   ويلومُني في حُبِّها قَبُحا
وظللتُ أصدُقُهُ وأكذبُهُ   حتى يُبايعني وما ربحا

لا تلحـني حُبًّـا وأنـت فـتى ... فمشـايعي قلـبي وإن طمحـا
وهـو المعلـقُ عنـدَ غانيـةٍ ... بعـدَ النـوالِ ببـارقٍ لمحـا
لـو زادَهُ ربِّي لخلَّتِـهِ ... حُبًّـا كعـينِ الـذرَّةِ افتضـحا
أخشى الردى حزنًا إذا شـحطت ... وأخافـهُ بـدُنُوِّها فرحـا
جـدَّ الهـوى فجـددتُ أطلبُهـا ... لُتريحَ من عيشـي الـذي سـرحا
لم يلـقَ مثلـي في مواظبـةٍ ... لشـفائها لمـن صـبا وصـحا
نهـى فـؤادي عـن تـذكُّرِها ... ويزيـدني عيًّـا إذا جمحـا
ليـتَ المُـنى ردَّت لنـا زمنًـا ... كزماننـا ذاكَ الَّـذي نزحـا
إذ مـدخلي سـرقٌ أسـارقُهُ ... للقـاءِ أحـورَ زيَّـنَ الوُشُـحا
حسـنُ الـدلالِ علـى ثنيَّتـهِ ... مسـكٌ يُحيـيني إذا نفحـا
برحـت بـأتلعَ في قلائـدهِ ... وغـدَت تهـزُّ روادفًـا رُجُحـا
لم أنـسَ مجلسـنا وقينتـها ... ونُبـاحَ مزهرهـا إذا نبحـا
بيـدي مسـورةٍ تُزيِّنُـهُ ... بسـماعها وسماعُهـا سُـرحا
حـتى إذا أخـذت بِرُمَّتِـهِ ... وحنـت علـيهم لجينًـا مرحـا
ارتـجَّ وانـدفعت تُعارضـهُ ... غنـاءَ خـالطَ صـوتُها بُححـا
في مجلـسٍ رقـدَت غوائلُـهُ ... وصـلت بـهِ الأبريـقَ والقـدَحا
تـردُ السـرائرَ ثُـمَّ تُصـدرُها ... تحتَ الظـلامِ ولا تُـري كشـحا
حـتى إذا انكشـفت دُجُنَّتُـهُ ... وتنبَّـهَ العُصـفورُ أو صـدحا
طـردَ الصـباحُ لعاشـقٍ غَـزِلٍ ... يهوى جُنـوحَ الليـلِ إن جنحـا
سـقيًا لتلـكَ علـى تثاقُلِهـا ... وَلطيـبِ عارضِـها إذا رَشَـحا
بِـتُّ النجـيَّ علـى نمارقِهـا ... وَسـلبتُها في الصـبحِ إذ وضـحا

فغضب المهدي، وقال له: "أتحض الناس على الفجور، وتقذف المحصنات والمخبتات، والله لئن قلت بعد هذا بيتًا واحدًا في نسيب لآتين على روحك"، فكان ذلك أول إنذار بالقتل يوجه إليه، فامتنع عن قول الغزل فترة من الزمن.

أما الهجاء فقد كان الطريق السهل، والمركب الوطيء لبشار وهو الذي قضى عليه وأوصله إلى الإعدام، فقد مارسه منذ بواكير شاعريته، وهو صغير السن، ولذلك حينما سئل عن سبب ميله إلى الهجاء وإكثاره منه، قال: "إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر، وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى"، فهو يرى أن الهجاء أجلب للمال من المديح، وأعظم لمهابة الشاعر.

والحقيقة أن ظروف ولادة بشار ونشأته كونت فيه شخصيته الهجائية وتبرمه من كل ما حوله، ولعل أخطر الانعطافات في حياة بشار تأييده لثورة إبراهيم بن عبد الله الحسن الذي تمرد على الخليفة المنصور بعد أن دعا لنفسه بالخلافة، فقد بعث إليه بشار بقصيدة فيها مدح وإكبار لأمره ورأيه، وتحريض غير أنها لم تصل إلى إبراهيم لقتله وانهيار ثورته فخاف بشار أن تصل إلى الخليفة فقلب الكنية،

وجعل التحريض فيها على ابن الحسن والمدح والمشورة للمنصور، وحذف منها أبياتًا وأولها:

أبا جعفر ما كلُّ عيشٍ بدائم ... وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمِ
على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى ... ويصرعُهُ في المأزقِ المتلاحمِ
كأنك لم تسمع بقتل متوّجٍ ... عظيم ولم تعلم بهُلك الأعاجم
تقسم كسرَى رهطهُ بسيوفهم ... وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائم
وقد كان لا يخشى انقلابَ مكيدةٍ ... عيهِ ولا جَريَ النحُوسِ الأشائمِ
مُقيمًا على اللذاتِ حتى بدَت لهُ ... وُجوهُ المنايا حاسراتِ العمائمِ
وقد ترد الأيام عزًّا وربما ... وردن كُلومًا باديات الشكائم
ومروانُ قد دارت على رأسهِ الرَحى ... وكانَ لما أجرمتَ نزرَ الجرائِمِ
فأصبحت تجري سادرًا في طريقهم ... ولا تتَّقي أشباهَ تلكَ النقائمِ
تجرَّدتَ للإسلامِ تعفو سبيلَهُ ... وتُعري مطاهُ للُّيوثِ الضراغِمِ
فما زلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَهُ ... عليكَ فعادوا بالسيوفِ الصوارمِ
فرُم وزرًا يُنجيكَ يا ابنَ وشيكَةٍ ... فلستَ بناجٍ من مُضيمٍ وضائمِ
لَحى اللهُ قومًا رأسوكَ عليهمُ ... وما زلتَ مرؤوسًا خبيثَ المطاعمِ
أقولُ لبسامٍ عليهِ جلالةٌ ... غدا أريحًا عاشقًا للمكارِمِ
من الهاشميينَ الدُعاةِ إلى الهُدى ... جهارًا ومن يهديكَ مثلُ ابنِ هاشمِ
سِراجٌ لعينِ المستضيءِ وتارةً ... يكونُ ظلامًا للعدوِّ المُزاحمِ
إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعن ... برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولا تجعلِ الشُورى عليكَ غضاضةً ... مكانُ الخوافي قُوةٌ للقوادمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختها ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤَيد بقائمِ

وخلِّ الهُوينا للضـعيفِ ولا تكُـن — نؤومًا فإنَّ الحزمَ ليسَ بنائمِ
وحارب على القُربى المُقرِّبَ نفسهُ — شبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ
وأدنِ على القُربى المُقربَ نفسَهُ — ولا تُشهدِ الشُورى امرأً غيرَ كاتمِ
فإنَّكَ لا تستطردُ الهمَّ بالمُنى — ولا تبلُغُ العليا بغيرِ المكارمِ
إذا كنتَ فردًا هرَّكَ القومُ مُقبلاً — وإن كُنتَ أدنى لم تَفُزِ بالعزائمِ
وما قرعَ الأقوامَ مثلُ مُشيَّعٍ — أريبٍ ولا جلَّى العمى مثلُ عالمِ

لقد كانت معارك الهجاء من أبرز معالم حياته الشعرية، فهجاؤه كان مقذعًا فاحشًا موجعًا، وقد عوتب على ذلك مرارًا فلم يأبه فكانت نهايته.

وقد كوَّن هجاؤه لوزير المهدي يعقوب بن داود بدأ المأساة الشخصية التي انتهت بإعدامه، فقد كان بشار يمدحه لعله يحظى عنده بشيء من المال، ولكنه لم ينل ما تمنى، فقال يهجوه:

لا يأيسنَّ فقيرٌ من غنى أبدًا — بعد الذي نال يعقوب بن داود
قد صار من بعد أشرافٍ على تلفٍ — وبعد غُلٍ على الزندين مشدود
أخا لمهدي خلق الله كلهم — يومي به فوق أعناق الصَّناديد
لئن حُسدت على ما نلت من شرفٍ — لقد عنيت زمانًا غير محسودِ
بني أمية هبُّوا طال نومكم — إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا — خليفة الله بين الزِّق والعود

ويقول له:

طال المُقامُ على تنجُزِ حاجةٍ — عندَ الإمامِ وقد ذكرتُ إيابي

فجرت دُموعِي من تذكُّرِ ما مضى ... وكأنَّ قلبي في جناحِ عُقابِ
وأحولُ من شرفِ العشيرةِ مُبسقٌ ... قومًا وأُمسكُ عن هُمامِ الغابِ
يعقوبُ قَد وَرَدَ العُفاةُ عَشيَّةً ... متعرِّضينِ لسَيبِكَ المُنتابِ
فَسقيتُهم وَحَبستَني كَمّونَةً ... نَبَتَت لِزارِعِها بِغَيرِ شَرابِ
مَهلاً لَديكَ فإنَّني رَيحانَةٌ ... فَاشمُم بِأَنفِكَ وَاسقِني بِذِنابِ
طالَ الثَّواءُ على تنظرِ حاجةٍ ... شَمِطَت لَدَيكَ فَمُن لَها بِخِضابِ
تُعطي العزيزة درَّها فإذا أبت ... كانت ملامتها على الحُلابِ

أي أنك من الخليفة بمنزلة حالب الناقة الغزيرة الدرور، فإذا لم يوصل إلى دَرِّها فليس ذلك بخلاً منها إنما هو من منع الحالب حلبها.

وحين قدم المهدي إلى البصرة أكرم الشعراء، ووصلهم بأعطيات كثيرة على يدي يعقوب بن داود ولم يعطِ بشارًا شيئًا، فهجاه ببيتين من الشعر قال فيها:

خليفة يزني بعماته ... يلعب بالدَّبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيرَه ... ودسَّ موسى في حِرِ الخيزران

وهذا الهجاء فيه تحقير واستخفاف بالمهدي وأهله، فوصل الهجاء إلى مسامع يعقوب بن داود فقام من فوره ودخل على المهدي وقال له:" يا أمير المؤمنين: إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك"، فقال المهدي:"بأي شيء؟"، فقال يعقوب:"بما لا ينطق به لساني، ولا يتوهمه فكري"، فاستحلفه المهدي أن يقول له ما هجاه به بشار، فقال يعقوب:"

أما لفظًا فلا، ولكني أكتب ذلك"، فكتب البيتين، ودفعها إلى المهدي، فكاد المهدي ينشق غضبًا.

وعمد إلى الذهاب إلى البصرة للنظر في أمرها، ولما قرب منها سمع آذانًا فقال: "ما هذا؟" فقيل: بشار بن برد يؤذن وهو سكران، فأمر به، فقال له:"يا زنديق، عجبتُ أن يكون هذا غيرك،أتلهو بالآذان في غير وقت صلاة،وأنت سكران ؟"، فأمر به فضرب بالسوط حتى مات على ظهر سفينة، فجاء بعض أهله فحملوه ودفنوه.

وذكر ابن قتيبه: "أن بشارًا هجا المهدي وذكر شغفه بالشراب واللهو، فأمر به فقتل تغريقًا بالماء". وهكذا مات بشار ضحية كلمات لو أنه حبسها في فيه لأبقت على حياته.

(٩٠).

بيت يخطُّ نهاية
مروان بن أبي حفصة (١٠٥ – ١٨٢هـ)

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، مولى بني الحكم، أعتقه يوم الدَّار، يكنى أبا السمط، وأبا الهيندام، ولقب ذا الكَمر، شاعر عالي الطبقة، يمتاز شعره بالرِّقة والعراقة، والجودة، ومتانة الألفاظ، وقوة السَّبك، وجودة الرأي، ولد في اليمامة حيث منازل أهله من أسرة عريقة بالشعر، ونشأ في العصر الأموي وأدرك العصر العباسي، لم يكن ماجنًا ولا زنديقًا، وإنما كان كثير اللهو والعبث.

دافع عن العباسيين بشعره، ووفد على المهدي، والهادي، وهارون الرشيد ومدحهم ونال منهم عطاءً كثيرًا، ثم مدح البرامكة، ووزراء الرشيد وحاز أعطياتهم الجمَّة، وقد وُصف بالبخل الشديد على كثرة ما حصل عليه من الخلفاء، فقد كان بخيلاً يظن بالمال على كثرته، إذ عاش حياة بؤس وشقاء، ولم ينتفع بما عنده، على الرغم من ميله إلى اللهو والعبث، وذُكر عنه:"أنه أبخل شاعر عرفته العرب آنذاك، وجمع من الجوائز والهبات ثروة كبيرة"، وقيل:" إن بني العباس كانوا يهبونه على كل بيت يمدحهم به ألف درهم"؛ ولذا دعا إلى العباسيين، و احتج على خصومهم ومعارضيهم.

دفع حياته ثمنًا لتعصبه للعباسيين، إذ اغتاله بعض المتطرفين، فقد كان من المتحمسين في أشعاره ضد آل البيت،

ويسوق المسوغات والحجج ضدهم وأنهم لاحقَّ لهم في الخلافة، يقول:

طـافُ الخيـالُ وحيَّـه بسـلامِ ... أنَّـى ألَمَّ ولـيسَ حـينَ لِمـامِ
يا ابنَ الّذي وَرِث النَبيَّ مُحَمَّـداً ... دونَ الأَقارِبِ مِـن ذَوي الأَرحـامِ
أَلوَحيُ بينَ بَني البَنـاتِ وَبَيـنَكُم ... قَطَعَ الخِصامَ فَلاتَ حـينَ خِصـامِ؟
ما لِلنِّساءِ مَـعَ الرِجـالِ فَريضَـةٌ ... نَزَلَـت بِـذَلِكِ سـورَةُ الأَنعـامِ
أَنّي يَكـونُ وَلَـيسَ ذاكَ بِكـائِنِ ... لِـبَني البَنـاتِ وِراثَـةُ الأَعمـامِ
أَلغى سِهامَهُمُ الكِتـابُ فَحـاوَلوا ... أَن يَشـرَعوا فيهـا بِغَـيرِ سِـهامِ
ظَفِرَت بَنو ساقي الحَجـيجِ بِحَقِّهِـم ... وَغُـرِرتُمُ بِتَـوَهُّمِ الأَحـلامِ
خَلّوا الطَريـقَ لِمَعشَـرٍ عـاداتُهُم ... حَطمُ المَناكِبِ كُـلَّ يَـومِ زِحـامِ
وَاِرضَوا بِما قَسَمَ الإِلهُ لَكُـم بِـهِ ... وَدَعوا وِراثَةَ كُـلِّ أَصـيَدَ حـامِ

ويقصد أن لاحقَّ لهم في الخلافة لأنهم يتبعون لفاطمة رضي الله عنها وهي بنت الرسول ﷺ بينما يتبع الآخرون عمَّ النبي ﷺ والعمُّ أحقُّ بالوراثة والخلافة.

وقد نظم في ذلك أشعارًا كثيرة، وقد اشتهر قوله:

أَنّـي يَكـونُ وَلَـيسَ ذاكَ بِكـائِنِ ... لِـبَني البَنـاتِ وِراثَـةُ الأَعمـامِ

شهرة واسعة، وتناقلته الرواة، ونطقته الألسن، وذاع صيته وتناشده بنو أمية ومؤيدوهم مما أغضبهم، وأثر في الحياة السياسية، وأخذ بسببه مالاً عظيمًا، لكنه تسبب بمقتله كما روى ذلك الأصفهاني عن رجل يقال له: صالح بن عطيَّة الأضجم أنه قال: "لمَّا قال مروان قصيدته ومنها البيت:

أَنّــي يَكــونُ وَلَــيسَ ذاكَ بِكــائِنٍ لِــبَني البنــاتِ وِراثَــةُ الأَعمــامِ

لزمتـه، وعاهـدت الله أن أغتالـه، فأقتلـه أي وقـت أمكـنني ذلك، ومازلت ألاطفه وأبُرُّه، وأكتب أشعاره، حتى خصصت به، فأنس بي جدًّا، وعرفت ذلك بنو حفصة جميعًا، فأنِيسوا بي، ولم أزل أطلب له غرة حتى مرض من حمى أصابته، فلم أزل أُظهر له الجزع عليه وألازمه وألاطفه حتى خلا لي البيت يومًا فوثبت عليه، فأخذت بحلقه فما فارقته حتى مات، فخرجت وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتًا، وارتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت، وأظهرت الجزع عليه حتى دُفن، وما فطن بما فعلت أحد، ولا اتهمني به" (٩١).

تباين وأفول
منصور النَّمري (... - ١٩٠هـ)

هو أبو القاسم منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري، من بني النمر بن قاسط، شاعر من أهل الجزيرة الفراتية، مجيد في نظمه، بديع في وصفه ومدحه، تتساب كلماته في تراكيب بديعة، وصور جميلة محدثة فتتوالد منها أفكار تأخذ بالألباب، وتعقلها الأفهام، وتذيعها الألسن.

تلمذ ليد كلثوم بن عمرو العتابي، وكانت تجمعه به صداقة حميمة، ومدحه العتابي عند الفضل بين يحيى فاستقدمه الفضل واستصحبه

عاش في زمن الخليفة هارون الرشيد، وكان من ندماء مجلسه، وأصدقائه المقربين، وقد بالغ في مدحه وأكثر، وبلغ من إعجاب الرشيد بإحدى مدائحه أن قال للفضل بن الربيع: "خذ بيد النمري فأدخله بيت المال، ودعه يأخذ ما يشاء".

وذُكر عن النمري أنه يميل إلى التشيع سرًّا، ويمدح آل الرسول ﷺ فما كان من العتابي إلا أن استغل قربه هو من الخليفة هارون الرشيد في جلسة غاب عنها النمري ليُحدث وقيعةً بينه وبين الخليفة هارون الرشيد، لخلاف وقع بينه وبين النمري تهاجيا بسببه، وسعى كل منهما لهلاك الآخر، فاستغل العتابي غياب النمري عن المجلس فوجه الحديث إلى ذكر الروافض ثم قرأ على الرشيد قصيدة النمري التي يمدح

فيها آل البيت، ويبين فيها أحقيتهم بالخلافة والولاية، وأنهم سبقوا غيرهم بالفضل والمكارم، ويعرِّض بما تعرضوا له من ظلم، ويتوعد بأن عذاب الله – سبحانه وتعالى – وغضبه سيطال كل من أسهم في قتل ذرية النبي ﷺ إذ يقول فيها:

شاء من النَّاس راتع هامل — يعللون النفوس بالباطل
تقتلُ ذريَّة النبي ويرجون الجنَّات للقاتل
ويلك يا قاتل الحسين لقد بؤت بحملٍ ينوء بالحامل
أيُّ حباءٍ حبوتَ أحمدَ في حُفرتهِ من حرارةِ الثاكِل
بأي وجه تلقى النبي وقد دخلت في قتله مع الداخل
هلُّم فاطلب غدًا شفاعته أولا فرد حوضه مع الناهلِ
ما الشكُّ عندي في حالِ قاتلهِ لَكنَّني قد أشُكُّ في الخاذِلِ
نفسي فِداء الحسين يوم غدًا إلى المنايا غدو لا قافِل
ذلكَ يومٌ أنحى بشفرَتهِ على سَنامِ الإسلامِ والكاهِل
حتى متى أنت تعجلين؟ إلا تنزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجِلت وربك عمَّا ترين بالغافلِ
وَعاذلي أنني أُحبُّ بَني أَحمدَ فالتُّربُ في فَمِ العاذِل
قَد دِنتُ ما دينكُم عليهِ فما وَصلتُ من دينكُم إلى طائِل
دينكم جفوة النبي وما الجافي لآل النبي كالواصلِ
مظلومةٌ والنبيُّ والدُها تُديرُ أرجاءَ مُقلَةٍ حافِل
ألا مساعير يغضبون لها بسلَّة البِيض والقنا الذَّابل

وحين فرغ العتابي من قراءتها، قال له الرشيد: "من قال هذا؟"، قال العتابي: "عدوك يا أمير المؤمنين، الذي نظنه وليك"، فقال الرشيد: "ويلي على ابن الفاعلة يحرض النَّاس على الخروج عليَّ، ويضمر عداوتي، ويُظهر من موالاتي ما يظهر".

وقام من فوره وأمر رجلاً اسمه أبو عصمة الشيعي، أن يسافر إلى الرِّقة، وأن يأخذ النِّمري ويسل لسانه من قفاه، ويقطع يده ورجله، ثم يضرب عنقه، ويحمل رأسه إليه، ويصلب جسده هناك، وحين وصل أبو عصمة إلى الرقة رأى جماعة من النَّاس يحملون جنازة، فسأل عنها، فقيل: إنها جنازة النمري فرجع إلى بغداد فأخبر الخليفة هارون الرشيد بما رأى، فقال الرشيد: "هممت أن أنبشه، ثم أحرقه".

ولا شك أن مقولة الرشيد تلك تنبئ عن غضب شديد اجتاحه، فلم يترحم عليه، أو يسكت عنه، وهذا ما يؤكد أن الرشيد كان مصرًّا على تنفيذ حكم الإعدام بحق منصور النمري بتلك الوحشية الشديدة، والدموية الشنيعة التي أوصى بها أبا عصمة بسبب تلك القصيدة غير أن منية النمري حالت دون أمنية الرشيد . (٩٢).

رئاسة وحتف
الفضل بن سهل (١٥٤ - ٢٠٢ هـ)

هو أبو العباس الفضل بن سهل كان مجوسيًّا، وأسلم على يد المأمون، ولم يشتهر كشاعر وأديب بل جاءت شهرته في السياسة والقيادة، وكان حازمًا مقاتلاً، فصيحًا من الأكفاء وهو من الشعراء المقلين، ومع ذلك قتله شعره.

وزير المأمون وصاحب تدبيره، ولقب بذي الرئاستين؛ لأنه ولي أمر السيف والقلم، وقيل: " صحب المأمون قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معًا، فلقب بذي الرئاستين: الحرب والسياسة".

عرف عنه علمه بالتنجيم، وله وقائع كثيرة تثبت صدق حدسه وتوقعه، ومنها أنه توقع لنفسه ألا يعيش أكثر من ثمانية وأربعين سنة، ومات في ذلك العمر.

استطاع الفضل بن سهل التقرب إلى المأمون، فكسب ثقته، وسيطر على قراراته بكل صدق وأمانة، غير أن أموره بدأت تسوء مع المأمون بفعل الوشايات والدسائس، فقد كان خال المأمون غالب المسعودي حاقدًا على الفضل، كارهًا له، يتصيد الفرص للإيقاع به، والفضل كان متوجسًا الخيفة من غالب، وأفصح عن ذلك في أبيات يؤكد فيها أنه إن سلم من غالب وزمرته عامًا واحدًا فقد نجا، منها قوله:

لئن نجوت أونجت ركائبي　　من غالب أو من لفيف غالب
وسنة تقطع عقد الحاسب　　إني لمحفوظ من النوائب

وكان الفضل بن سهل قد نظم قصيدة في المأمون كانت السبب في مقتله، إذ يعدِّد فيها أفضالهم وأفضال أهل خراسان على المأمون وملكه، وأن الفضل يعود إليهم في تثبيت حكمه ومناصرته؛ لأنهم سقوه بماء العلا ليخضَّر عوده، منها قوله:

إنَّ مأمون هاشم أصله مكـ　　ـة منها أباؤه وجدوده
غير أنا نحن الذين غذوناه بماء　　العلاء فأورق عوده
من خراسان اتبع الأمر منهم　　وتوشت للناظرين بروده
قد نصرنا المأمون حتَّى حوى　　الملك ففينا طريفه وتليده
مثلنا لا يراه ما برق الصبح　　وشقَّ الظلام عوده

ولما صلت القصيدة إلى أسماع المأمون ساءته و ثقل أمرها وأمر قائلها عليه، فدسَّ عليه خاله غالب المسعودي فدخل عليه الحمام في "سرخس" (مدينة من نواحي خراسان) فقتله غيلة.

(٩٣).

علامات الهلاك
أبو الأسد الحمّاني (... – ٢٠٧ هـ)

اسمه نباته بن عبد الله الحماني، من بني شيبان، من أهل دَيْنَور. شاعر مطبوع، متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية، من أهل الدينور، يعدُّ من الشعراء مليحي النوادر، غير أنه كان خبيث الهجاء، سليط اللسان، ومع ذلك فله في الغزل الأبيات الجميلة، والأوصاف الرقيقة.

انقطع إلى الفيض بن صالح وزير المهدي ومدحه، ونال منه كثيرًا، ومن ذلك قوله:

ولائمةٍ لامتك يا فيض في الندى ... فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادت لتنهى الفيض عن عادة الندى ... ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلدةٍ ... مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأن وفود الفيض لما تحملوا ... إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

ومن قبله مدح أبا دلف وحاز منه الهبات غير أنه تركه حين قَرَّب علي بن جبلة العُكوَّك وفضله عليه.

وهجا أحمد بن أبي دواد فقال:

أنت امرؤٌ غثُّ الصنيعة رثُّها ... لا تُحسن النَّعمى إلى أمثالي
نعماك لاتعدوك إلا في امرئ ... في مسك مثلك من ذوي الأشكال
وإذا نظرت إلى صنيعك لم تجد ... أحدًا سموت به إلى الإفضال
فاسلم بغير سلامة تُرجى لها ... إلا لسدِّك خُلة الأنذال

وسبب هذا الهجاء أن أبا الأسد مدح ابن أبي دواد فلم يثبه، ووعده بأعطية وماطله فهجاه، ووصل إلى علي بن يحيى المنجم وسأله حاجته فلم يفعل، فسألها الوزير جمدون بن إسماعيل فأنجزها إليه عاجلاً، فقال يهجو ابن المنجم ويمدح ابن إسماعيل:

صنع من الله أني كنتُ أعرفكم ... قبل اليسار وأنتم في التبابين
فما مضت سنة حتى رأيتكم ... تمشون في القز والتوهي واللين
وفي المشارقِ ما زالت نساؤكم ... يصحن تحت الدوالي بالوراشين
فصرن يرفلن في وشي العراق وفي ... طرائف الخزِّ من دكن وطروني
أنسين قطع (...) من منابتها ... وحملهن كشوثًا في الشقايينِ
حتى إذا أيسروا قالوا وقد كذبوا ... نحن الشهاريج أولاد الدَّهاقين
في (...) أم كسرى عمود أقربكم ... (...) بغل مشظٌّ في (...) شيرين
من ذا يخبر كسرى وهو في سقرٍ ... دعوى النبيط وهم بيض الشياطين
وأنهم زعموا أن قد ولدهم ... كما ادعى الضب أني نطفة النونِ
فكان ينحز جوف النار واحدةً ... تفري وتصدع خوفًا قلب قارونِ
أما تراهم وقد حطوا براذعهمُ ... عن أتنهم واستبدوا بالبراذينِ؟
وأفرجوا عن مشارات البقول إلى ... دور الملوك وأبواب السلاطين
تغلي على العرب من غيظٍ مراجلهم ... عداوةً لرسول الله في الدين
فقل لهم وهم أهلٌ لتزنيةٍ ... شر الخليقة يا بخر العثانين
ما الناس إلا نزارٌ في أرومتها ... وهاشمٌ سرجها الشم العرانين
والحي من سلفي قحطان إنهم ... يزرون بالنبط اللكن الملاعين

فما على ظهرها خلقٌ لـه حسبٌ ... مما يناسب كسرى غير حمدون
قـرمٌ عليه شهنشاهيةٌ ونبـاً ... ينبيك عن كسروي الجد ميمون
وإن شككت ففي الإيوان صورته ... فانظر إلى حسب بادٍ ومخزون

ومرَّ يومًا على الجبل فصادف شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف فمدحه فلم ينل منه شيئًا، ويبدو أن شاهين لم يحسن استقباله ومقامه، فقال يهجوه:

إني مررت بشاهين وقد نفحت ... ريح العشي وبرد الثلج يؤذيني
فما وقى عرضه مني بكسوته ... لا بل ولا حسب دانٍ ولا دينِ
إن لم يكن لبن الدَّايات غيَّره ... عن طبع آبائه الشم العرانين
فربما غاب بعلٌ عن حليلته ... (...) بعض سوّاس البراذين

... وباقي القصيدة نعف عن ذكره لشناعته، وحين بلغت القصيدة شاهين بن عيسى غُمَّ غمًّا شديدًا وتوعد بالنيل منه، فاستحضره أبو دلف وطلب منه أن يهب شاهين له مقابل عشرة آلاف درهم فأمسك عنه، ولكن حياته لم تطل فقد ذكر عنه أن وفاته كانت غدرًا من أحد مهجويه . (٩٤).

تجاوز وحتفٌ
العُكُوَّك (١٦٠ – ٢١٣هـ)

هو علي بن جَبَلَة بن مسلم بن عبد الرحمن الأنباوي، يكنى أبا الحسين شاعر عراقي مجيد، ولد في بغداد أعمى، ومصابًا بالبرص والسَّواد، وجعلته هذه العاهة يتجه إلى حلقات العلم، فاجتهد في رواية الشعر وحفظه، ولُقب بالعُكُوك وبه اشتهر ومعناه القصير السمين. ويقال:"إن الأصمعي هو الذي لقبه إياه حين رأى هارون الرشيد متقبلاً له، ومعجبًا به، ومقربًا إياه". قال عنه الأصفهاني: "هو شاعر مطبوع، عذب اللفظ، جزل، لطيف المعاني، مدَّاح حسن التصرف".

يعدُّ من الشعراء المطبوعين، أصحاب الألفاظ الجزلة، والمعاني اللطيفة، والتراكيب البديعة، له أشعار في الغزل رقيقة، وغلب على شعره المدح، وكان ينظم الشعر تكسبًا به، وامتدح الخلفاء ومنهم الرشيد الذي أجزل له العطاء، وأسرف كثيرًا في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، وجاوز الحدَّ في مدحه، فتسبب ذلك في نهايته.

وقصائده في أبي دلف متقنة السبك، جميلة المعاني، بديعة الصياغة، ذاع صيتها على كل لسان، وتناقلها الرواة، وحفظتها العقول، وروتها الألسنة، غير أن إحدى مدائحه في أبي دلف انتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم، وهي التي حاز بها مالاً كثيرًا حين جعل أبا دلف معادلاً للدنيا بأجمعها،

فإذا ذهب ذهبت الدنيا في آثره، يقول:

ذادَ وِردَ الغـيِّ عـن صَـدَره — وارعـوى واللـهو مـن وطـره
وأبـت إلا الوَقـارَ لـهُ — ضَـحِكاتُ الشـيبِ في شَـعرِهْ
نَـدمي أنَّ الشـبابَ مَضـى — لم أُبَلِّغـهُ مـدى أَشَـرِه
وانقضـت أَيّامُـهُ سـلَمًا — لم أَهِـج حَربًـا علـى غـيره
حسـرَت عَنّـي بشاشـتُهُ — وَذَوى اليـانعُ مِـن ثَمَـرِه
وصـغت أذني لِزاجِرهـا — وَلَمـا تَشـجى لِمُزدَجِـرِه
إذ يـدي تعصـي بِقُوهـا — لا تَـرى ثَـارًا لِمُثِّئِـرِه
والصـبا سـرحٌ أُطيـفُ بِـهِ — فَأُصـيبُ الأُنـسَ مِـن نُفُـرِه
تَرعَـوي بـاسمي مسـارِحُهُ — ويلـي ليلـى بَنـو سَـمَرِه
وغيـورِ دونَ حوزتـهِ — حُزتُ خلفَ الأمـنِ مـن حـذرِهِ
ودمٍ أهـدرتُ مـن رشـأ — لم يُـرِد عقـلاً علـى هـدَرِه
بـاتَ يُـدني لي مقاتلـهُ — ويُفَـديني علـى نَفَـرِه
فأتـت دون الصـبا هنـةٌ — قلبَـت فـوقي علـى وَتَـرِه
جارتـا لـيس الشـبابُ لمـن — راحَ محنِيًّـا علـى كِبَـرِه
ذهبـت أشـياءُ كُنـتُ لهـا — صـارها حلمـي إلى صـوَرِه
طرَقـت تَلحـى فقلـتُ لهـا — اِذهَبـي مـا أنـتِ مـن سُـوَرِه
قـدكَ مـن مـوفٍ علـى أمـلٍ — تَحسـرُ الأبصـارَ عـن نظـرِه
إنَّ مـن دونِ الغِـنى جـبلاً — سَـتَكُوس العـيس في وَعـرِه
يتناضـلنَ السُـرى قُـذُفًا — قد كَسـاها المـيس مـن قَتـرِه
كـم دُجـى ليـلٍ عَسـفنَ بـهِ — يَبتَعِـثنَ الصُـبحَ مـن كسـرِه

يتفــــرّى عـــــن مناسِـــــمِها كَتفــــرّي النـــارِ عـــن شـــرَرِه
دَع جَـــدا قَحطـــانَ أو مُضَـــرٍ في يَمانيـــــهِ وفي مُضَـــــرِه
وامتـــدحِ مـــن وائِـــلٍ رَجُـــلاً عَصـــرَ الآفـــاقِ مـــن عصـــرِه
المنايــــا في مناقِبِـــــهِ والعَطايــــا في ذرا حُجَـــرِه
هضـــمَ الـــدُنيا بنائلـــهِ وَأقـــالَ الـــدينَ مـــن عثَـــرِه
مَلـــكٌ تنـــدى أنامِلُـــهُ كَـــانبلاجِ النـــوءِ عـــن مطـــرِه
مُســـتهلٌّ عـــن مواهبـــهِ كَابتســـامِ الـــرَوضِ عـــن زهـــرِه
عقـــدَ الجـــدُّ الأُمـــورَ بـــهِ حـــينَ لم ينـــهض بمَتَّعَـــرِه
فكفاهـــا واســـتقلَّ بهـــا لم تَضِـــف وَهنًـــا قُـــوى مِـــرَرِه
جبـــلٌ عـــزَّت مناكُبـــهُ أمِنَـــت عـــدنانُ في ثُغـــرِه
إنَّمـــا الـــدُنيا أبـــو دُلَـــفٍ بـــين مَبـــداهُ وَمُحتضَـــرِه
فـــإذا وَلّى أبـــو دُلَـــفٍ وَلَّـــتِ الـــدُنيا علـــى أَثـــرِه
لســـتُ أدرى مـــا أقـــولُ لـــهُ غـــيرَ أن الأرضَ في خَفَـــرِه
يـــا دواءَ الأرضِ إن فســـدَت ومُـــديلَ اليُســـرِ مـــن عُسُـــرِه
كلُّ مـــن في الأرضِ مـــن عـــرَب بـــينَ باديـــهِ إلى حَضَـــرِه
مُســـتعيرٌ منـــكَ مَكرُمـــةً يَكتســـيها يَـــومَ مُفتخَـــرِه
صـــاغكَ اللهُ أبـــا دُلَـــفٍ صـــبغةً في الخَلـــقِ مـــن خـــيرِه
أي يوميـــكَ اعتزَيـــتَ لـــهُ استضـــاءَ المجـــدُ مـــن قُتُـــرِه
لو رَميـــتَ الـــدهرَ عـــن عُـــرُض ثَمَّمَـــت كَفـــاكَ مـــن حَجَـــرِه
رُبَّ ضـــافي الأمـــنِ في وَزَرٍ قَـــد أبـــتَّ الخَـــوفَ في وَزرِه
وابـــن خـــوفٍ في حشـــا خَمَـــرٍ نُشـــتَه بـــالأمنِ مـــن خَمـــرِه

وزحـــوفٍ في صـــواهِلِهِ — كصـــياحِ الحشـــرِ في أمـــرِه
قدتَـــهُ والمـــوتُ مَكَـــتمِنٌ — في مذاكيـــهِ ومُشـــتجِرِه
فَرمـــت جيلـــوهُ منـــهُ يَـــدٌ — طـــوَت المنشـــورَ مـــن بطـــرِه
زُرتـــهُ والخيـــلُ عابســـةٌ — تَحمـــلُ البُؤســـى إلى عَقُـــرِه
خارِجـــاتٌ تحـــتَ رايتـــها — كخُـــروجِ الطـــيرِ مـــن وُكُـــرِه
فأَبحـــتَ الخيـــلَ عقوَتَـــه — وقريـــتَ الطـــيرَ مـــن جـــزَرِه
وعلـــى النُعمـــانِ عُجـــتَ بهـــا — فأَقمـــتَ الميـــلَ مـــن صَـــعَرِه
غمـــطَ النُعمـــانُ صـــفوَتَها — فـــرددتَ الصـــفو في كَـــدَرِه
وتحسّـــى كـــأسَ مُغتَبِـــقٍ — لا يُـــدالُ الصـــحوَ مـــن سُـــكُرِه
وَبِقُرقـــورٍ أدرت رحـــا — وقعـــةٍ فلّـــت شَـــبا أشـــرِه
وتأنيـــتَ البقـــاءَ لـــهُ — فـــأبى المحتـــومُ مـــن قـــدرِه
وطَفـــى حَـــتى رَفعـــتَ لـــهُ — خُطَّـــةً شـــنعاءَ مـــن ذَكَـــرِه

وقد أثارت القصيدة غِيرة الآخرين، ونبشت حسدهم، وقد استأذن مرة من حميد الطوسي لينشده قصيدة قالها فيه، فقال له الطوسي: "ما عساك أن تقول فينا ، وهل أبقيت لأحد مدحًا بعد قولك في أبي دلف:

إنمـــا الـــدنيا أبـــو دلـــف — بـــين مَبْـــداه ومحتضـــره ؟

فأجابه العكوك:" أصلح الله الأمير، ما قلت فيك أحسن، فأنشد:

إنمـــا الـــدنيا حميـــد — وأياديـــه الجســـام
فـــإذا ولى حميـــد — فعلـــى الـــدنيا الســـلام

فتبسم الطوسي ولم يقل شيئًا وكافأه، وأسبغ عليه من هداياه، غير أن قصيدته السابقة في أبي دلف لم تثر حسد الآخرين فقط، بل أثارت غضب الخليفة المأمون واستياءه من قوله:

كل من في الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منك مكرمة ... يكتسبها يوم مفتخره

فهو يرى أن كل عربي على وجه الأرض لابد أن يستعير من أبي دلف مكرمة ليفاخر بها يوم فخره، بل إن تجاوز الحد في مدح أبي دلف حين أضفى عليه من الصفات ما هو خارج عن المألوف، وأضاف إليه صفات هي من صفات الله — سبحانه وتعالى — وحده، يقول:

خَلَّفتني نضوَ أحزان أُعالجُها ... بالجزعِ أندُبُ في أنضاءِ أطلال
لولا أبو دُلفٍ لم تحي عارِفَةٌ ... وَلَم يَنُؤ نَوءُ مَأمولٍ بِآمالِ
يا ابنَ الأكارِمِ من عَدنانَ قد علموا ... وَتالدِ المجدِ بين العَمِّ والخالِ
أنت الذي تنزل الأيام منزلها ... وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ ... إلا قضيت بأرزاق وآجال
تزورَ سُخطًا فَتُمسي البيضُ راضِيَةً ... وَتستَهِلُّ فَتَبكي أَعينُ المالِ
كأنَّ خيلَكَ في أثناءِ غَمرَتِها ... أرسالُ قَطرٍ تَهامى فوقَ أرسالِ
يَخرُجنَ من غَمَراتِ الموتِ سامِيَةً ... نَشرَ الأَناملِ من ذي القِرَّةِ الصالي

وفي عهد المأمون كتب قصيدة في مدحه إلا أنه لم ينشدها بين يديه، وإنما أرسلها مع حميد الطوسي فسخط

عليه المأمون؛ لأنه نوَّه بحميد الطوسي، وأبي دلف العجلي وتأخر عن مدحه والإشادة به مما أوصد عليه أبواب الخلفاء بعد الرشيد، وحين سمعها المأمون غضب غضبًا شديدًا، وقال: "لست لأبي إن لم أقطع لسانه، أو أسفك دمه"، وأمر بالقبض عليه وإحضاره، فهرب على بن جبلة إلى الجزيرة الفراتية، فظفروا به فأخذوه إلى المأمون، فلما صار بين يديه، قال له المأمون: "يابن اللخناء: أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كل من في الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منك مكرمة ... يكتسبها يوم مفتخره

فجعلتنا ممن يستعير المكارم منه"، فقال له:" يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله – عز وجل – فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم، أشكال القاسم وأقرانه".

وذُكر: أن المأمون استحل دمه بسبب كفره وشركه، وإضافته إلى أبي دلف صفات هي من صفات الخالق – عز وجل – فقد قال له المأمون حين أدخل عليه: "إني لست استحل دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها، وإدخالك في ذلك قريشًا وهم آل الرسول وعترته، ولكني أستحله بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها ... وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ ... إلا قضيت بأرزاق وآجال

كذبت، ما يقدر على ذلك أحدٌ إلا الله – عز وجل – الملك الواحد القهار، سلوا لسانه من قفاه"، فأخرجوا لسانه من قفاه فمات،(أي اقطعوا لسانه من جهة الحنجرة)، فنزف حتى مات.

ومهما يكن فلا نشك أن الغيرة دفعت المأمون إلى قتله وهو يسمع القصائد الجميلة، والأوصاف البديعة، والتشبيهات اللائقة، التي وصف فيها ممدوحيه، وأسبغ عليهم شمائل الفخر والكرم وغيرها تقال في غيره، ولذلك فإن علي بن جبلة العكوك قتلته قصائده التي كونت جوًّا من الغيرة والحسد استدرجته إلى مدراج الهلاك ووضعت نهاية مأساوية لشاعر رقيق . (٩٥).

موت تجاوز وقته
دِعبل الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٦هـ)

ممن اشتهر بالهجاء من شعراء العصر العباسي دِعْبل الخزاعي، واسمه دِعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن خزيمة الخزاعي، ويكنى أبا علي، نشأ في الكوفة، وأقام في بغداد، ومات في قرية الطِّيب إحدى قرى الأهواز.

تَلْمذ ليد مسلم بن الوليد، ويعدُّ من الشعراء الكبار المجيدين، وله المدائح الجميلة والصادقة لولا أنه يغلو فيها إلى حدٍّ الخروج عن السُّنة المتبعة، وشعره في الغزل رقيق، ونسيبه سلس، ويكتنفه بعض المبالغات الجميلة، والصور البديعة عن مشاعر الحب والعاطفة.

قال عنه ابن خلكان: "بذيء اللسان، مولعًا بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجاء الخلفاء في دولتهم"، وقال عنه الخطيب البغدادي: "كان خبيث اللسان، قبيح الهجاء"، وقال عنه الإمام الذهبي: "من غلاة الشيعة... خبيث اللسان والنفس".

"وقد نشأ دِعْبل بفطرته ناقمًا هجاءً لا يرضى عن شيء، ولا يرتاح إلى مدح أحد، ينقادِ إلى النقد والثلب كَلَفًا بهما، ولا يكف عنهما، وهكذا ظل طول حياته ساخطًا على الجنس البشري جميعًا، يهجوه في أشخاص الأفراد الذين يبسط فيهم لسانه، فيقول مثلا:

إني لأفـــتح عـــيني حـــين أفتحهـــا   علىَ كثير ولكـــن لا أرى أحـــدًا

وقد جمع إلى بغضه الناس جفاءً في الطبع فقضى سواد أيامه يذرع الآفاق مشردًا تحت كل كوكب في صحبة الصعاليك، وقطاع الطرق، واللصوص، وطوى أكثر عمره متخفيًا متواريًا عن العيان خشية أن يقع في قبضة أحد الكبار الذين هجاهم، وقد اعتسف الطريق من العراق إلى الشام ومصر وبلاد فارس، فترك في كل بلد عدوًّا ينذر دمه، ولم يدع أحدًا في مأمن من خبث لسانه".

وهو من الشعراء الذين يستخدمون الهجاء ترهيبًا حتى يصل إلى مراده في الانتفاع من الآخرين، والاكتساب من خيراتهم، ووضع مكانة مهينة له، ورسم سياسية اجتماعية له تكسبه هيبة ومكانة، ولذا جاء عنه أنه كان ينظم قصيدة الهجاء دون تخصيصها لرجل معين فإذا غضب على أحد جعلها فيه، ثم أذاعها فتسير بها الركبان.

ويظهر أن حبَّه للهجاء جعله يهب نفسه لمن يضع حدًّا لها، يقول: "لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدوِّر على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك"، وقد سئل عن سبب كثرة أهاجيه فقال: "وجدت أكثر الناس لا يُنتفع بهم إلا على الرهبة، ولا يُبالى بالشاعر وإن كان مجيدًا، إذا لم يُخفِ شرَّه، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم، وليس من شرفته بشعر شرف، فإذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته اتَّقاك

على نفسه".

وتبعًا لهذه الفلسفة الغريبة، والنظرة السوداوية، والتوجه الذي يطمح بالشَّر فقد هجا كثيرين، منهم الخليفة المأمون الذي ذكره بمقتل أخيه محمد الأمين على يد طاهر الخزاعي أحد أقاربه فيقول:

أيسومني المأمون خطَّة جاهل ... أو ما رأى بالأمس رأس محمدٍ؟
نوفي على هامِ الخلائفِ مثلَما ... توفى الجبالُ على رُؤوسِ القَرْدَدِ
ونَحُلُّ في أكنافِ كُلِّ مُمَنَّعٍ ... حَتى نُذلِّلَ شاهِقًا لم يُصعَدِ
إنَّ التِراتِ مُسهَّدٌ طُلابُها ... فاكفُف لِعابَكَ عن لعابِ الأَسوَدِ
لا تحسَبَن جَهلي كَحِلمِ أبي فما ... حِلمُ المشايخِ مثلَ جهلِ الأَمرَدِ
إني من القومِ الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقعدٍ
رَفَعوا مَحَلَّكَ بَعدَ طولِ خُمولِهِ ... واستنقذوكَ من الحضيضِ الأَوهَدِ
كم من كريمٍ قبلَه وخليفَةٍ ... أضحى لنا دَمُه لذيذَ المقصِدِ
مِثلِ ابنِ عَفّانٍ ومثلِ وليدهِم ... أو مثلِ مَروانٍ ومثلِ مُحَمَّدِ
شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

وهجا المعتصم حين تسلم الخلافة، وكان يبغض دعبلاً لطول لسانه، فقال:

بكى لشتات الدين مكتئب صبٌّ ... وفاض بفرط الدَّمع من عينه غربُ
وقام إمام لم يكن ذا هدايةٍ ... فليس له دين وليس له ذنبُ

وما كانت الأنباء تأتي بمثله يُمَلَّكُ يومًا أو تدين له العُرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضي الذي ضمَّه التُّربُ
ملوك بني العباس في الكُتب سبعة ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كُتب
كذلك أهل الكهف في الكُتب سبعة خيارٌ إذا عَدُّوا وثامنهم كلبُ
وإني لأعلي كلبهم عنك رفعةً لأنك ذو ذنب وليس له ذنبُ
كأنَّكَ إذ مُلِّكتنا لشقائِنا عجوزٌ عليها التاجُ والعقدُ والإتبُ
لقد ضاع أمر الناس إذا ساس ملكهم (وصيف) (وأشناس) وقد عظم الكربُ
وفضل ابن مروان سيثلم ثلمةً يظل لها الإسلام ليس له شعبُ
وهمُّكَ تُركيٌّ عليهِ مهانةٌ فأنتَ لهُ أُمٌّ وأنت لهُ أَبٌّ
وإِنِّي لأَرجو أن يُرى من مَغيبها مَطالعُ شمسٍ قد يغصُّ بها الشربُ

و قيل: إنه قصد مالك بن طوق ومدحه، ولكنه لم يرضَ عنه، فخرج وقال فيه:

إنَّ ابن طوقٍ وبني تغلبٍ لو قتلوا أو جُرحوا قُصره
لم يأخذوا من ديةٍ درهمًا يومًا ولا من أرشهم بعرةً
دماؤهم ليس لها طالبٌ مطلولة مثل دم العذرة
وجوههم بيضٌ وأحسابهم سوءٌ وفي آذانهم حُفَرة

وقصده يومًا فمنعه حُجَّاب مالك بن طوق عن الدخول، فقال:

لعمري لئن حجبتني العبيد — لما حُجبت دونك القافيةِ
سأرمي بها من وراء الحجاب — شنعاء تأتيك بالدَّاهية
تُصمُّ السميع وتُعمي البصير — ويسأل عن مثلها العافية

وهجاه بثالثة تعرض فيها لأمه بأبيات مقذعة شنيعة يُستقبح ذكرها هنا، وهجاه برابعة قال فيها:

سألت عنكم يا بني مالكٍ — في نازح الأرضين والدَّانية
طُرًا فلم تُعرف لكم نسبة — حتَّى إذا قلت بنو(....)
قالوا فدع دارًا على يمنةً — وتلكها دارهم ثانية

وتبعًا لهذا المبدأ الذي اتخذه دعبل في سيرته مع الناس كان لابد أن يتعرض لنكبات كيدية، وحوادث ثأرية ممن آذاهم، ومن ذلك ما فعله به إسحاق بن العباس حينما كان واليًا على البصرة، فقد قبض عليه، ودعا بالنطع والسيف لقتله، فأنكر قصيدته في هجاء مالك بن طوق، وحلف بالطلاق، وادعى أنها وشاية من حاقد، وبكى واستدرر العطف من الوالي، وصار يتضرع، فعفا عن قتله، ولكنه شهَّر به فدعا بالسوط وضربه ضربًا مؤلمًا ثم أخلي سبيله، فهرب إلى الأهواز.

وقيل: حين بلغت الأبيات إلى مالك، طلبه وجدَّ في طلبه فهرب إلى البصرة وكان واليها إسحاق بن العباس فأرسل مالك بن طوق رجلاً مقدامًا، وأعطاه سُمًّا وأمره أن يغتال

دعبلا كيفما يجده حينما يظفر به، فلم يزل الرجل يبحث عنه حتى وجده في قرية فضرب ظهر قدمه بعكاز لها رأس معدني مسمومٌ فمات من اليوم الثاني، بعد أن كتب شعره المنفلت تلك النهاية الصعبة . (٩٦).

المتَمَادي
علي بن الجَهم (١٨٨ - ٢٤٩ هـ)

هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن لؤي بن غالب من أهل بغداد. شاعرٌ جيد رقيقٌ فصيحٌ عذب الألفاظ، عالم بفنون الشعر، كان فاضلاً متدينًا، وقيل عنه: "علي بن الجهم في المحدثين كالنابغة في المتقدمين، لأنه اعتذر إلى المتوكل بما لا يقصر عن اعتذارات النابغة إلى النعمان" .

عاصر أبا تمام، واختص في مدح المتوكل حتى صار من جلسائه، ثم أبغضه لأنه كثير السعاية إليه بندمائه، والذكر القبيح لهم عنده، وإذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ويثلبونه وينتقصونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه إلى خراسان بعد أن حبسه مدة، وكان قد هجا رجلاً وسبَّه عند المتوكل فحبسه سنة، ثم نفاه إلى خراسان فعذبه طاهر بن عبد الله هناك، وكان من جيد شعره في حبسه قوله:

قالوا حُبست قلتُ ليسَ بضائري ... حَبْسي وأي مهندٍ لا يغمدُ
أوما رأيت الليث يألفُ غيله ... كِبرًا وأوباش السِّباع تردَّد
والشمس لولا أنها محجوبةٌ ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدرُ يُدركُهُ السِرارُ فتنجلي ... أيامُهُ وكأنهُ مُتجَدِّدُ
والغيثُ يحصرُهُ الغمامُ فما يُرى ... إلّا وريقُهُ يُراحُ ويرعُدُ
والنارُ في أحجارِها مَخبوءةٌ ... لا تُصطلى إن لم تُثِرها الأزنُدُ
والزاعبيَّةُ لا يُقيمُ كُعوبَها ... إلا الثقافُ وجذوةٌ تتوَقَّدُ

غِيَرُ الليالي بادئاتٌ عُوَّدٌ — والمالُ عاريةٌ يُفادُ وينفَدُ
ولكُلِّ حالٍ مُعقبٌ ولرُبَّما — أجلى لكَ المكروهُ عما يُحمدُ
لا يُؤيسنَّكَ من تفرُّجِ كُربةٍ — خطبٌ رماكَ بهِ الزمانُ الأنكدُ
كم من عليلٍ قد تخطاهُ الردى — فنجا وماتَ طبيبُهُ والعُوَّدُ
صبرًا فإن الصبرَ يُعقبُ راحةً — ويدُ الخليفةِ لا تُطاولُها يدُ
والحبسُ ما لم تغشهُ لدنيةٍ — شَنعاءَ نِعمَ المنزلُ المُتوَرَّدُ
بيتٌ يجددُ للكريمِ كرامةً — ويزارُ فيه ولا يزورُ ويحفَدُ
لو لم يكن في السجن إلا أنهُ — لا يستذلُّكَ بالحجابِ الأَعبُدُ
يا أحمدُ بنَ أَبي دواد إنَّما — تُدعى لكلِّ عظيمَةٍ يا أحمدُ
بلغ أميرَ المؤمنينَ ودونهُ — حوضُ الرَّدى ومخاوفٌ لا تنفدُ
أنتم بنو عمِّ النبي مُحمدٍ — أولى بما شرعَ النبيُّ مُحمدُ
ما كانَ من حسنٍ فأنتُم أهلُهُ — طابت مغارسُكُم وطابَ المحتِدُ
أمن السويةِ يا ابنَ عمِّ محمدٍ — خصمٌ تُقربهُ وآخرُ تُبعدُ
إن الذين سعوا إليكَ بباطلٍ — أعداءُ نِعمتكِ التي لا تُجحدُ
شهدوا وغبنا عنهُمُ فتحكَّموا — فينا وليس كغائبٍ من يشهدُ
لو يجمعُ الخصمينِ عندَكَ مشهدٌ — يومًا لبانَ لكَ الطريقُ الأقصَدُ
فلئن بقيتُ على الزمانِ وكانَ لي — يومًا من الملكِ الخليفةِ مقعدُ
واحتجَّ خصمي واحتججتُ بِحُجَّتي — لفلجتُ في حُججي وخابَ الأبعَدُ
واللهُ بالغُ أمرِهِ في خَلقِهِ — وإليه مصدرُنا غدًا والموردُ
ولئِن مضيتُ لقلَّما يبقى الذي — قد كادني وليجمعنا الموعِدُ
فبأي ذنبٍ أصبحَت أعراضُنا — نهبًا يُشيدُ بها اللئيمُ الأوقَدُ

وقيل:" إن سبب حبسه أن جماعة من الجلساء سعوا به إليه، وقالوا له: إنه يجمش (يسارر) الخدم ويغمزهم، وأنه كثير الطّعن عليك، والعيب لك والازدراء على أخلاقك، ولم يزالوا يوغرون صدره عليه حتى حبسه، ثم أبلغوه عنه أنه هجاه فنفاه إلى خراسان، وكتب إلى واليها: أن يصلبه يومًا كاملاً، فلما وصل حبسه طاهر بن عبد الله، ثم أخرجه فصلبه يومًا كاملاً".

واجتمع يومًا مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس، فعربد عليه بعضهم فغضب وخرج من المجلس، واتصل الشّر حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه فقال يهجوهم:

بني متّيم هل تدرون ما الخبرُ ؟ … وكيفَ يُستر أمرٌ ليس يستتر ؟
حاجيتكم: من أبوكم يا بني عصب ؟ … شتّى ولكنّما للعاهر الحجرُ
قد كان شيخكُم شيخًا له خطرٌ … لكنَّ أمكم في أمرها نظرُ
ولم تكن أمُّكم -والله يكلؤها- … محجوبة دونها الحراس والسُّتر
كانت مُغنية الفتيان إن شربوا … وغيرَ ممنوعةٍ منهم إذا سَكِروا
وكانَ إخوانُهُ غُرًّا غطارفةً … لا يُمكنُ الشيخَ أن يعصي إذا أَمَروا
قومٌ أعفاءُ إلا في بُيوتكُمُ … فإنَّ في مِثلها قد تُخلعُ العُذُرُ
فأصبحت كَمُراحِ الشولِ حافلةً … من كُلِّ لاقِحَةٍ في بطنها دِرَرُ
فجئتُمُ عُصبًا من كُلِّ ناحيةٍ … نوعًا (...) في أعناقِها الكَبَرُ
فواحِدٌ كِسرَويٌ في قراطِقِهِ … وآخرٌ قُرشيٌّ حينَ يُختبرُ
ما علمُ أُمِّكُمُ من حلَّ مِئزرَها … ومن رماها بِكُم يا أيها القَذرُ

قـومٌ إذا نُسبوا فـالأُمُّ واحـدَةٌ — واللهُ أعلمُ بالآبـاءِ إذ كثـروا
لم تعرِفـوا الطعـنَ إلّا في (...) — وأنتمُ في المخازي فتيـةٌ صُـبُرُ
أَحببـتُ إعلامَكـم أني بـأمرِكُمُ — وأمرِ غيرِكُمُ من أهلكُـم خـبرُ
تَفَكّهـونَ بـأعراضِ الكِـرامِ ومـا — أنتُم وذكرُكُمُ الساداتِ يا غُرَرُ
هذا الهِجاءُ الـذي تبقـى مياسِـمُهُ — على جباهكُمُ ما أورقَ الشـجرُ

إلى آخرها وفيها ذكر بعض الأشياء مما يتنزه عن ذكره هنا، وحين وصلت إلى مسامعهم اشتد غضبهم عليه، وأضمروا له الشر، فحبسه المتوكل، فقال يمدح أحمد بن أبي دواد وهو في حبسه، وسأله أن يقوم بأمره عند المتوكل ويشفع له، يقول:

يـا أحمـد بـن أبي دواد إنمـا — تُدعى لكل عظيمـة يـا أحمـد
بلّـغ أمـير المـؤمنين ودونـه — حوض الرَّدى ومخاوف لا تنفـد
أنـتم بنـو عـمٍّ الـنبي محمـد — أولى بمـا شـرعَ الـنبيٌ محمـد

ولكنه لم يفعل شيئًا وقعد عنه، بل تناسى أمره وحين نفى المتوكل أحمد بن أبي دواد شمت به علي بن الجهم، وهجاه بقوله:

يـا أحمـد بـن أبي دواد دعـوةً — بعثـت إليـك جنـادلاً وحديـدا
مـا هـذه البـدع الـتي سميتـها — بالجهل منك العـدل والتوحيـدا
أفسدت أمر الـدين حـين وليتـه — ورميتـه بـأبي الوليـد وليـدا

لا مُحكمًا جزلاً ولا مُستطرفًا ... كهلاً ولا مُستحدثًا محمودا
شَرِهًا إذا ذُكرَ المكارمُ والعُلا ... ذكرَ القلايا مُبدئًا ومُعيدا
ويودُّ لو مُسخت ربيعَةُ كُلُّها ... وبنو إيادٍ صَحفةً وثريدا
وإذا تربعَ في المجالسِ خلتهُ ... ضَبُعًا وخلتَ بني أبيهِ قرودا
وإذا تبسَّمَ ضاحِكًا شبَّهتهُ ... شَرقًا تعجَّلَ شُربهُ مَزؤودا
لا أصبحَت بالخيرِ عينٌ أبصرَت ... تلكَ المناخِرَ والثنايا السودا

ولما فُلِج أحمد بن أبي دواد شمت به علي بن الجهم وقال يهجوه:

لم يبقَ منك سوى خيالك لامعًا ... فوق الفراشِ ممهدًا بوسادِ
فرحت بمصرعك البرية كلها ... من كان منهم موقنًا بمعادِ
كم مجلس لله قد عطَّلته ... كي لا يُحدَّث فيه بالإسنادِ
ولكم مصابيحٍ لنا أطفأتها ... حتى نحيدَ عن الطريقِ الهادي
ولكم كريمةِ معشرٍ أرملتها ... ومُحدِّثٍ أوثقتَ في الأقيادِ
إن الأُسارى في السُجونِ تفرجوا ... لما أتتكَ مواكبُ العوادِ
وغدا لِمصرَعِكَ الطبيبُ فلم يجد ... لدواءِ دائِكَ حيلةَ المُرتادِ
فذقِ الهوان معجلاً ومؤجلاً ... والله ربُّ العرش بالمرصادِ
لا زال فالجِك الذي بك دائمًا ... وفُجعت قبلَ الموت بالأولادِ

وحين شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشرَّه، وذكره كل الناس بسوء من صديق وعدو، تحاماه الناس، وأبعدوا عنه وجفوه، وأظهروا له الكراهية، فخرج عن بغداد إلى

الشام، فخرج عليه نفر من الأعراب من بني كلب وُكِّلوا بقتله من أحد مهجويه، فتسارعوا إليه فتقاتل الفريقان قتالاً شديدًا، فأصيب بطعنة قتلته من ليلة الغد، وبذا يكون اختط لنفسه النهاية الأليمة، والمصير المؤسف. (٩٧).

العبرة في أبي العبر
أبو العِبر (... -٢٥٠ هـ)

هو أبو العباس محمد بن أحمد، الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عبد المطلب بن العباس، الملقب بحمدونا، شاعر أديب، حافظ للأخبار، نظم الشعر في أول سني عمره، ووصف بأنه حسن الشعر جيده، نظمه منذ أيام الأمين، وهو غلام إلى أن ولي المتوكل الخلافة فترك الجدّ، وعاد إلى الحمق، فاشتهر به، وكان خليعًا هزّالا، حبسه المأمون وقال:"هذا عار على بني هاشم"، ثم أطلقه.

ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد، وكسب بالحمق أضعاف ما كسبه كل شاعر كان في عصره بالجد، ونافق نفاقًا عظيمًا، وكسب في أيام المتوكل مالاً كثيرًا، إذ كان يمدحه، ويصفه بأوصاف تعز على شعراء عصره فنال من هباته ما كان لا يتوقعه.

قال جحظة: "لم أر أحفظ منه لكل عين، ولا أجود شعرًا، ولم يكن في الدنيا صناعة إلا وهو يعملها بيده"، وصنف كتبا، منها " المنادمة وأخلاق الخلفاء والأمراء " و " جامع الحماقات وحاوي الرقاعات ". غير أنه كان يمدح الخلفاء، ويهجو الملوك بركيك شعره، فقاده إلى النهاية، وعلى أنه ابن عم الخليفة إلا أن الناس كانوا يحتقرونه،

ويسخرون منه، فضلاً عن عجبهم من تقريب المتوكل له، وهي نقيصة على قومه وأهله.

وبالإضافة إلى حمقه فقد كان فاسقًا، غير أن بعض الرواة ممن عاصروه يرون أن هذه الصفات ليست متأصلة فيه، بل يفتعلها للكسب آنذاك لرواج مثل هذا القول والفعل؛ ولذا ضُرب بشعره المثل في السخف والبرود.

يقول أحد معاصريه: "رأيت أبا العبر يسر من رأى، وكان أبوه شيخًا صالحًا، وكان لا يكلمه، فقال له بعض إخوانه: لم هجرت ابنك ؟، قال: فضحني كما تعلمون بما يفعله بنفسه، ثم لا يرضى بذلك حتى يَهْجُنني ويؤذيني، ويضحك الناس مني".

وحين سمع قصيدة المأمون التي قال في مطلعها:

ما الحبُّ إلا قُبلة ... ومسٌ كفٌّ وعضُدِ

قال أبو العبر: "كذب المأمون وأخطأ وأساء الأدب، ألا قال كما قلت:

وباضَ الحبُّ في قلبي ... فيا ويلي إذا فرَّخ

وما ينفعني الحب ... إذا لم أكسر (.... ....)

وإن لم يطرح (.... ....) ... فزجيه عن (.... .....)

ثم سأل صاحبه: "كيف ترى ؟"، فقال: "عجبًا من العجب". قال أبو العبر: "ظننت أنك تقول لا؛ فأبل يدي

وأرفعها"، يقول صاحبه:" ثم سكت، فبادرت، وانصرفت خوفًا من شرِّه".

وقد ذكرت عنه كثيرٌ من القصص والسلوكات التي تدل على جهله وحمقه وانتكاسته، ولكن ليس هذا مجال ذكرها، غير أنها امتدت إلى بغداد فحبسه إسحاق بن إبراهيم المصعبي (صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل) وبينما هو في السجن، صاح في الحرس:" لي نصيحة"، فأخرجوه إلى إسحاق، فقال له: "هات نصيحتك" فقال أبو العبر: "على أن تؤمنني" قال إسحاق:"قد أمنتك،" قال أبو العبر:" الكشكية – أصلحك الله – لا تطيب إلا بالكشك"، فضحك إسحاق، وقال:" هو – والله – مجنون"، وأمر بإخراجه من بغداد فعاد إلى سر من رأى.

قال عنه يزيد بن المهلب: "ما كان إلا أديبًا فاضلاً، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له فتحامق". ومن حماقته أنه قال لرجل: "إذا حدثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بنتف إبطك حتى يكون هو في عمل، وأنت في عمل". وقال يهجو قاضيين أعورين:

رأيت من العجائب قاضِيين ... هما أُحدوثةٌ في الخافقين
هما اقتسَما العمى نصفين عمدًا ... كما اقتَسما قضاء الجانبين
هما فأل الزَّمان بهُلك يحيى ... إذا افتضَح القضاءُ بأعورين
وتحسب منهما من هزَّ رأسًا ... لينظرَ في مواريثٍ وديْنِ

كأنك قد جعلتَ عليـــه دنًّـــا   فتحت بزُاله مـــن قـــرد عَـــيْن

ويظهـر أن سـخفه في سـلوكه وقولـه لم يقتصـر علـى شعره فقط، بل امتد إلى المنهج والموقف، فقد صرح غير مرة في شعره ببغضه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وامتدح ذلك إلى هجاء العلويين بأشعار قبيحة، لم تذكرها المراجع غير أنها أشارت إلى قبحها وسخفها وركاكتها، فزج يومًا إلى الكوفة ليرمي مع الرماة من أهلها في الأشجار، فتذاكر معهم قوله في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسمعه أحد الكوفيين فقتله وأحرقه، وبذلك طويت صفحته إلى الأبد . (٩٨).

بديهة وموت
أبو هَفّان المَهْزمي (١٧٥-٢٥٧هـ)

هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي، ويكنى أبا هَفَان، روايَّة حافظ، عالم بالشعر والأدب، من شعراء البصرة، سكن بغداد، وأخذ عن الأصمعي وغيره، وكان متهتكًا فقيرًا مقترًا ضيق الحال شرابًا للنبيذ.

يعدُّ من شعراء الدولة العباسية، عاش في زمن الواثق، وكان سريع البديهة، فاحش الهجاء، تميز بحدَّة طبعه، وجرأته وسرعة تحوله إلى شتم أعراض الناس، وسبِّهم، وله بعض الأشعار الجميلة.

مدح مروان بن أبي الجنوب أحمد بن أبي دواد بقوله:

لقد حازت نزار كل مجد ... ومكرمة على رغم الأعادي
فقل للفاخرين على نزار ... ومنهم خندف وبنو إياد
رسول الله والخلفاء منا ... ومنا أحمد بن أبي دواد
وليس كمثلهم في غير قومي ... بموجود إلى يوم التنادي
نبي مرسل وولاة عهد ... ومهدي إلى الخيرات هادي

ولما سمع هذا الشعرأبو هفان المهزمي قال:

فقل للفاخرين على نزار ... وهم في الأرض سادات العباد
رسول الله والخلفاء منا ... ونبرأ من دَعِي بني إياد
وما منا إياد إن أقرت ... بدعوة أحمد بن أبي دواد

فقال ابن أبي دواد: " مابلغ مني أحد مابلغ مني هذا الغلام المهزمي، لولا أني أكره أن أُنبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب أحد بمثله، جاء إلى منقبة كانت لي فنقضها عروة عروة".

وقال يهجو عليَّ بن الجهم حين حجبه عنه:

أعليَّ دونك يا عليَّ حجاب ؟ ... يُدني البعيد وتحجب الأصحابُ
هذا بإذنك أم برأيك أم رأي ... هذا عليك العبدُ والبوابُ
إنَّ الشَّريفَ إذا أمور عَبِيده ... غلبت عليه فأمره مرتاب

ويقول في الفضل بن مروان:

عَيَّره الكونُ والفسادُ ... ولاح في وجهه السَّوادُ
كأنه دمَّة أمحَّت ... فكلٌّ آثارها رمادُ

وقال يهجو بني باهلة:

أباهل ينجي كلبكم ... وأسدُكم ككلاب العربِ
ولو قيل للكلبِ يا باهلي ... عوى الكلب من لؤم هذا النسبِ

ومر أبو هفان في بعض طرق بغداد فرأى جماعة على فرس، فانشأ يقول:

أيارب قد ركب الارذلون ورجلي من رحلتي داميه
فإن كنت حاملنا مثلهم وإلا فأرجل بني الزانيه

كانت نهايته على يد أحد مهجويه بعد أن ضاق ذرعًا به وبقصائده التي أرسلها تباعًا، وقيل: إنه مات ولم يقتل .(٩٩)

مزاحٌ قبل الأفول
أبو الينبغي (.... - ....)

هو أبو الينبغي العباس بن طرخان شاعر عباسي محسن، سريع البديهة، فاحش الهجاء، ومن طباعه أنه سريع إلى شتم أعراض الناس وهجوهم، ذو مزاح وهجو ومدح للخلفاء والقواد.

كانت له أخبار مع الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم، ومدحهم ومدح الوزراء والأكابر، وهجاهم على سبيل اللعب والتطايب، وأكثر أشعاره غير موزونة. قيل له: " لم اكتنيت بأبي الينبغي ؟، " قال: "لأني أقول ما لا ينبغي"؛ وكان قد عُمِّر، وتوفي في حبس المعتصم لأنه هجاه. وكان يقول: "خدمت المنصور ولي ثلاث عشرة سنة"، وعاش إلى دولة المعتصم.

قال القاسم بن المعتمر الزهري: " كنت أسير مع يحيى بن خالد وهو بين ابنيه الفضل وجعفر، فإذا أبو الينبغي واقف على الطريق، فنادى: " يا زهري يا زهري"، قال: " فاستشرفت إليه فقال:

صحبت البرامك عشرًا ولاء وبيتي كراء وخبزي شراء"

فسمعه يحيى، فالتفت إلى الفضل وجعفر، فقال: " أفٍ لهذا الفعل، أبو الينبغي يحاسب ؟!"، فلما كان من الغد جاءني أبو

الينبغي فقلت:" ويحك ما هذا الذي عرضت له نفسك بالأمس ؟"، فقال:" اسكت، ما هو والله إلا أن صرت إلى البيت حتى جاءني من الفضل بدرة (جرة) ومن جعفر بدرة، ووهبني كل واحد منهما دارًا، وأجرى إلي من مطبخه ما يكفيني".

وقال محمد بن عمران:" مضيت أنا والوليد وابن الدرقي الشاعر (وهو مولى عبد الله بن مالك بن يزيد) إلى باب الطاق يومًا من الأيام، فتلقانا أبو الينبغي الشاعر، فمن قبل أن نصل إليه، قال لي ابن الدورقي:" هل لك في أن نسخر من أبي الينبغي ساعة ؟"، فقلت:" لا تفعل، فإنه سريع الفحش، جيد البديهة خبيث اللسان"، فقال:" وما عسى أن يقول ما هجاؤه بشيء. ولكن إذا دنونا منه فقل هذين الحرفين:

عجوز أبي الينبغي عجوز سوء بَغِيٌّ"

فلما قربنا منه قلت ذلك. فنظر إلى ابن الدورقي نظر مغضب - وقد علم أن ذلك من فعله والبيت من قوله - فقال على بديهته من غير أن يتفكر:

و(...) أبي الينبغي من أمك في (...)

وأشار بيده إلى ابن الدورقي. قال:" فنظرت إليه وقد أصفر لونه". فقلت:" ألم أنهك أن تفعل ؟"، قال:" فأين الشقاء؟".

وله بعض الأشعار المستملحة التي انتشرت بين الناس وتداولوها في مجالسهم من ذلك قوله:

صبراً على الذل والصغار يا خالق الليل والنهار
كم من حمار على جواد ومن جواد بلا حمار

وطار له البيت الثاني في الآفاق ولهج الناس به. فهو ينشد في كل مجلس ومحفل وسوق وطريق؛ لأنه كان جيد المعنى، عذب اللفظ، خفيفًا على اللسان.

ومما يستملح له هجوه لرجاء بن الضحاك على سخف لفظه - وإنما تعمد ذلك ليسبق إليه العامة والصبيان فيروونه - وفيه يقول:

ورجاء الجرجرائي لو درى ما حسن رائي
لخباني في (...) أمه وقعد فيمن ورائي

وقوله في آل برمك:

إنما الدنيا كبيض عملوه نيمرش
فحشاه البرمكيو ن وقال الناس كشن

ومما سار له في الدنيا ورواه كل أحد لخفته على الأفواه قوله:

ألا يا ملك الناس وخير الناس للناس
أتنهاني عن الناس فأغنيني عن الناس
وإلا فاترك الناس ودعني أسأل الناس
فهل سمعت في الناس بشعر كله الناس

وقال القاسم :"كان أبو الينبغي يحمّق، وكان أحد الدواهي والمجّان، وكان يتكسّب بالحمق، فلما قتل محمد

بن زبيدة وصار الأمر إلى المأمون ذكر له أبو الينبغي فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس، فقال له بعض الجلساء:" قم فأنشد أمير المؤمنين"، فقال:" يا رقيع، أمير المؤمنين يقول لي: اجلس وأنت تقول لي قم". فقال المأمون:" بل اجلس وأنشد"، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، وأنشأ يقول:

كنتم أنتم ثلاثة ... كلّكم نسل الملوك
ذهب الموت بواحد ... ما أرى ذاك يسوك

فقال المأمون:" اغرب قبحك الله"، وأمر به فأخرج، ثم قال:" لا والله ما ينبغي أن نخيّبه فقد قال على جنونه شبيهًا بالحق، ولا والله أعطوه عشرة آلاف"، فقبضها وانصرف. وهو يقول:" شبيه بالحق، لا والله إلا الحق كلّه".

أما نهايته فكانت على يد الفضل بن مروان أحد المقربين من الخليفة، فإنه لما هجا أبو الينبغي الفضل بن مروان غضب عليه فحرَّض عليه الخليفة الواثق مدعيًا أنه هجاه، فأمر الواثق بحبسه دون التثبت من صحة القصيدة فبقي في السجن حتى مات، وكان يجري عليه في السجن أجرًا تامًّا حسنًا.

وقال أبو هفان:" دخلت على أبي الينبغي وهو محبوس فقلت له: ما كانت قصتك؟، قال: "أنا أبو الينبغي، قلت ما لا ينبغي، فحبست حيث ينبغي". ومنها قوله:

لزمت دهليزكم جمعة ... ولم أكن آوي الدهاليزا
خبزي من السوق ومدحي لكم ... تلك لعمري قسمة ضيزى(١٠٠).

عادة كتبت خاتمة
ابن الرومي (٢٢١هـ - ٢٨٣هـ)

هو أبو الحسن، علي بن العباس بن جريج، من أصل رومي، ولذا غلب عليه ابن الرومي، شاعر كبير مجيد، من شعراء العصر العباسي، من طبقة بشار بن برد والمتنبي، ولد في بغداد وتوفي أبوه وهو صغير فكفلته أمه.

اتجه في مقتبل عمره إلى قراءة الأشعار وروايتها، ووُصف أنه صاحب اطلاع واسع على ثقافات عصره، إذ كان ولوعًا بالقراءة والتعليم، والبحث في كل جديد، وما لبث أن جرى الشعر على لسانه، فمدح كبار الدولة ووزرائها ونال عطاءهم.

قاله عنه ابن خلكان: "الشاعر المشهور، صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره، ولا يبقى فيه بقيَّة".

أكثر شعره في الوصف، وأبدع في غيره، وكان هجاءً لا يكاد يسلم أحد من هجوه، إذ كان مضطرب المزاج يتطير من مشاهد القبح، وربما لزم بيته أيامًا لا يبارحه لئلا تقع عينه على جار له أحدب.

ابتسمت له الحياة قليلا ثم عبست كثيرًا بعد فقده أمه، وأخيه وزوجته وأولاده، وقد يكون لذلك الأثر الكبير في تكوينه النفسي الصعب، والمزاجي المتقلب في التشاؤم

والتطير، تميز في فن الهجاء لتوافر مؤهلات ذلك عنده، ولسعة خياله، وقرب تصويره، وإجادته في تركيب الصور الهجائية اللاذعة، والأسلوب التهكمي البليغ، مع قدرة فائقة على إبراز العيوب والنقائص في أسلوب ساخر.

قيل عنه إنه: "أتى بأشنع من كل ما أتى به شعراء الهجاء، بحيث لا يدانيه لا الحطيئة، ولا جرير، ولا الفرزدق، ولا غيرهم"، وهجاؤه يتصف بصفتين فقد يكون قاتمًا يحوي الإقذاع المبالغ فيه، والسبٍّ الفاضح، وهتك الأعراض المفتعل، وقد يكون زاهيًا يتصف بالسخرية والإضحاك، وقد بالغ في ذلك عنده إلى حد تعسفه في الأفكار، وتكلفه في الألفاظ، ورسم الصور الساخرة، وقد يكون ذلك بسبب أن الهجاء الساخر من أشد أنواع الهجاء إيلامًا، ومن يقرأ قصائده الهجائية يدرك طبيعة نرجسيته الحادة، ومزاجه العصبي، ونفسيته المتوترة، وقلة صبره، وتسرع تفكيره، فقد كثر مهجووه، وازدادت خصوماته، ولم يسلم أحدٌ من لسانه الحاد، وهجائه اللاذع، فقد تجده يمدح الخليفة أو الوزير ثم ما يلبث أن يهجوه ويحط من قدره ويقلل من شأنه، وهذا عنده واضح وكثير نظرًا للتقلبات السياسية الكثيرة، والتصارع بين التيارات الحاكمة آنذاك.

ويبدو أن علاقته مع أسرة آل وهب هي التي كوَّنت تفاصيل نهايته فهذه الأسرة كان لها أثر في الحياة السياسية،

وعلاقة ابن الرومي بها علاقة قديمة، وحين برز نجمهم مدحهم ابن الرومي بقصائد كثيرة وخص منهم عبيد الله بن سليمان بن وهب بعد استلامه الوزارة، وكان كاتبًا لأمور الدولة، ومديرًا لشؤونها، كما مدح أخاه وهبًا، وابنيه الحسن والقاسم، وكان القاسم يعطف على ابن الرومي، ويقربه، بل منحه راتبًا ليدبر أمور معيشته.

وحين كثرت شكوى ابن الرومي، وتبرمه من الحياة ضاق القاسم وأبوه بكثرة شكايته، وسؤاله المتكرر في العطاء، وإلحاحه الممل في النوال، وحاولا إبعاده، فعتب عليهما ابن الرومي في قصائد كثيرة، غير أنهما لم يأبها به، وازداد الأمر سوءًا حين منعا عنه العطايا، فأخذ يستعطفهما، فلم يستجيبا له، فتوجه إلى الهجاء الزعاف المرير لهم، يقول:

تركنا لكُم دنياكُمُ وتخاضعتْ	بنا هِمَمٌ قد كُنَّ فوق الفراقِدِ
لئن نلتُمُ منها حُظوظًا لقد غَدتْ	نفوسُكُمُ مذمومةً في المشاهدِ
كسوتُم جُنوبًا منكُم لبسةَ القِلى	وعريتُمُوها من لِباس المحامدِ
فإن فخرتْ بالجُود ألسُنُ معشرٍ	عضَضْتُمْ على صُغْرٍ بِصُمّ الجلامدِ
تسميتم فينا ملوكًا وأنتم	عبيدٌ لما تحوي بطون المزاود
ومكّنتمُ أذقانَكُمْ من نُحورِكُمْ	كأنكُمُ أولادُ يحيى بن خالدِ
فلو أن أعناقًا تُمَدُّ لخيرِكُمْ	لقَلّدتموها خاملاتِ القلائدِ
متى آل وهب يَرتجي الرِّيَّ حائمٌ	إذا كنتُم مُلاكَ سُبْلِ المواردِ
لقد ذُدْتُمونا من مشارب جَمّةٍ	وغرَّقتمُ في غمرها كلَّ جاحدِ

وأحييتُم ديـن الصَّـليبِ وقمْـتُمُ بتشييد أعمارٍ وهـدمِ مساجدِ
وإبطال ما كـان الخليفـة جعفـرٌ تخيَّـرهُ زِيّـا لكـلِّ مُعانـدِ
ومَلَّكـتُمُ لَيثًـا كُنـوزًا مصـونةً ببذلٍ لأعراضٍ ومنـعِ مواعـدِ
فكلُّ الذي أظهرتُمُ مـن فعـالكُمْ دليلٌ على تصديق خُبث الموالـدِ
لكم نعمة أضحت بضيق صدوركم مبرأة من كـل مُـثنٍ وحامـد
كسبتُمْ يسارًا واكتسبتم بـبخللكمْ شَنارًا عليكم باقيًـا غـير بائـدِ
فإن هي زالـت عـنكم فزوالهـا يجدد أنعامًا علـى كـل ماجـد
ولو أن وهبًا كان أعـدى أكفكُـم على البخل من جُود (...) بالأوابدِ
لظلَّت على العافين أسمـحَ بالنـدى من الهاطلات البارقات الرواعـد
وعـلٌ سمـيَّ المبتلـى في جبينـه سيأخذ بالثارات من كل فاسـدِ

أما سبب مقتله فقد جاء فيه أنه كان يغشى مجلس القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد العباسي، وكان الوزير يخاف من هجوه، وفلتات لسانه بالفحش، فأوعز إلى متولي طعامه أن يقتله بالسُّم، فأطعمه في مجلس الوزير طعامًا مسمومًا، فلما أكله أحس بالسُّم فقام ليذهب، فقال له الوزير: "إلى أين تذهب؟"، فأجابه إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال له الوزير: "سلمٌ على والدي"، فأجابه ابن الرومي: "ما طريقي إلى النار" فمات.

وقيل: إن الفضل بن مروان وزير المعتصم العباسي دعا أناسًا إلى وليمة صنعها، ولم يدعُ ابن الرومي، فافتكره في آخرها، فأرسل خلفه، فلما حضرها، وَضع له طبقًا فيه بيض

مصبوغ بسبعة ألوان، فمدَّ ابن الرومي يده، وأكل بيضة حمراء وقال:

وزيرنا أكرم من حاتم أكلت في دعوته بيضة
قد أدخلتها أمه (... ....) وضمختها بدم (.... ....)

فلما سمع الخليفة المعتصم البيتين ضحك، ثم نادى ابن الرومي، وقال له:" اهجني"، فقال:" الله الله من ذلك يا أمير المؤمنين، كيف أهجو من مدحه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟"، فقال له المعتصم:" هذا على سبيل المداعبة، لئلا يغتاظ منك الوزير"، فألح عليه المعتصم، فهجاه فضحك المعتصم، وأسرها في نفسه، وقال:" متى ما خرج من عندي أشهر الهجو عني".

فلما حضرت المائدة وضع له السُّم في الأكل، فلما تناول ابن الرومي طعامه قام مستعجلاً، وهو ممسك ببطنه، فقال له المعتصم:" إلى أين؟"، فقال ابن الرومي: "إلى مكان بعثتني"، فقال:" إلى أي مكان بعثتك؟"، فقال:" إلى القبر"، فقال له المعتصم:" سلم على أبي هارون"، فقال:"مالي على جهنم طريق"، فقال: "وهل أبي في جهنم؟"، قال نعم: "من تكون أنت ولده فما يكون مأواه إلا جهنم". وهكذا اغتيل ابن الرومي بالسُّم في نهاية مكشوفة مأساوية بسبب قصائد هجائية لا داعي لها لو فكر بعقله قبل قلبه . (١٠١).

فلسفة الموت
الحلاَّج (٢٤٤ - ٣٠٩هـ)

اسمه الحسين بن منصور الحلاَّج، فيلسوف إسلامي، عدَّه بعضهم في كبار المتعبدين والزُّهاد، وعدَّه آخرون في زمرة الزنادقة والملحدين، وهو من بلدة البيضاء من بلاد فارس، ونشأ بواسط في العراق، وتلمذ ليد أبي القاسم الجنيد أحد أئمة المتصوفة، الذين نشروا فكرة الفناء المطلق في الذات الإلهية، التي تنفي عن المتصوف صفاته ورغباته إلا رغبة الإنمحاء في الذات الربانية التي تملك عليه كل شيء من أمره، وقد لازمه وأخذ عنه تجاوزاته وعباداته الموهمة.

سافر إلى مكة للحج، وأقام فيها سنة كاملة، ثم سافر إلى بلدان عديدة حتى وصل إلى الهند، ورأى شيوع السحر والشعوذة فيها، وتعرف على الطبيب المشهور أبي بكر الرازي، وبعد عودته من الهند التحق بالقرامطة وتعرف على آرائهم وعقيدتهم، ثم عاد إلى مكة وحجَّ مرة أخرى.

انتقل بعدها إلى بغداد وبدأ ينشر أفكاره، ويبشر بآرائه في التقوى والزهد، ويؤكد أن الزاهد متى ما تحمل المشاق والآلام، وجَالد وجاهد نفسه سيصل إلى الصفاء الكامل، وإذا صابر على الأفعال المضنية ونجح فيها، آملاً تمثل حقيقة الصورة الإلهية التي خلقها الله - سبحانه وتعالى - فيه فإنه يمتزج بالحق امتزاجًا تامًّا، ليصبح هو والحقُّ في منزل

واحدة، ومن هذا المبدأ ردَّد عباراته الشهيرة: "أنا الحق" و" أنا الله" و" ما في الجبَّة غير الله" التي دفعت الكثيرين إلى تكفيره، وقد اتهمه أهل المعتزلة بالزندقة، وحرض الفقهاء في عصره الدولة عليه حتى سجن ثماني سنوات.

وقد قُتل لأفكار نادى بها شعرًا ونثرًا؛ لغرابتها وشذوذها على مفكري عصره. ومن ذلك الأبيات التي يعرض فيها نظريته في الخالق – سبحانه وتعالى – وخلقه، إذ يعتقد أن الله - تعالى - يتجلى في خلقه، وهذا الاعتقاد بسبب إيمانه باتحاد الناسوت (وهو الروح الإنساني) في اللاهوت (وهو الروح الإلهي) وبذلك يمكن أن يظهر الله - تعالى- بصورته في مخلوقاته ومنها الإنسان، ويظهر أن هذا هو سبب ما ذكر عنه أنه كان يردد عبارته الشهيرة: "ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه" وقد نشر هذه النظرية بقوله:

سبحان من أظهر ناسوته ... سرَّ سنا لا هوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهرًا ... في صورة الآكل والشَّارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

وقال يصف إشعاع النور الإلهي في جميع أجزاء جسده وكيانه:

أنتَ بين الشغاف والقلب تجري ... مثل جري الدموع في الأجفانِ
وتحل الضمير جوف فؤادي ... كحلول الأرواح في الأبدانِ
ليس من ساكنٍ تحركَ إلّا ... أنتَ حركتَهُ خفيَّ المكانِ

يا هلالاً بدا لأربع عشرٍ فثمانٍ وأربعٌ واثنتانِ

ويصور قوة الاندماج والاتحاد لروحي اللاهوت والناسوت في بدنٍ واحد، فيقول:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
نحنُ مُذكُنا على عهدِ الهوى تُضربُ الأمثالُ للناسِ بنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا
أيها السائلُ عن قصتنا لو ترانا لم تُفرِّق بيننا
روحهُ روحي وروحي روحُهُ من رأى روحينِ حلت بدنا

ومن العسير جدًّا فهم أشعاره التي يعبر فيها عن أفكاره الفلسفية الصعبة، والمعقدة والغامضة، قبل أن يدقق فيها، ويستجلي معانيها ودلالاتها ومطابقة ألفاظها لمعانيها، ولذلك كثرت التهم والأقاويل ضد الحلاج فمنهم من أنكر عليه تصرفاته وأفكاره، ومنهم من اتهمه بالزندقة والخروج على الدين، ومنهم من صدَّقه وآمن بأفكاره، وهم كثيرون افتتنوا به.

واتهمه بعضهم بممارسة بعض التصرفات والأعمال السحرية المعدودة ضمن أفعال الدَّجل والشعوذة للاستعانة بها في ترويج أفكاره وذيوعها، مما أوجد خلافًا وانقسامًا بين العلماء وكانوا من تعاظم أمره، فسعوا بأمره إلى الخلفاء، فتمت محاكمته من قبل وزير المقتدر حامد بن العباس.

وقد خاطب الحلاج القضاة حين عرف أن القاضي أبي عمر قد أفتى بحل دمه، وكتب الفتوى بخط يده، وصار يجمع موافقات القضاة، فقال: "ظهري حِمى، ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتألوا عليَّ بما يبيحه الأئمة، وأنا اعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين، فالله الله في دمي"، ولم يزل يردد هذا القول، وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه، ونهضوا من المجلس، وحمل الحلاج إلى السجن.

ويروى أن شهادة بعض الشهود أدت دورًا مسيئًا ضده في محاكمته، وذكر أن بعض الشهود الآخرين من أصحاب الحلاج تعرضوا إلى التهديد من الوزير، فشهدوا أن الحلاج ادَّعى الربوبية، فردَّ عليهم الحلاج، وكذَّبهم وقال: "أعوذ بالله أن ادعي الربوبية، أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبُد الله، وأكثر له الصوم والصلاة، وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك"، وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد، ويكثر من قول: "سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءًا، وظلمت نفسي فاغفر لي، أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

وقيل:" قيل له: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية، فقال: ما أدعي الربوبية، ولكن هذا عين الجمع،

هل الفاعل إلا الله، وأنا واليد آلة".

وبعد رفع القضاة الفتوى إلى الوزير حامد رفعها إلى الخليفة المقتدر، وتأخر جواب المقتدر أيام ثلاثة مما أزعج الوزير حامدًا، فكتب إلى الخليفة المقتدر يستعجله – ضمنًا – بالموافقة على القرار، ويحرضه على الحلاج، وعن خطورة أفكاره، وشدة آرائه، وحين جاء جواب الخليفة بتنفيذ الحكم ففرح الوزير بذلك وسلّم الحلاج إلى صاحب الشرطة لينفذ فيه الحكم.

ويظهر من ذلك أن قرار إعدامه قد يكون سياسيًّا أكثر من أنه ديني، فالروح الكيدية والتحريضية من الوزير للإضرار بالحلاج أدت إلى مقتله، وقد يكون ذلك بسبب الحروب المستعرة بين أتباع الفرق الإسلامية المتناحرة، التي راح ضحيتها كثيرٌ من فلاسفة المسلمين ومفكريهم.

وذُكر أن الحلاج أمضى ليلة إعدامه بالصلاة والدعاء. وحين خرج إلى الجذع ليصلب مشى متبخترًا، وفي رجليه ثلاثة عشر قيدًا، وأنشد:

نديمي غير منسوبٍ ... إلى شيء من الحيفِ
سقاني مثلما يشرب ... فعلَّ الضيف بالضيفِ
فلما دارت الكأس ... دعا بالنَّطع والسَّيف
كذا من يشرب الراح ... مع التِّنين في الصف

ويروى: أنه ضُرب ألف سوطٍ، ثم قُطعت يداه، ثم قطعت

رجلاه، ثم حزَّ رأسه، وأحرقت جثته، وألقي رمادها في دجلة، ونصب رأسه على جسر بغداد يومين، ثم حُمل إلى خراسان، وطيف به هناك ليراه الناس، ونودي في بغداد ألا تُشترى كتب الحلاج ولا تُباع.

وقد ذكر في كتب التاريخ: أن له بداية جيدة، ولكنه تآله، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، فقتل. وقيل:" إنه تعلم السحر، فصار إلى الأمير معز الدولة، وهو بالأهواز، فقال:"أنا أردُّ يدك المقطوعة حتى لا تنكر منها شيئًا، وأرد على كاتبك الأعور عينه الذاهبة حتى يبصر بها، ثم أمشي على الماء وأنت تراني"، قال:" قد فعلت"، فأمر بقطع يده فقطعت، ثم قال له: "اردد الآن يدك حتى تعلم أنك تصدق"، ثم أمر بعينه فقلعت، ثم قال:" اردد عينك"، ثم أمر بحمله إلى الماء، وقال له: "امش الآن على الماء حتى ننظر"، فلم يفعل شيئًا، فمات غرقًا". وقيل:" إنه جُلد ألف سوط، ثم قتل، وأحرقت جثته".

ومهما يكن الرأي في أفكار الحلاج وآرائه فقد أعدم بسبب قصائد قالها في التعبير عمَّا يعتقده من أفكار فلسفية أثارت حفيظة معاصريه فكان ما كان . (١٠٢).

سُقوطُ القِمَّة
المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤ هـ)

من الشعراء الذين جنى عليهم شعرهم، وقاد مصيرهم إلى الهلاك، شاعرٌ لا أظن أننا بحاجة إلى التعريف به، فقد ملأ الدنيا، وشغل الناس، شاعرٌ حكِيم، وأديب مصقع، له قَصْب السبق في القصائد العصماء، والحِكم البالغة، والمعاني المخترعة، والأمثال السائرة.

دائم الحضور في أذهان الناس، وقصائده تدور على ألسنة الخاصة والعامة، ومع هذا العلو، وهذه الشاعرية فقد كانت نهايته بسبب لسانه حين لم يلجمه، وشعره حين لم يحفظه، شاعر العرب العظيم أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكوفي، ولد في الكوفة سنة ٣٠٣هـ، ونشأ فيها، وتعلم وتأدب، وكانت محلّة ولادته تسمى كندة، وإليها نُسِب.

تنقل في البادية يطلب الأدب، وعلم العربية، وأيام الناس، نظم الشعر وهو صبي، وعُدَّ من أشهر أهل العربية، وأجملهم نظمًا، قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله:"شاعر الزمان"، وقال: "بلغ الذروة في النظم، وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق". وقال عنه الحافظ بن حجر رحمه الله:"نظم الشعر حتى بلغ الغاية، إلى أن فاق أهل عصره". وقال ضياء الدين بن الأثير رحمه الله:"سافرت إلى مصر، ورأيت الناس يشتغلون بشعر

المتنبي، فسألت القاضي الفاضل، فقال: إنَّ أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس".

كان المتنبي يختلف إلى الملوك والأمراء، فيمدحهم، وينال صِلاتهم، ومن أشهر ممدوحيه سيف الدولة الحمداني، فقد أقام في بلاطه مدة من الزمن، وقال في مدحه القصائد الغرّ، وبعد أن ملَّ المكوث، وضاق به المقام بسبب فِعل الوشاة والحاسدين الذين أوغروا صدر سيف الدولة عليه، اضطر إلى مفارقته، والرحيل إلى مصر، ومدح واليها كافورًا الإخشيدي، فرحل عنه بعد أن سلقه بلسان حادٍّ، وقصائد لاذعة، وفي طريق عودته كانت نهايته.

عاش المتنبي بعض الوقائع والأحداث قبل مقتله بفترة من الزمن، وهذه الأحداث كوَّنت المقدمات التي سبقت أو قادت إلى مصرعه، وكلها كونت معالم الفاجعة التي انتهت بها حياته، فقبل سنة من مقتله كان المتنبي قد هجا شخصًا اسمه ضبة بن يزيد العتبي هجاءً لاذعًا في قصيدة تضمنت عباراتٍ موجعة من الشتم، والفُحش، والكلمات النابية، والألفاظ القبيحة به وبأمه التي وصفها بسوء الخلق والسمعة والسلوك.

على أن الهجاء لا يمثل موضوعًا أساسًا في أشعاره، وإنما بعض المقطوعات القصيرة، والنتف اليسيرة، كالتي هجا بها كافورًا الإخشيدي ملك مصر.

وقيل: إن سبب عداوة المتنبي مع ضبة العُتبي، أنه لقيه

يومًا في نزهة بالقرب من حصنه، ففر ضبة إلى مخبئه، ولم يكن لدى الطرفين سلاح، واقتصر أمر المناوشات بينهما على الشتائم، وقد أحرز ضبة تفوقًا بالألفاظ القبيحة، ولذلك أنشد المتنبي قصيدته الهجائية فيه، فجاءت آية في البذاءة، حتى إن المتنبي نفسه، أنكرها فيما بعد إذا قرئت عليه، وكان يكره ذكرها ونسبتها إليه؛ لأنه يدرك أنها ستسبب قتله، ومنها قوله:

مـا أنصـفَ القـومُ ضـبَّه	وأُمَّـهُ الطُرطُبَّـه
رمـوا بـرأسِ أبيـهِ	و(...) الأُمَّ غُلبـه
فـلا بمـن مـاتَ فخـرٌ	ولا بمـن (...) رغبَـه
وإنمـا قُلـتُ مـا قُلـ	ـتُ رحمـةً لا محبَّـه
وحيلـةً لـكَ حـتى	عُـذرتَ لـو كُنـتَ تيبَـه
ومـا عليـكَ مـن القتـ	ـلِ إنمـا هـي ضـربه
ومـا عليـكَ مـن الغـد	رِ إنمـا هُـوَ سُـبَّه
ومـا عليـكَ مـن العـا	رِ إنَّ أُمَّـكَ (...)
ومـا يشـقُّ علـى الكلـ	ـبِ أن يكـونَ ابـن كلبَـه
مـا ضـرَّها مـن أتاهـا	وإنمـا ضـرَّ صُـلبَه
ولم (...) ولكـن	عِجانُهـا (... ...)
يلـومُ ضـبَّةَ قـومٌ	ولايلومـونَ قلبـه
وقلبُـهُ يتشَـهى	ويَلـزِمُ الجسـمَ ذَنبـه
لـو أبصـرَ الجِـذعَ شـيئًا	أحـبَّ في الجِـذعِ صـلبَه

يـــا أطيـــبَ النـــاسِ نفسًـــا ... وألـــينَ النـــاسِ رُكبَـــه
وأخبـــثَ النـــاسِ أصـــلاً ... في أخبـــثِ الأرضِ تُربَـــه
وأرخـــصَ النـــاسِ أُمًّـــا ... تَبيـــعُ أَلفًـــا بِحَبَّـــه
كُـــلُّ الفُعـــولِ سِـــهامٌ ... لِمـــريمٍ وهـــيَ جعبَـــه
ومـــا علـــى مـــن بِـــه الـــدا ... ءُ مـــن لقـــاءِ الأطبَّـــه
ولـــيس بـــين هلـــوكٍ ... وَحُـــرَّةٍ غـــيرُ خطبَـــه
يـــا قـــاتلاً كُـــلَّ ضـــيفٍ ... غَنـــاهُ ضـــيحٌ وَعُلبـــه
وخـــوفُ كُـــلِّ رفيـــقٍ ... أباتـــكَ الليـــلُ جنبـــه
كـــذا خُلقـــتَ ومـــن ذا الـــ ... ـــذي يُغالـــبُ رَبَّـــه
ومـــن يُبـــالي بِـــذَمٍّ ... إذا تعـــوَّدَ كســـبَه
أمـــا تـــرى الخيـــلَ في النخـــ ... ـــلِ سُـــربةً بعـــدَ سُـــربه ؟
علـــى نســـائِكَ تجلـــو ... فعولهـــا مُنـــذُ ســـنبه
وَهُـــنَّ حولَـــكَ ينظُـــر ... نَ والأُحـــيراحُ رطبـــه
وَكُـــلُّ غُرمـــولِ بَغـــلٍ ... يَـــرَينَ يَحسُـــدنَ قُنبـــه
فســـلْ فُـــؤادَكَ يـــا ضَبـــ ... ـــبَ أيـــنَ خلَّـــفَ عُجبـــه ؟
وإن يَخُنـــكَ لَعَمـــري ... لطالمـــا خـــانَ صـــحبَه
وكيـــفَ ترغَـــبُ فيـــهِ ... وقـــد تبيَّنـــتَ رُعبَـــه ؟
مـــا كُنـــتَ إلا ذُبابًـــا ... نَفتـــكَ عنّـــا مِذَبَّـــه
وكُنـــت تفخـــرُ تيهًـــا ... فَصِـــرتَ تَضـــرِطُ رَهبـــه
وإن بَعُـــدنا قلـــيلاً ... حملـــتَ رُمحًـــا وحربـــه
وقُلـــتَ ليـــتَ بِكَفـــي ... عِنـــانَ جـــرداءَ شـــطبَه

إن أوحَشَتكَ المعالي فإنَّها دارُ غُربه
أو آنستكَ المخازي فإنَّها لكَ نسبه
وإن عرفتَ مُرادي تَكَشَّفَت عَنكِ كُربه
وإن جهلتَ مُرادي فإنَّهُ بِكَ أشبَه

إلى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة، والكلمات النابية والعبارات الجارحة التي يقف الحياء العام حصنًا منيعًا دون ذكرها.

يقول ابن العديم:"ما للمتنبي شعرٌ أسخف من هذا الشعر، ولا أوهى كلامًا، فكان على سخافته وركاكته سبب قتله، وقتل ابنه، وذهاب ماله".

لقد وصف المتنبي ضبَّة بمجموعة من الأوصاف المخزية، والمثالب المخجلة، ونسب إليه كل شنيع من الأفعال، مما أثار أهل ضبه وأقاربه للانتقام، فقد تعرض المتنبي لحادثة قتل أبي ضبَّة، وفراره من أرض المعركة، مستخفًا به حين يخبر به أن الموت ضربة، ويموت القتيل، أما الغدر فيتناقله الناس، ويسبونه به، وهذا دليل خسَّته وعدم اهتمامه بسيرته، ثم يصفه بالبخل الشديد لدرجة قتل الضيف الذي يغنيه قليل من اللبن المخلوط بالماء، ويصفه بالغدر حتى إن أصحابه يخافونه على أنفسهم، فلا ينامون إلى جواره.

ويقرر المتنبي بعدها أن هذه صفات موروثة، وأن الذي يعتاد الذم لا يهتم به، إذا كان لا يستطيع تغيير سيرته في الناس، قائلاً له: سل قلبك لمَّا ترك الكبر والغرور، وادعى

الشجاعة حين ترك الأعداء يقتلون أباه، فقد خان هذا القلب صاحبه مرارًا.

ويتساءل في استنكار كيف ترغب في هذا القلب، وقد عرفت مدى خوفه من المواقف والشدائد، وضبَّة على جبنه لا يعدو كونه ذبابة نفته عن الرجال المذبة التي تجتمع فيها، فإذا أمن من الأعداء حمل الرمح والحربة وادَّعى الشجاعة، وتمنى أن يكون بكفه عنان فرس عظيم قوي سريع، ويقول له في الختام: لا تشتق إلى المعالي فإنها لمثلك غريبة، كأرض لم تطأها قدماك من قبل، وإذا أنستك الأفعال الدنيئة فلا عجب فهي ما تنسب إلا لك ولأمثالك.

وحينما سمع خال ضبَّه فاتك الأسدي القصيدة غَضِب وأضمر السوء، وعزم على قتل المتنبي، وبعد أن رحل المتنبي من عضد الدولة متوجهًا إلى العراق لم يكن يعلم أن رحيله هذا سيكون الرحيل الأبدي الذي لا رجعة فيه، ففي طريق عودته مَرَّ بالأهواز، فنزل ضيفًا على واليها أبي الحسن السوسي، ثم مرَّ بواسط، وبقي فيها بضعة أيام في ضيافة أبي النصر الجبيلي الذي أبلغه بضرورة الاحتراز، وأخبره بأخطار الطريق التي سيتعرض لها، فعيون أعدائه ترمقه، وفاتك الأسدي يجوس الديار، ومعه عشرون فارسًا كلهم عازمون على الانتقام لشرف ذويه.

واقترح أبو النصر الجبيلي أن يرافق المتنبي جماعة من

الحراس يسهرون على راحته، ولكنه رفض الاقتراح بشدة، ذاكرًا أنه لا يرضى أن يتحدث عنه الناس بأنَّه سار في خفارة أحد غير سيفه، فحذره أبو النصر كثيرًا، فما كان منه إلا أن أجاب: "أبنجو الطير تخوفني، ومن عبيد العصا تخاف عليَّ ؟! والله لو أن مخصرتي هذه مُلقاة على شاطئ الفرات، وبنو أسد معطشون لخمس، وقد نظروا الماء كبطون الحيَّات، ما جسر لهم خفٌّ، ولا ظلف أن يرده، معاذ الله أن أُشغل فكري بهم لحظة عين". فقال له أبو النصر: "قل إن شاء الله تعالى". فقال:" هي كلمة مقولة، لا ترفع مقضيًّا، ولا تستجلب آتيًا".

وكان ركب المتنبي المتجه نحو بغداد مكونًا منه، وابنه محمد، وعلي البصري، وبعض غلمانه وأصحابه، مع عدد من الخيول الجيدة المنتخبة ذات الكساء الفاخر، التي تحمل الأثقال والهدايا.

وحين وصل الركب إلى أعالي بلدة الصافية على الضفة الشرقية من نهر دجلة برز جماعة من الفرسان يقودهم فاتك الأسدي، وبدأت المعركة المأساة، وقاوم المتنبي ورجاله في أول الأمر، ولكن رجال فاتك كانوا أكثر، فسقط رجال المتنبي واحد تلو الآخر، ولما يئس الشاعر من المقاومة حاول السلامة بالهرب، فقال له ابنه: يا أبه: وأين قولك:

الخيـلُ واللّيـلُ والبَيْـداءُ تعرفني ... والسَّيف والرُّمح والقرطاس والقلم

فقال له:"قتلتني يا ابن اللخناء"، ثم قاتل حتى قُتل، فقيل: "إن

هذا البيت هو الذي قتله".

وبعد انتهاء تلك المجزرة انتشر الخبر، وتناقل الناس ما تعرض له الموكب، وشاع خبر مقتل الشاعر العظيم فأرسل أبو نصر الجبيلي من يتتبع أنباء الموكب، فلما رأوه صريعًا تولوا دفنه، ودفن ابنه وبعض غلمانه، وهكذا كانت نهاية الرجل الأسطورة الذي ملأ شعره الأفاق، وذكره الأسماع، ونفسه الطموح كل العصور، فقد خسر الشعر العربي بمصرعه أعظم قائليه، بسبب كلمات لم يحاسب نفسه عليها، ولم يراقب ربه فيها، فكان بئس المصير، وفظاعة المآل.

وقيل:"إنه وفد على عضد الدولة فأكرمه، ووصله، وكساه، وأهداه، ثم دسَّ عليه من سأله، أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال المتنبي: هذا أجزل، إلا أنه عطاء متكلف، فسيف الدولة يعطي طبعًا، وعضد الدولة يعطي طمعًا، فاغتاظ عضد لما نقل إليه هذا، وأذن لقوم من بني ضبة في قتله إذا انصرف"، فكانت النهاية سنة ٣٥٤ هـ .(١٠٣).

الضَّعيف
أبو حفص الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠ هـ)

هو أبو حفص عمر بن حسن الهوزني، من رجال السياسة، شاعر كبير، وأديب بارع، عالم بالحديث، أندلسي من أهل أشبيلية، كان زعيمها قبل أن يتولى محمد بن عبَّاد المعتضد الخلافة، وهو من أصدقائه، فلمَّا قوي أمر المعتضد فيها استعد لأخذ البيعة لنفسه فيها.

أحسَّ الهوزني بتغيره عليه فاستأذنه في الحج، ثم انتقل بعد عودته إلى مرسية وسكن فيها، وهو على اتصال حسن بالمعتضد. وبعد استيلاء الإفرنج على بلدة "بربشتر" كتب الهوزني إلى المعتضد قصيدة يحضه فيها على الجهاد، غير أن المعتضد ساءه ما جاء في القصيدة من أبيات فيها غمز بخلافته، ومنها قوله:

أعباد جل الرزء والقوم هجع ... على حالةٍ من مثلها يُتوقع
فلقّ كتابي من فراغك ساعة ... وإن طال فالموصوف للطول موضعُ
إذا لم أبثّ الداء ربّ دوائه ... أضعت وأهل للملام المضيع

وقوله:

أعبّاد ضاق الذرع واتسع الخرق ... ولا غرب للدنيا إذا لم يكن شرق
ودونك قولا طال وهو مقصَّر ... فللعين معنى لا يعبِّره النطق
إيك انتهت آمالنا فارم مادهى ... بعزمك يدفع هامة الباطل الحق

فاستدعاه إلى أشبيلية، فحضر فأكرمه المعتضد،

وأظهر التحويل عليه في كبار الأعمال، ومشكلات الأمور إلى أن اطمأن الهوزني إليه، فتمكن منه فقتله بيده في قصره، ودفنه داخل القصر من غير أن يُغسَّل أو يصلى عليه . (١٠٤)

القمة والموت
ابن عمَّار الأندلسي (٤٢٢ - ٤٧٩هـ)

هو أبو بكر محمد بن عمَّار بن الحسين بن عمَّار المهدي، أندلسي، من الشعراء المجيدين، لقي حضوته ومهلكه على يد المعتمد بن عبَّاد قبل ولايته ملك إشبيلية وأثنائها، اصطحبا في شلب التي وليها المعتمد، فاستزور ابن عمَّار وسلَّم إليه جميع أموره حتى غلب عليه ابن عمار غلبة شديدة؛ ولذا فرق بينهما المعتضد ونفى ابن عمار فطاف في أرجاء الأندلس مغتربًا إلى أن توفي المعتضد عام ٤٦٢هـ وخلفه المعتمد.

عاد ابن عمَّار إلى سابق عهده، ولقب بذي الوزارتين، جعله المعتمد بن عبَّاد وزيرًا له وجليسًا، ثم خلع عليه خاتم الملك، ولقبه بالإمارة واستنابه على "مرسية" وأعمالها فلما كان له ذلك أراد الاستبداد بأمرها وأعلن العصيان على الخليفة، والاستقلال عن دولته، فأرسل إليه من أخضعه لحكمه، فهرب منها وتشرد حتى وقع في يد المعتمد وهو في قرطبة فسجنه. له قصيدة في هجاء المعتمد بن عباد، وهي التي سبَّبت قتله، منها قوله:

مما يزهدني في أرض أندلس ... أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاضًا صولة الأسد

غير أن المعتمد الذي أحسن إلى ابن عمَّار وقَرَّبه وأغدق عليه النعم انقلب عليه بعد أن وصفه بالهر، فتلطف إليه وتقرَّب وتودد حتى تمكن منه فقتله.

وقيل: إنه هجا زوجة المعتمد "الرُّميكيَّة" بقصيدة منها:

ألا حـــي بـــالغرب حيًــا حــلالا ... أنـــاخوا جمـــالا وحـــازوا جمـــالا
وعـــرِّج بيـــومين أم القـــرى ... ونَـــم فعســـى أن تراهـــا خيـــالا
لتســـأل عـــن ســـاكنيها الرمـــا ... د ولم تـــر للنـــار فيهـــا اشـــتعالا
أيـــا فـــارس الخيـــل يـــا زيـــدها ... حميـــت الحمـــى وأبحـــت العيـــالا
أراك تـــوري بحـــب النســـا ... ء وقدما عهـــدك تهـــوى الرجـــالا
تخيَّرتهـــا مـــن بنـــاتٍ الهجـــان ... رُميكيَّـــة لا تســـاوي عقـــالاً
فجـــاءت بكـــل قصـــير الـــذراع ... لئـــيم التجـــارب عمًّـــا وخـــالا
بصـــفر الوجـــوه كـــأن (...) ... رماهم فجـــاؤوا حيـــارى كســـالا
قصـــار الفـــدود ولكنـــهم ... أقـــاموا عليهـــا قرونـــا طـــوالا
أتـــذكر أيامنـــا في الصـــبا ... وأنت اذا لحت كنـــت الهـــلالا ؟
أعـــانق منـــك (...) الرطيـــ ... ـــب وأرشف من فيك مـــاء زلالا
وأقنـــع منـــك بـــدون الحـــرا ... م فتقســـم جهـــدك أن لا حـــلالا
سأكشف عرضك شـــيئًا فشيـــ ... ـــئًا وأهتك سترك حـــالا فحـــالا

وحين وصلت القصيدة إلى الوزير أحمد بن عبد العزيز طار بها سرورًا، وأحدثت له في نفسه على ابن عمار مكيدة لخصومة كانت بينهما. واستطاع الوزير أن يرسل إلى "مرسية"

رجلاً من اليهود ليتصل بابن عمار وينادمه ويناشده الأشعار، فوصل إليها واتصل بابن عمار حتى اطمأن إليه، وأحله محلي الرواية لأشعاره في هجاء ابن عباد، ولما حصل اليهودي على بغيته - القصيدة السابقة- وهي بخط يده، طار بها راجعًا إلى ابن عبد العزيز، فأرسلها إلى المعتمد مع كتاب منه يحرضه عليه، فكان ذلك مما أحنقه على ابن عمار وأحفظه.

ولما أتاه به ابنه يزيد الراضي أقام بقرطبة عدة ليال يحضره في كل ليلة منها راسفًا في قيوده، فيقرره على غدره ويوبخه بفعله، ويوقفه على أشعاره المدرجة إليه مع كتاب ابن عبد العزيز. ثم انحدر به إلى إشبيلية فسجنه في بيت خامل من بيوت القصر أيامًا، ثم قتله بيده . (١٠٥).

ذو النهايتين
أبو نصر الفارقي (... - ٤٨٧ هـ)

هـو الحسـن بن أسـد بن الحسـن الفـارقي، وكنيتـه أبـو نصر، كان فصيحًا فاضلا عارفًا باللغة والأدب، أديب بـارع، وشـاعر رقيـق الحواشـي، مليح الـنظم، رقيـق اللفـظ، عـذب التركيب، متمكن من الشعر، كثير التجنيس في الشعر، لـه غزل كثير ردَّده الناس.

قيـل عنـه:" قلمَّـا يخلـو لـه بيـت مـن إحسـان، وتصـنيع، وبديع"، وقال عنه ياقوت الحموي:"كان نحويًا رأسًـا وإمامًـا في اللغـة، يُقتـدى بـه، وقـد كـان يـنظم الشـعر طبعًـا، ويتكلـف الصنعة فيه، ويلتزم ما لا يلتزم في مرويه وقوافيه".

عـاش في العهـد الفـاطمي، في أيـام السـلطان ملـك شـاه، وحظي منه بالجاه والقربى، وكان قد قبض عليه في أيام نظام الملك، وأُسيء إليـه؛ لاستيلائه على آمـد وأعمالهـا، واسـتبداده باسـتيفاء أموالهـا، فخلصـه الكامـل الطيِّـب، ثـم تحـول إلى ميافـارقين الـتي نُسـب إليهـا فيمـا بعـد، فتـأمر بهـا لخلوهـا مـن أمـين، فـاجتمع إليـه أهلـها، ودعـوه إلى الإمـرة علـيهم، وإقامـة الخطبـة للسـلطان ملـك شـاه، وإسـقاط اسـم أحمـد بـن مـروان صـاحب ديـار بكـر، فوافـق الفـارقي علـى ذلـك، وقـال في ذلـك شعرًا وهجا فيه ابن مروان تعريضًا، كقوله:

هل من سبيلٍ إلى خلٍّ أخـي ثقـة   عليم نفسٍ بما في الـود قـد تـأتي

فقد سئمت مـداجاتي بـني زمـنٍ ... ما منهم غير جافي الطَّبـع قتـاتِ

وقوله:

صـرتُ في النَّـاس أجنبيًّـا لأني ... في زمـانٍ لم ألـقَ فيـه وفيّـا

فيـه غـدرٌ وفيٍّ حُسـن وفـاءٍ ... متأمـل مـا قلـتُ فيـه وفيًّـا

مُذ عرفت الزّمان والنّـاس أصبحـ ... ـتُ وحيـدًا تُخـالني سـامريّا

قَلَّ بالفضلِ مـن يُسـامي ولكـن ... سامِ شبعًا من شئت أو سـامِ ريّـا

ولمَّـا علـم ابـن مـروان بـذلك حشـد جيشًـا لاحـتلال ميافـارقين، ولكـن الحملـة مُنيت بالفشـل، فطلـب ابـن مـروان مسـاعدة الملك والسلطان فأرسل إليـه جيشًـا فـدخلوها عنـوة، وقبض علـى الفـارقي، وجـيء بـه إلى ابـن مـروان فـأمر بقلتـه، وحاول الفارقي استرضاءه فمدحه بقصيدة، غير أن ابـن مـروان لم يرضَ عنه، وأمر حرسه بصلبه فصلب حتى مات، وقيل: إنه مات مشنوقًا.

وقيل: وفد الغساني وهو شاعر من العجم على أحمد بن مروان وكانت عادته إذا وفد عليه الشاعر يكرمه وينزله ولا يستحضره إلاّ بعد ثلاثة أيامٍ، واتفق أنّ الغسانّي لم يكن أعدَّ شعرًا يمدحه به ثقةً بنفسه فأقام ثلاثة أيام ولم يفتح عليه بشيء فأخذ قصيدةً من شعر ابن أسدٍ ولم يغيّر فيها غير الاسم فغضب الأمير وقال:" هذا العجميُّ يسحر منَّا".

فأمر أن يكتب ذلك إلى ابن أسدٍ، فأعلم الغسانيُّ بعض الحاضرين بذلك فجهَّز الغسَّانيُّ غلامًا له جلدًا إلى ابن أسدٍ

يدخل عليه ويعرِّفه العذر فوصل الغلام إلى ابن أسدٍ قبل وصول قاصد ابن مروان فلما علم ذلك كتب الجواب إلى ابن مروان أنه لم يقف على هذه القصيدة أبداً ولم يرها إلاّ في كتابه. فلما وقف ابن مروان على الجواب أساء إلى السّاعي وسبَّه وقال:" إنما تريدون فضيحتي بين الملوك ويحملكم الحسد". ثم أنه أحسن إلى الغسَّاني وأكرمه غاية الاكرام وعاد إلى بلاده.

فلم يمض على ذلك إلاّ مدة حتى اجتمع أهل ميّافارقين ودعوا ابن أسدٍ إلى أن يؤمِّروه عليهم وإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه وإسقاط اسم ابن مروان فأجابهم إلى ذلك فحشد ابن مروان ونزل على ميَّافارقين فأعجزه أمرها فأنفذ إلى نظام الملك والسلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشًا ومددًا مع الغسَّاني الشاعر المذكور وكان قد تقدَّم عند السلطان فصدقوا الحملة على ميّافارقين فملكوها، وأخذوها عنوةً وقبض على ابن أسدٍ وجيء به إلى ابن مروان فأمر بقتله.

فقام الغسَّاني وجرَّد العناية في الشفاعة حتى خلصه وكفله بعد عناءٍ شديدٍ فاستحيى منه وأطلقه، فاجتمع به وقال:" أتعرفني ؟"، قال:" لا والله ولكني أعرف أنك ملكٌ من السماء منَّ الله بك عليَّ لبقاء مهجتي"، فقال:" أنا الذي أدَّعيت قصيدتك وسترت عليَّ وما جزاء الاحسان إلاّ الإحسان، فقال ابن أسدٍ:"ما سمعت بقصيدةٍ جحدت فنفعت صاحبها مثل هذه فجزاك الله خيرًا" وانصرف الغسَّانيُّ من حيث جاء.

وأقام ابن أسدٍ مدةً ونزحت حاله وجفاه إخوانه، وعاداه أعوانه، ولم يقدم أحدٌ على مرافدته حتى أضرَّ به العيش ونظم قصيدةً مدح بها ابن مروان، منها قوله:

أَريقاً من رضابِك أم رَحيقا ... رشفتُ فَلَستُ من سُكري مُفيقا
وللصهباء أسماءٌ ولكن ... جهلت بأنَّ في الأسماء ريقا
حَمَتني عَن حُميّا الكأسِ نَفسٌ ... إلى غَيرِ المَعالي لن تَتوقا
وَما تَركي لَها شُحّاً وَلَكِن ... طَلَبتُ فَما وجدت بها صَديقا

فلما أكمل إنشادها غضب ابن مروان وقال:" ما يكفيه أن يخلص منا رأسًا برأسٍ حتى يريد منا الرِّفد لقد أذكرني بنفسه، اصلبوه" فصلب .

وقيل: هو الذي سلم ميافارقين إلى منصور بن مروان، ولما دخلها تتش السلجوقي اختفى، ثم ظهر لما عاد تتش، ووقف بين يديه وأنشده قصيدة منها قوله:

لَو أن قلبك لّما قيل قَد بانوا ... يَوم النَوى صخرةٌ صماءُ صَوّانُ
لعيل صبرك مغلوباً وَنمّ بما ... أخفيته مدمع للسر صَوّان
زجرت أشياء في أَشياء تشبهها ... إذ بينهن رضاعاتٌ وَأَلبانُ
فَقالَ لي الطلح يوم طالح وَنَوى ... وَحقّق البينَ عِندي ما وأى البانُ
واستحلبت حلب جفنيّ فانحلبا ... وَبشرتني بحرّ القتل حرّانُ
فالجفن من حلب ما انفك من حلب ... وَالقَلب بعدك من حَرّان حَرّانُ

فقال تتش: " من هذا ؟".

فقيل له: " هذا الفارقي".

فأمر بضرب عنقه من وقته . (١٠٦).

علوٌ وموت
القاضي الرشيد (... - ٥٦٢ هـ)

هو أبو الحسين، القاضي الرشيد، أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني، من أسوان بمصر، من بيت علم كان كاتبًا، وشاعرًا، وفقيهًا، ولغويًا، تولى النظر بثغر الأسكندرية، كان يجيد النظم والنثر، وله تصانيف كثيرة منها: "جنان الجنان، ورياض الأذهان، والعجائب والطرف والهدايا والتحف، ومن مشاهير الفضلاء".

كان أسود اللون، غليظ الشفتين، مبسوط الأنف، كخلقة الزنوج، وروي أنه كان منزعجًا من قلة العناية به في مصر، وعدم التقدير الذي يجده، وظهر ذلك جليًا في بعض أشعاره، منها القصيدة التي خاطب بها الكامل بن شاور ابن حاكم مصر، يقول فيها:

إذا مانبت بالحرِّ دار يودها ... ولم يرتحل عنها فليس بذي حزمِ
وهبه بها صبا ألم يدر أنه ... سيزعجه منها الحمام على رغم ؟

وقد تعرض في قصائد أخرى إلى مهاجمة بعض خصومه وهجائهم المزعج له، كالتي قالها في محمود الدمياطي كاتب الإنشاء بالحضرة المصرية، ومنها قوله:

يا شبه لقمان بلا حكمة ... وخاسرًا في العلم لا راسخًا
سلخت أشعار الورى كلها ... فصرت تدعى الأسود السالخا

أنفذه الحافظ إلى اليمن داعيًا له سنة ٥٣٩هـ، فلما بلغها قُلد قضاءها وأحامها، ولقب قاضي قضاة اليمن، وداعي دعاة الزمان، ثم سمت نفسه إلى الخلافة فسعى فيها وأجابه قوم إلى ذلك، وسلموا عليه بها وضربت له السكة (العملة) على الوجه الواحد "قل هو الله أحد"، وعلى الآخر "الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد" ثم قبض عليه ونفذ مكبلاً إلى "قوص"فدخلها وهو مغطى الوجه وهم ينادون عليه بين يديه: هذا عدو السلطان أحمد بن الزبير". فحبسه واليها ثم خلى سبيله.

وقيل: سافر مرة إلى اليمن في مهمة رسمية، فمدح جماعة من ملوكها، وعرَّض بما يلقاه في مصر من جفا وإهمال وتنكُّر، وأفصح أنه يتمنى أن يلقى الإكرام والحفاوة في بلاد قحطان، ومتى ما تحقق ذلك فلن يندم على ترك مصر؛ لأنه لا يأبه بمن أنكروا حقه، وجهلوا قيمته، منها قوله:

لئن أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا ... فلست أبالي القحط في أرض قحطان
ومذ كَفلت لي مأرب بمأربي ... فلست على أسوان يومًا بأسوان
وإن جهلت حقّي زعانف خندفٍ ... فقد عرفت فضلي غطارف همدان

فحسده أحد الحضور، فكتب الأبيات وأرسلها إلى والي مصر للعاضد شاور بن مُجير بن نزار فغضب منها، فطلبه، فاختفى بالإسكندرية، واتفق التجاء صلاح الدين يوسف بن أيوب قائد الجيش إلى الإسكندرية ومحاصرتها،

فخرج القاضي الرشيد متقلدًا سيفًا وقاتل بين يديه وكان معه مدة مقامه، فتزايد وجد شاور وجد في طلبه فظفر به، فأمر بركوبه على جمل وعلى رأسه طرطورٌ (قَلَنْسوة للأعراب طويلة الرأْس) ووراءه جلواز (شرطي) ينال منه، وهو ينشد:

إن كان عندك يا زمان بقيةٌ مما تهين به الكرام فهاتها

ثم يهمهم بتلاوة القرآن، ثم إنه بعد إشهاره بمصر والقاهرة أمر أن يصلب شنقًا، فلما وصل إلى مكان شنقه جعل يقول لمن تولى ذلك: "عجِّل عجِّل فلا رغبة لكريم في حياة بعد هذه" ثم قتل وصلب، وهكذا سقط القاضي الرشيد ضحية قصيدة لم تجلب إلا ضرره. (١٠٧).

حُزن وموت
عُمارة اليمني (٥١٥ - ٥٦٩ هـ)

هو عُمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، يكنى أبا محمد، ولقبه نجم الدين، مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه، وأديب بارع، من أهل اليمن، ولد في تهامة من جبال اليمن من مدينة مرطان، وكان فقيهًا فصيحًا، قيل: "كان أشعر أهل زمانه، قدم من البادية إلى الحضر، وهو أفصح الناس"، أقام بزبيد مدة يقرأ على شيوخها مذهب الشافعي، وله في الفرائض مصنف مشهور.

وقيل: كان فقيهًا شافعي المذهب، شديد التعصب للسنة، أديبًا ماهرًا، شاعرًا مجيدًا، محادثًا ممتعًا، شاعرًا منطيقًا بليغًا فصيحًا لا يُلحق شأوه في هذا الشأن فاضلاً فقيها، وقد أُتهم بالزندقة والكفر المحض، قيل: إنه كان أحسن الناس هديًا وقصدًا، وكان صحيح الدين، ليس عنده من المجون والسخف شيءٌ، فوقع إلى قومٍ يقولون بالدهر فعاشرهم فأفسدوا عليه دينه. وكان عمارة شديد التعصب للسُّنة، ولآل النبي ﷺ .

مدح خلفاء عصره، فقربوه وأعطوه الأموال، وكان عندهم بمنزلة الوزير، ثم ظهرت أمور اقتضت خروجه منها، فقدم إلى مصر، وقيل: إن سبب قتله أنه مدح توران شاه، وحرضه على أخذ اليمن بقصيدة أولها:

العلم مذ كـــان محتـــاجٌ إلى العلـــم وشفرة السيف تستغني عن القلـــم

رحل إلى زبيد، وقدم إلى مصر يحمل رسالة من أمير مكة القاسم بن هشام إلى الفائز بن الظافر الفاطمي، فأحسنوا إليه، وبالغوا في إكرامه. فأقام عندهم ومدحهم، ولم يزل مواليًا لهم حتى دالت دولتهم، وملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية، فرثاهم عُمَارة، واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على قتل صلاح الدين، لكن مخططهم باء بالفشل، وكُشفت أستاره، فعلم صلاح الدين بذلك فقبض عليهم وصلبهم، وعُمارة في جملتهم.

وقيل: حينما زالت الدولة الفاطمية حزن عماة حزنًا كثيرًا على زوالها، فرثى أهل القصرين: قصر صاحب مصر، وقصر وزيره بقصيدة أغضبت صلاح الدين عليه، ثم فتك به مع من تآمر معهم ضده، ومنها قوله:

رميتَ يا دهر كفَّ المجـــد بالشـــلل ورُعته بعد حُسن الحَلْـــي بالعطـــلِ
سعيت في منهج الرأي العثور فـــإن قدرت من عثرات الدهر فاســـتقل
جدعت ما رنك الأقنى فانفـــك لا ينفك ما بين أمر الشـــين والخجـــل
هدمت قاعدة المعروف عن عجـــلٍ سقيت مهلاً أما تمشي علـــى مهـــل
قدمتُ مصـــر فـــأولتني خلائقهـــا من المكارم مـــا أربى علـــى الأمـــلِ
قومٌ عرفت بهم كسب الألوف ومن تمامهـــا أنهـــا جـــاءت ولم أســـل
وكنت من وزراء الدست حين سمـــا رأس الحصان يهاديه علـــى الكفـــل
ونلت من عظماء الجـــيش تكرمـــةً وحلةً حرست من عـــارض الخلـــل

يا عاذلي في هــوى أبنــاء فاطمــةٍ ... لك الملامة إنْ قَصَّــرت في عَــذَلي
بالله زر ساحة القصرين وابكِ معي ... عليهما لا علــى صــفين والجمــلِ
ماذا ترى كانت الأفــرنجِ فاعلــةً ... في نسل آل أمير المــؤمنين علــي ؟
لَهفي ولهف بــني الآمــال قاطبــة ... على فجيعتنــا في أكــرمِ الــدول
هل كان في الأمر شيءٌ قسمة مــا ... ملكتم بين حكم السبي والنفــل ؟
وقد حصلتم عليها واسم جــدهم ... محمــدٍ وأبــيكم غــير منتقــل
مررت بالقصر والأركــان خاليــةٌ ... من الوفود وكانــت قبلــة القبــل
فملت عنها بوجهي خوف منتقــدٍ ... من الأعادي ووجه الــود لم يمــل
أسبلت من أسفٍ دمعي غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجــورة السبــل
أبكي على ما تراءت من مكارمكم ... حال الزمان عليكم وهــي لم تحــل
دار الضيافة كانت أنس وافــدكم ... واليوم أحوش من رسمٍ ومن طلــل
وفطرة الصوم إن أصغت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفًا غير محتمــل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ... ورث منها جديــدٌ عنــهم وبلــي
وموسمٌ كان في يوم الخليج لكــم ... يأتي تجملكم فيــه علــى الجمــل
وأول العلم والعيدين كــم لكــم ... فيهن من وبل وجودٍ ليس بالوشــل
والأرض تهتز في عيد الغدير كمــا ... يهتز ما بين قصريكم مــن الأســل
والخيل تعرض في وشيٍ وفي شــيةٍ ... مثل العرائس في حلــيٍ وفي حلــل
وماحملتم قرى الأضياف من سعة الــ ... ـأطباق إلا على الأكتاف والعجل
وما خصصتم بــبرٍ أهــل ملــتكم ... حتى عممتم به الأقصى مــن الملــل
كانت رواتبكم للــذمتين وللــ ... ـضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتنيس الــذي عظمــت ... منه الصلات لأهل الأرض والدول

وللجوامع مــن أحباسكم نعمٌ — لمـن تصدر في علمٍ وفي عمل
وربما عـادت الـدنيا بمعقلكم — منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم — ولانجا مـن عـذاب الله غير ولي
ولاسقي الماء من حرٍ ومـن ظمأٍ — من كف خير البرايا خاتم الرسل
أئمـتي وهـداتي والـذخيرة لي — إذا ارتهنت بما قدمت مـن عملي
تالله لم أوفهـم في المـدح حقهم — لأن فضـلهم كالوابـل الهطل
ولو تضاعفت الأقوال واستبقت — ما كنت فيهم بحمـد الله بالخجل
باب النجاة فهـم دنيـا وآخـرة — وحبهم فهو أصل الـدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحـ — ـل الغيث إن ونت الأنواء في المحل
أئمـةٌ خلقـوا نـورًا ونـورهم — عن نور خـالص نـور الله لم يفل
والله لا زلت عن حبي لهـم أبـدًا — ما أخـر الله لي في مـدة الأجل

فلما بلغت القصيدة صلاح الدين غضب منها، وتغير لونه، وأضمر الشَّر لعُمارة، وكانوا قد أودعوا سرهم عند من أذاعه، واستحفظوا مخططهم من أضاعه، فلما قبض عليه قتله وصلبه.

وقيل: إن العلماء أفتوا بقتله بسبب قصيدته الميمية التي رأوا فيها زندقة وكفرًا، التي مدح فيها الفائز بن الظافر، ووزيره ابن رُزيك، ومنها قوله:

العلم مذ كان محتـاجٌ إلى العلـم — وشفرة السيف تستغني عن القلمِ
وخير خليك إن صاحبتَ في شرفٍ — عزمٌ يفرق بـين السَّـاق والقـدمِ
إنَّ المعالي عـروسٌ غـير واصـفةٍ — إن لم تُخَلّـق رداءيهـا برشـح دم

ترى مسامع فخر الدين تسمع ما ... أملاه خاطر أفكاري على قلمي
فإن أصبت فلي حظ المصيب وإن ... أخطأت قصدك فاعذرني ولا تلم
لا يدرك المجد إلا كل مقتحم ... في موج ملتطمٍ أو فوج مضطرم
لا ينقض الخطرة الأولى بثانيةٍ ... ولا يفكر في العقبى من الندم
كأنما السيف أفتاه وقال له ... في فتح مكة حل القتل في الحرم
ولم يراعوا لعثمان ولا عمرٍ ... ولاالحسين ذمام الأشهر الحرم
فما تروم سوى فتحٍ صوارمه ... يضحكن في كل يومٍ عابس البهم
حتى كأن لسان السيف في يده ... يروي الشريعة عن عاد وعن إرم
هذا المحدث عنه في ثيابك يا ... شمس الهدى والعلى يصغي إلى كلمي
هذا ابن تومرت قد كان بدايته ... كما يقول الورى لحمًا على وضم
وقد ترامى إلى أن أمسكت يده ... من الكواكب بالأنفاس والكظم
قد كان أول هذا الدين من رجل ... سعى إلى أن دعوه سيد الأمم
والغيث فهو كما قد قيل أوله ... قطرٌ ومنه خراب السد بالعرم
والبدر يبدو هلالاً ثم يكشف بالـ ... ـأنوار ما سترته شملة الظلم
تنمو قوى الشيء بالتدريج إن رزقت ... لظى فيقوى شرار الزند بالضرم
حاسب ضميرك عن رأي أتاك وقل ... نصيحةٌ وردت من غير متهم
أقسمت ما أنت ممن حل همته ... ما راق من نعم أو رق من نغم
وإنما أنت مرجوٌ لواحدةٍ ... بنى بها الدهر مجدًا غير منهدم
كأنني بالليالي وهي هاتفةٌ ... مذ صم سمع رجال دونها وعمي
وبالعلى كلما لاقتك قائلةٌ ... أهلاً بمن ثرى مالي من الرمم
مولاي دعوة مظلوم وربتما ... تحنو الموالي على الداعي من الخدم

أصبحت بالشعر ملحوظًا بمنقصةٍ ... ولم أزل بين أهل العلم كالعلم
صن معدن الدر عن كف تقلبها ... ومعدن الدر والياقوت فهو فمي
والعصر يعلم أني فيه جوهرةٌ ... رخيصة السعر بالغالي من القيم
فاخلق بنفسك ملكًا لا تضان به ... إلى سواك وأور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت ولايته ... كما يقول الورى لحمًا على وضمِ
فهل درى البيت أنّي بعد فرقته ... ما سِرت من حرم إلا إلى حَرَمِ
الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمدا يقوم بما أولت من النعم
لا أجحد الحق، عندي للركاب يد ... تمنت اللجم فيها رتبة الخطم
قرّبن بعد مزار العز من نظري ... حتى رأيت إمام العصر من أمم
ورُحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفدًا إلى كعبة المعروف والكرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها ... بين النقيضين من عفو ومن نقم
وللإمامة أنوارٌ مقدسة ... تجلو البغيضين من ظلم ومن ظُلَم
وللنبوّة آيات تضئ لنا ... على الخفيين من حكم ومن حكم
وللمكارم أعلام تعلمنا ... مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعلا ألسُنٌ تثني محامدها ... على الحميدين من فعل ومن شيم
وراية الشرف البذاخ ترفعها ... يد الرفيَعين من مجد ومن همم
أقسمت بالفائز المعصوم معتقدا ... فوز النجاة وأجر البر في القسم
لقد حمى الدِّين والدنيا وأهلهما ... وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلائله ... إلا يد الصنعتين السيف والقلم
وُجُوده أوجد الأيام ما اقترحت ... وَجُوده أعدم الشاكين للعدم
قد ملكته العوالي رق مملكة ... تعير أنف الثريا عزة الشمم

أرى مقاما عظيم الشأن أوهمني — في يقظتي أنها من جملة الحُلم
يوم من العمر لم يخطر على أمل — ولا ترقت إليه رغبة الهمم
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها — عقود مدحٍ فما أرضى لكم كلمي
ترى الوزارة فيه وهي باذلة — عند الخلافة نصحا غير متهم
عواطفُ أعلمتنا أن بينهما — قرابة من جميل الرأي لا الرحم
خليفة ووزير مدّ عَدلُهما — ظلاً على مفرق الإسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما — فما عسى يتعاطى منة الديم

وقيل: إن البيت الأول نُسب إليه من أعدائه، فضمه أعداؤه إلى سبعة رجال اتهموا بالتخطيط لقلب حكومة صلاح الدين، وإرجاع الحكم للفاطميين، فصلبوا معًا.

وقيل: إن قاضي المحكمة تحامل على عُمارة واختار هلاكه؛ لأن صلاح الدين استشار القاضي الفاضل في أمر عمارة، فأشار عليه بضربه فقط، فقال القاضي الفاضل:" الكلب يسكت ثم ينبح"، فقال صلاح الدين:" يسجن"، فقال القاضي:" الملوك إذا أرادوا فعلوا"، فنهض صلاح الدين وأمر بقتله وصلبه مع أعوانه . (١٠٨).

سفاهة وموت
محمد القرشي (٦٣٠ – ٧٥٠هـ)

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القرشي القزويني، نشأ وتعلم في قزوين أديب ناظم ناشر، مشارك في العلوم، وأصله من إشبيلية واختلف إلى حلْقات العلم.

رحل إلى آل عبد العزيز بن مروان المذحجيين في منطقة الري، وقال لهم: " أتت علينا سنون لم تبقِ زرعًا حصيدًا ، ولا مالاً تليدًا إلا اجتاحته بزوبره وأصله، وأنتم أئمة أملي، وقصد ثقتي " ، فلم يعطوه شيئًا ، فقال يهجوهم:

بنو عبد العزيز إذا أرادوا ... سماحًا لم يَلقِ بهم السَّماحُ
لهم عن كلِّ مكرمةٍ حجاب ... فقد تركوا المكارمُ واستراحوا

وحين وصلت إلى أسماع موسى بن عبد العزيز غضب، وطلبه فقتله . (١٠٩).

ذو الوزارتين
لسان الدين بن الخطيب (٧١٣ - ٧٧٩هـ)

هو محمد بن عبد الله بن سعيد السَّلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، كنيته أبو عبد الله، وشهرته لسان الدين بن الخطيب، شاعر وأديب، ومؤرخ ثقة، وكاتب نبيل، ولد ونشأ في غرناطة. وكان يلقب بذي الوزارتين: القلم، والسيف، وله من المؤلفات ما يقارب ستين مؤلفًا. درس الطب، والمنطق، والحساب، وبرز في الطب، وتولع بالشعر فبرع فيه وترسل فأجاد، وفاق أقرانه.

استوزه سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٣٣هـ ثم ابنه الغني بالله محمد من بعده، فاستقل بكتابة السر، وأضاف إليه رسوم الوزارة، واستعمله في السفارة إلى الملوك، واستنابه في جميع ما يملكه، حتى عظمت مكانته، وحين أحس بأن حاسديه بدؤوا بالوشاية به إلى السلطان الغني بالله كَاتَبَ السلطان عبد العزيز بن علي برغبته في الرحيل إليه، فترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق ومنه إلى سبتة ثم إلى تلمسانه، وكان السلطان عبد العزيز المريني بها، فبالغ في إكرامه وتقريبه، وأرسل مرسولاً من لدنه إلى غرناطة ليطلب أهله وولده، فجاؤوه مكرمين معززين، واستقر بفاس واشترى ضياعًا، وتملك بها.

مات السلطان عبد العزيز وخلفه ابنه السعيد بالله ثم

ما لبث أن خُلع، وتولى السلطة السلطان المستنصر بالله أحمد بن إبراهيم، وقد ساعده في ثورته الغني بالله صاحب غرناطة مقابل تسليم ابن الخطيب، فقبض عليه المستنصر وأرسله إلى السلطان الغني بالله، فعقد بها مجلس الشورى، وأحضر ابن الخطيب ووجهت إليه تهمة الزندقة في أفعاله وأشعاره، وسلوك مسلك الفلاسفة، وأفتى بعض الفقهاء بقتله، فأعيد إلى السجن، ودَسَّ إليه سليمان بن داود رئيس مجلس الشورى بعض الأوغاد من حاشيته فدخلوا عليه السجن ليلاً فخنقوه، ثم دفن من صباح الغد.

غير أننا نستطيع القول أن دوافع قتل ابن الخطيب يشوبها بعض الغموض، وهي للأمور السياسية أقرب من غيرها، فلم يكن يُوجب قتل الرجل آنذاك إلا قذفه بالكفر والإلحاد والزندقة وغيرها. ومن بعض أشعاره قوله:

اسقياني لقد بدا الفجر ... وخفي الكوكبُ
قهوة تُرك شربها وزرٌ ... وهي لي مذهبُ
أنديمي اسقني لقد حَلا ... شربُ راحٍ بشرب

وقوله:

أنا كافرٌ وسواي فيه بعاذلٍ ... لا يستبين الصدق في آياته
ومصدِّق بصحيفة الخد الذي ... قد أعجب الكفار حُسن نباته

وقوله:

قَسَمًا بالكواكب الزُّهـ ... ـر والزَّهر عاتمة
إنَّما الفضل مِلَّة ... خُتمت بابه خاتمة

ومن شعره في السجن:

إذا فكَّرت في وطن كريم ... نبت بك عنه نائبة اغتراب
وعوَّضك الزمان بشر دارٍ ... وسُكن منزلٍ وحش الجناب
فأبدْ بما انتقلت له اغتباطًا ... وفكرٍّ في انتقالك للتراب

(١١٠)

غواية قبل نهاية
محمد العامري (... - ...)

اسمه محمد بن سعيد العامري الدمشقي، شاعر رقيق، غلب على شعره الغزل والنسيب، وله في الوصف مقطوعات بديعة، وفي الغزل أبيات جميلة منها قوله:

لما اعتنقنا للوداع وأعربت — عبراتنا عنَّا بدمعٍ ناطقِ
فرَّقن بين محاجر ومحاجرٍ — وجمعن بين بنفسج وشقائق
وأنا الفداء لضبية أحدقنا — موصولة من وجهها بحدائقِ

أظهر التشيع، وبالغ فيه وأسرف إلى حدِّ التجاوز، وقال قصيدة عرَّض فيها بالخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهي تنبئ عن سلوكٍ غير متزن من الشاعر، وتفصح عن نفسية مضطربة، وقلقٍ واضحٍ، وغواية صريحة، يقول فيها:

لقد غشيتُ أدهرًا وأدهرًا — سكران لا آلف إلا المسكرا
ولا أرى المعروف إلا المنكرا — فإن يكن سري قد تسفَّرا
عني وعاد الصفو مني كدرا — وصرتُ زهمًا حنفًا مكسرًا
وحاد مني ناظري وشبكرا — فطالما كان غضيضًا أحورا
وطالما كنتُ فتى حزورا — مزعفرًا معطرًا معنبرا
أسحب بُردًا وأجر مئزرا — إذا مشيتُ للصبي التبخترا
ثم ضممت الكف إلا الخنصرا — وقد حملت للمجون خنجرا
وظلت الكاعب تلحى المعصرا — وهل تراني كمثل ما ترى
سقيا لذلك ما ألذ منظرا — بدلت بالنوم الطويل السَّهرا

ومــت لا موتًـا ولكـن كِـبرًا ... ومــن وقــار المــرء أن يــوقرا
لزاجــر مــن المشــيب زجــرا ... أن يألف العُـرف ويـأبى المنكـرا

مما أثار عليه حفيظة النَّاس، فرصدوه حين خرج من دمشق فقتلوه .(١١١).

التَّحدي
أبو الرديني العلكي (... - ...)

أبو الرديني العكلي شاعر مقل، كثير الهجاء، قال عمارة:" ما هاجيت شاعرًا قط إلا كفيت مؤونته في سنة أو أقل من سنة، إما أن يموت، أو يقتل، أو أفحمه، حتى هاجاني أبو الرديني العكلي، فخنقني بالهجاء، ثم هجا بني نمير في قصيدة مؤلمة، فهددوه بالقتل فقال:

أتوعدني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها
لئام لا يشرٌّ لهم ضرام ... إذا ما النَّاب لم ترأم طلاها
كأن كلابهم والليل داج ... كهول لا يحبون السفاها
وكيف يسبهم وهم فَرَاش ... إذا ما عاين النار اصطلاها
وليس تغيظ مخلوقًا بظلم ... ولا تغتاظ إن ظلمٌ عراها

فكفانيه بنو نمير، فحين وصلت إلى مسامعهم رصدوه فترة، حتى ظفروا به فقتلوه.

ونسبها أبو الحسن البصري في حماسته إلى برد بن حابس . (١١٢).

الاندفاع نحو الموت
عمر الرومي (... - ١٠٤٢هـ)

هو نفعي بن رومي، عالم الروم، وشاعرها المتفوق، كان أحد كتاب أعيان الدولة، وله شهرة طنَّانة، ولد في بلد يقال لها حَسن، ثم قدم إلى القسطنطينية وتعلم الكتابة والأدب ومهر فيها، وشعره غاية في الرصانة والجمال. كان فريد عصره أدبًا وشعرًا وبلاغة وكرمًا ومجدًا، وهو من بيت بالروم لهم الصدارة والتقدم.

وقعت بينه وبين الشاعر المعروف ابن القاف القسطنطيني مهاجاة مفرطة في المذمة ،ومعروف عنه أن أهاجيه لم يصل أحد إلى فُحشها. ودوَّنها وجمعها في كتابه "سهام القضاء" فوصل خبرها إلى السلطان أحمد فطلبها وقرئت بمحضر منه، فما تمت قراءتها إلا وأرعدت السماء، وأبرقت، ونزلت صاعقة بالقرب من مكان القراءة، ولذا شاع بين الناس أن قراءتها تورث البلاء.

أدرك عهد السلطان مُراد، وكان يحبه ويقربه، وتعجبه مسامراته، ولما تولي الوزارة العظمى بيرام باشا -وكان طاعنًا في السِّن وفيه غفلة- أمره السلطان مُراد بهجائه فامتنع من ذلك، فألح عليه السلطان، ففعل قصيدة طويلة أفرط فيها كل الإفراط، فبلغت مسامع الوزير، فتألم منها، وأكنَّ له القتل، ثم دخل إلى الوزير شاكيًا منه، وقال

له:" إن لم تقتل نفعي فقد اخترت أن تقتلني" ، وأبرم على السلطان ذلك، ففوض إليه أمر قتله فقتله.

وقيل: إن الوزير لما بلغه هجوه إيَّاه طلبه نائلي الشاعر المشهور، وكان ممن تخرج في مدرسة نفعي، وله به زيادة اتصال، وأمره أن يهجوه نفعي، وما زال يلح عليه حتى هجاه بقصيدة، وكتبها للوزير بخطه، وأعطاه إيَّاها ، فطلب نفعي وأعطاه الورقة ففطن للغرض، وأخذته الحدة فطرح الورقة قبالة الوزير بغيظ، فحنق الوزير عليه وقتله في الحال . (١١٣).

مُنتهى

عن الربيع بن صبيح رحمه الله أن رجلاً قال للحسن رحمه الله: "يا أبا سعيد: إني أرى أمرًا أكرهه، قال: وما ذاك يا ابن أخي؟، قال: أرى أقوامًا يحضرون مجلسك، يحفظون عليك سَقْط كلامك، ثم يحكونك ويعيبونك، فقال: يا ابن أخي، لا يكبرنَّ هذا عليك، أخبرك بما هو أعجب، قال: وما ذاك يا عمّ؟، قال: اطَعت نفسي في جوار الرحمن، وملوك الجنان، والنجاة من النيران، ومرافقة الأنبياء، ولم أطع نفسي في السمعة من الناس، إنَّه لو سلم من الناس أحدٌ لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم، فإذا لم يَسْلم مَن خلقهم، فالمخلوق أجدر ألا يسلم". (١١٤).

مَسرد المصادر والمراجع
مرتبٌ وَفق الإفادة والنقل

(١) أعلام النبوة (أبو الحسن الماوردي): صفحة ١٦٨.
(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ابن عباس) : ٤٤٥/١.
(٣) الدر المنثور (السيوطي): ١١٢/٦، ١١٣.
(٤) انظر: العقد الفريد (ابن عبد ربه): ١٥/١، نهاية الأرب في فنون الأدب (النويري): ١٧٥/٢.
(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (النووي): صفحة ٢٦٥.
(٦) انظر: تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٥٠٣/٦، ٥٠٤.
(٧) للاستزادة انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (ابن حجر العسقلاني): ٢٧١/١٢ . شعب الإيمان (البيهقي) :١/ ١٩٠ . درء تعارض العقل والنقل (شيخ الإسلام ابن تيمية):٣٠٣/٥ . البداية والنهاية (ابن كثير) : ١٠ / ١٩ ، الكامل في التاريخ (ابن الأثير) :٤/ ٤٦٦ . تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري) :٤ / ٨٢ . تاريخ الإسلام (الذهبي) :٧ /٣٣٧ . التاريخ الكبير (البخاري) :١ / ٦٤ . تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) :٦٣ / ٣٧٨ .
(٨) للاستزادة انظر: درء تعارض العقل والنقل (شيخ الإسلام ابن تيمية):٣٠٥/١ – ٣١٣. البداية والنهاية (ابن كثير) : ١٠ / ١٩ ، ٢٦ ،. الكامل في التاريخ (ابن الأثير) :٦/ ١٢١ . تاريخ الإسلام (الذهبي) :٧ /٣٣٧ ، ١٠ /٩٤ . كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (شيخ الإسلام ابن تيمية) : ١٣ / ١٥٤ ، ١٤ / ١٤٣ ، ١٦ / ٢٣٩ .توحيد الألوهية (أحمد عبد الحليم بن تيمية) ضمن المرجع السابق: ٦/ ٣٣ ، ٨ / ٤٦٠ ، ٨ / ٤٨٢ . منهاج السُنة النبوية (شيخ الإسلام ابن تيمية): ١/ ٣٠٩ – ٣١١ . الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالرافضة (جمعه وعلق عليه وفهرسه علي بن نايف الشحود) : ص ٦٣ .
(٩) رواه البخاري: رقم الحديث(٦٤٧٤).
(١٠) انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١٥٦/١٧، ١٥٧. والكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٣/ ٣٣٦ .
(١١) الصمت وآداب اللسان (ابن أبي الدنيا): صفحة ٨٦.
(١٢) انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٤٣٩/١٦، ٤٤٠ . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (العباسي): صفحة: ٣٩١ .
(١٣) رواه البخاري: (٦٤٧٨)، وأحمد: (٨٢٠٦).

(١٤) انظر: طبقات فحول الشعراء (ابن سلام الجمحي): ٣٥٣/٢، ٣٥٤. تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) : ٤٥ /٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(١٥) انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١٩٦/٣، ١٩٧. والكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٤٣٣/١، ٤٣٤. ديوان الحماسة (التبريزي) : صفحة : ١٨٢ ، ١٨٣ . خزانة الأدب ولب لسان العرب (ابن حجة الحموي) : ١٧٥/٣ ، ١٧٦ .

(١٦) بغية الطلب في تاريخ حلب (ابن العديم) : ١١٣٣/٣ ، ١١٣٤ .وانظر: المستطرف في كل فن مستظرف (الأبشيهي): ٢٣٣/٢.

(١٧) انظر: حياة الحيوان الكبرى (الجاحظ) : ٢١٧/١. الوافي بالوفيات (الصفدي) :١٠ / ٢٧ ، ٢٨ . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (ابن خلكان): ١ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(١٨) المستطرف في كل فن مستظرف (الأبشيهي): ١٨٨/١.

(١٩) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (الزمخشري): ١٢٢/١.

(٢٠) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (أبو الحسن الشنتريني) : ٤٦/١.

(٢١) المحاضرات في اللغة والأدب (اليوسي): ١٢٩/١.

(٢٢) انظر: مجمع الأمثال (الميداني) : ١/ ١٩٧ ، ١٩٨ . المستقصى في أمثال العرب (الزمخشري) :١/ ١٦٨، ١٦٩ . جمهرة الأمثال (أبو هلال العسكري) :صفحة :٢٧٧

(٢٣) الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٢٦٥/٥، المنتظم (ابن الجوزي) ١٠١/٣، تاريخ الطبري (الطبري) : ٥٩٦/٤ ، ٥٩٧ .

(٢٤) انظر: إحياء علوم الدين (أبو حامد الغزالي): ١١١/٣. الصمت وآداب اللسان (ابن أبي الدنيا البغدادي):صفحة ٧١ .

(٢٥) انظر : الفخري في الآداب السلطانية (ابن الطقطقي) : صفحة ٦٦ .

(٢٦) تاريخ الإسلام (الذهبي): ٢٦٤/٧.

(٢٧) الصمت وآداب اللسان (ابن أبي الدنيا): صفحة ٢٧٨.

(٢٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (الأصبهاني): ٣٤٠/٥.

(٢٩) انظر: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (أبو عبد الله الحموي): ١٢٨/٢، ١٢٩. التدوين في أخبار قزوين (القزويني) : ٣/ ٤٠٣ — ٤٠٥ . البداية والنهاية (ابن كثير) :١١ / ٢٨٣ — ٢٨٨ .الوافي بالوفيات (الصفدي) :٢ / ٢٨١ — ٢٨٥ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ابن خلكان) : ٥/ ١٠٣ — ١٠٧ .

(٣٠) انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٣١٨/٢٢ — ٣٢٠. تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) : ١١/ ١٩ — ٢١ . البداية والنهاية (ابن كثير) : ٢/ ١٦٦ — ١٦٨ . الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ١/ ٣٢٣ — ٣٢٥ . تاريخ ابن خلدون (ابن خلدون) : ٢/ ٦٣- ٦٥ .

(٣١) انظر: الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٧/ ١٠٣ – ١٠٦ . البداية والنهاية (ابن كثير) :١٧٨/١١ – ١٨٠ . تاريخ الإسلام (الذهبي): ٢٤ / ١١٣ – ١١٥ . العبر في خبر من غبر (الذهبي) : ٢ / ١٦٨ – ١٦٩.

(٣٢) انظر: معجم الأدباء(ياقوت الحموي): ١٤٨/١ – ١٥٠ . معجم البلدان (ابن خلكان) : ٣ / ٣٥٩ – ٣٦١ .

(٣٣) للاستزادة انظر:البداية والنهاية (ابن كثير) :١٨٧/١١- ١٨٩ . معجم الأدباء (ياقوت الحموي): ٣٦٥/١ – ٣٦٧.الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٧/ ٦٠ – ٦٢ ، ٧ / ١٨٦ – ١٨٩. تاريخ الإسلام (الذهبي) : ٢٣ / ٣٧٣ – ٣٧٤ .٢٤/ ٢٨ ، ٢٩ . العبر في خبر من غبر (الذهبي) : ٢ / ١٧٢ – ١٧٣ .

(٣٤) المستطرف في كل فن مستظرف (الأبشيهي): ١٨٧/١.

(٣٥) صفوة الصفوة (عبد الرحمن أبو الفرج): ٢٢١/٢.

(٣٦) انظر: البداية والنهاية (ابن كثير) : ١٣ / ٦٥ .

(٣٧) تهذيب الكمال (أبو الحجاج المزي) : ٢/ ٣٣ ، ٣٤ . المجالسة وجواهر العلم (أبو بكر الدينوري) :صفحة ٤٠٥ ،الصمت وآداب اللسان (ابن أبي الدنيا): ص ٦٧ .

(٣٨) إنباء الغمر بأبناء العمر (ابن حجر العسقلاني) : ١/ ١٧٦ .

(٣٩) رواه الترمذي: (٢٤١١).

(٤٠) رواه الترمذي: (٢٣١٩)، وابن ماجة: (٣٩٦٩).

(٤١) انظر: الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ١٤٠/٢٢ .

(٤٢) مسند أبي يعلى (أحمد بن علي التميمي) : ٨٤/٧.

(٤٣) انظر: رسائل الجاحظ (عمرو بن بحر الجاحظ) : ٣٨/١.

(٤٤) انظر: البداية والنهاية (ابن كثير): ٣١٠/١٤.

(٤٥) انظر: لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني): ٣٦٦/٣. المنتظم (أبو الفرج الجوزي) :٥٦/٨

(٤٦) انظر : المعجب في تلخيص أخبار المغرب (المراكشي) : صفحة: ١٩٩، ٢٠٠ .

(٤٧) انظر: الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ١٠٨/٧ – ١١٠.

(٤٨) رواه الترمذي: (٢٤١٢)، وابن ماجه: (٣٩٧٤).

(٤٩) رواه الترمذي: (٢٥٠١)، وأحمد: (٦٤٤٥).

(٥٠) انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ١١/ ٢١٩. الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها(ابن قتيبة الدينوري): ص ٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (عبد القادر البغدادي) : ٢١١/٣ . صبقات فحول الشعراء(ابن سلام الجمحي): ٧٨/١

(٥١) للاستزادة انظر: البداية والنهاية(ابن كثير): ٢١٩/٢- ٢٢٢، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ١١٩/٩- ١٣٥، معجم الأدباء (أبو عبد الله الحموي):: ٥-٣٥٩- ٣٦٣، الشعر والشعراء(ابن قتيبة): ص ٥٣- ٥٧، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٥٥٠/٨- ٥٥٢. امرؤ القيس حياته وشعره (د. طاهر مكي). شعراء قتلهم شعرهم (سمير فراج) : ص ٢٠١ - ٢١٨ .

(٥٢) للاستزادة انظر: الشعر والشعراء (ابن قتيبة) : ١٧٩/١٠- ١٩٦، طرفة بن العبد حياته وشعره (إصدار دار كرم) : ص ١٠- ٣٥، ديوان طرفة (تحقيق يوسف الشنتمري) : ص ١٥- ٤٦، الأغاني(الأصبهاني) : ٥٤١/٢٣- ٥٤٥، جمهرة الأمثال(أبو هلال العسكري) : ص ٥٨٠، ٥٨١، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٣٦٧/٢- ٣٧٠. قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) :ص ١٠١- ١٠٧. شعراء قتلهم شعرهم (سمير فراج) :ص ١٢٧- ١٣٧ .

(٥٣) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٨٩/٢- ١٠٤، الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٢٧٣/١- ٢٧٥، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٤٧٠/١، الوافي بالوفيات (الصفدي): ٣٤٩/١٩- ٣٥٠، الأعلام: ٢٢٠/٤. شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٣٠- ١٣٢ .

(٥٤) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٨٧/١١- ١٠٤، الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٤٤٢/١- ٤٤٤، مجمع الأمثال (الميداني): ٣٧٦/٢، ٣٧٧، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٣٣٦/٦، ٣٣٧.

(٥٥) للاستزادة انظر: الأغاني (الأصبهاني): ٨٥/٢٢- ٩٨، تصحيح لسان العرب (دار الآفاق العربية): ١٥/١- ١٧، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (محمد بن الجوزي) : ١٣٥/٢- ١٣٨، المعارف (ابن قتيبة): ص ٦٤٣- ٦٥٠، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (ابن خلكان):.٣٢٩/٤- ٣٣١ ، الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ٢ / ٢٥٠ – ٢٥٣ ، شعراء قتلهم شعرهم (سمير فراج) :ص ٢٣- ٣٠.

(٥٦) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٤١٣/٢، ٤١٤، ٥/١٠-١٤ديوان المعاني (أبو هلال العسكري): ١٢٦/١- ٢١٨، أسماء المغتالين (ابن حبيب): جمهرة أشعار العرب (أبو زيد القرشي): ٥٣/١، ٥٤. شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص١٧٧- ١٧٩

(٥٧) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٣٨٩/٢٠- ٣٩٥، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب(أبو منصور الثعالبي): ص ١٣٤- ١٣٧، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي) : ٣٢٤/٣، ٣٢٥، الشعر والشعراء (ابن قتيبة): ص ٧٤-

٧٦، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) :ص٨١- ٨٥، شعراء قتلهم شعرهم (سمير فراج) :ص ٣٩- ٤٤.

(٥٨) للاستزادة انظر: الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٥٢٣/١- ٥٢٧، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٣/ ٩ ،٢٢٠، طبقات فحول الشعراء (ابن سلام الجمحي): ٢١٥/١، ٢٢٨.

(٥٩) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني):: ١٨٧/١٧- ١٩٦، مجمع الأمثال (الميداني): ١١٦/٢، المفضليات (المفضل الضبي): ٣٥٢، الحيوان (الجاحظ): ٩٩/١، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب(أبو منصور الثعالبي): ص ١٤١، المستقصي في أمثال العرب (الزمخشري): ٤١٦/١، التذكرة الحمدونية (ابن حمدون): ٤٧٠/٢، سمط اللآلي (الميمني): ٢٦٥/١- ٢٦٦.

(٦٠) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني): ١٩/١. البيان والتبيين (الجاحظ) :١٢٥/١. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء (أبو القاسم الأصفهاني) : ٢٣٨/١ .

(٦١) للاستزادة انظر: الحيوان (الجاحظ): ٥٧/٢، الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها(ابن قتيبة الدينوري): ص ٧.

(٦٢) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١٣٧/٢٢- ١٤٠، معجم الشعراء (المرزباني): ص ٢٣١، البداية والنهاية(ابن كثير): : ٥/٤- ١٣، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٥٢/٢- ٥٥. الطبقات الكبرى (ابن سعد البصري): ٣٢/٢، ٣٣ .

(٦٣) للاستزادة انظر: البداية والنهاية (ابن كثير) : ٣٢١/٦- ٣٢٤، البدء والتاريخ (المطهر المقدسي): ١٥٩/٥، ١٦٠، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٢٥٧/٢- ٢٧٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (الذهبي): ٣١/٣- ٣٧، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ١٣/٦، ١٤، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٠٧/٣- ٢١٥.

(٦٤) للاستزادة انظر: الفوائد والأخبار(ابن دريد): ص ١٧، الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ١٦٦/١٨، ١٦٧، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): : ٢٣٥/١، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة(أبو الحسن الشنتريني) : ٧٢/٣.

(٦٥) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٣٥/١٠- ٢٥٣، الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ١٦٦/١٨- ١٦٨، ديوان الحماسة (التبريزي): ١٤٨/١، ١٤٩.

(٦٦) للاستزادة انظر: الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ١٦/٢٨- ١٨، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان):: ٣٢٠/٦- ٣٣٣، المستقصى في أمثال العرب (الزمخشري): ١٤/١- ١٦، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (عبد القادر البغدادي): ٤٨٢/٦، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١١٣/٢١- ١١٥. الشعر والشعراء (ابن قتيبة الدينوري): ٨١/١- ٨٣ . قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) : ص ١٢٧- ١٢٩ .

(٦٧) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٣٠٣/٢٢- ٣١٢، الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ٧٥/١٥- ٧٧، الشعر والشعراء (ابن قتيبة): ص ٤٠٧- ٤٠٩، فوات الوفيات (محمد الكتبي): ٤٣٢/١، ٤٣٣. قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين): ص١٣٠- ١٣٣ .

(٦٨) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني) : ص ٤٦، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٥٤/٢١ – ٢٧٠، ديوان الحماسة (الخطيب التبريزي) : ص ٨٣ ، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٩ / ٣٣٥ – ٣٤٠ . قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين): ص ٨٢- ٨٥ . شعراء قتلهم شعرهم (سمير فراج) : ٧- ١٣. شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٨٠- ١٨٢ .

(٦٩) للاستزادة انظر: تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٥٠٣/٣- ٥٠٧، الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٧٩/٤- ٨٤، تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) : ٤٢٠/٣٧- ٤٢٣، نهاية الأرب في فنون الأدب (النويري) : ١٣٨/٢، ١٣٩، التذكرة الحمدونية (ابن حمدون) : ٣٧١/١.

(٧٠) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني): ص ٥١، ٥٢، فوات الوفيات (محمد الكتبي): ١١٨/٢، ١١٩، الأعلام (الزركلي) : ٧٨/٥، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (العصامي): ٥٧/٢، ٥٨. قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين): ص ١٤٥.

(٧١) للاستزادة انظر: البداية والنهاية (ابن كثير): ٣١/٦، ٣٢، الشعر والشعراء (ابن قتيبة): ٣٥٠/١، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٣٨/١٤، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٦٨٨/٢، ٦٨٩، الأعلام (الزركلي): ٨٩/٥.

(٧٢) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٧٤/١٤ – ٢٨٨، البداية والنهاية (ابن كثير): ٨٤/٩ – ٨٦، الكامل في التاريخ (ابن الأثير) : ٢٧٤/٤ – ٢٧٧، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ١٥/٤ – ٢٠، شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١٥- ٢٢ .

(٧٣) للاستزادة انظر: تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر) : ٦٠/٦٤- ٧٢، تاريخ الإسلام (الذهبي) :٥/٥٦١- ٥٦٦، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ١١/٣٥٣- ٣٧٣، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ٢/٤٢٦ - ٤٢٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (عبد القادر البغدادي): ٤/٤٤٧- ٤٥١.قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين): ص ٦٣، ٦٤، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ٥١- ٥٤.

(٧٤) للاستزادة انظر: الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٤/١٩٦- ١٩٨، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (محمد بن الجوزي): ٦/٢٢٤، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٣/٦٢٠- ٦٢٣، تاريخ الإسلام (الذهبي): ٦/٦، نهاية الأرب في فنون الأدب (النويري): ٦/٣٩، ٤٠.

(٧٥) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ١١/٣١١- ٣٣٥، الشعر والشعراء (ابن قتيبة): ١/١٥٦، البصائر والذخائر (أبو حيان التوحيدي): ١/٣٤٨، ٣٤٩، المؤتلف والمختلف (ابن القيسراني): ١/٣٢، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٣/٦٤١.

(٧٦) للاستزادة انظر: الأغاني(الأصبهاني): ٦/٢٣- ٦٠، البيان والتبيين (الجاحظ): ١/٤٨- ٥١، تاريخ الطبري(ابن جرير الطبري): ٣/٤٤٤- ٤٤٦، الكامل في التاريخ (ابن الأثير) :٤/ ٢١٧ — ٢٢٠ ، الوافي بالوفيات(صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي) : ١٨/٩٧ - ٩٩ ، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ٤٢- ٤٤، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ٣٨- ٤٣ ، شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١٣٩ - ١٤٨ .

(٧٧) للاستزادة انظر: تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر): ٦٣/١٢٣- ١٢٦ ، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٢٢/٢٦١- ٢٧٢ ، الوافي بالوفيات(صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي) : ٢٧/٢٦٦- ٢٦٩، الإشراف في منازل الأشراف (أبو بكر البغدادي) : ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٧٨) للاستزادة انظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان(شمس الدين ابن خلكان): ٢/٤٥- ٥٠، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٦/٢٢٣- ٢٣٥، كتاب المغتالين(الجاحظ) : ٢/٢٧٣- ٢٧٥، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (جمال الدين بن تغري بردى): ١/٢٢٦- ٢٣٠، فوات الوفيات (محمد بن شاكر الكتبي): ٤/٢٥٥- ٢٥٧، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ٨٦- ٨٩، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٨٣- ١٨٩ ،شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١٤٩ - ١٦٤ .

(٧٩) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٤٦٩/١- ٤٠٤، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ٤٠٠/٥- ٤٠٣، الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٤٧٥/٤- ٤٧٧، خزانة الأدب ولب لسان العرب (ابن حجة الحموي): ٣٢٦/٥- ٤٢٨، الوافي بالوفيات(صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي): ٤٤٨/٥- ٤٥١، تاريخ دمشق (ابن عساكر): ٨٥/٦٨- ٨٧، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ١٣٤- ١٣٨، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١١٩- ١٢٣.

(٨٠) للاستزادة انظر: الأغاني (الأصبهاني): ١٢٧/٥- ١٣٠، ٤٠٩/٤، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٢٥٦/٦، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (أبو الحسن الشنتريني): ٤٦٤/٥، البيان والتبيين (أبو عمروالجاحظ): ٥٩١/١، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٧٣- ١٧٤ ،شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١١٧ - ١٢٦ .

(٨١) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٣٨١/٤- ٣٩٧، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه(يحيى الجبوري) : ص ١٩٥- ١٩٩، الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٥٠٥/٤، ٥٠٦، طبقات فحول الشعراء(ابن سلام الجمحي): ٣١٩/٢- ٣٢١، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ١٥٣/١- ١٥٥، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ١٠٩- ١١٢ ،شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ٤٥ - ٧٠ .

(٨٢) للاستزادة انظر: البداية والنهاية (ابن كثير): ٨/١٠- ١٠، العبر في خبر من غبر (الذهبي): ١٦١/١- ١٦٢، الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ٤٧٩/٤- ٤٨١، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٢٢٢/٤- ٢٢٧، ٢٤٥، ٢٤٦، فوات الوفيات (محمد الكتبي): ٥٩٠/٢- ٥٩٢، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ١٠٩/٧- ١١١، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٥/٧- ٦٠. شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٩٠- ١٩٣.

(٨٣) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني): ص ١٥٨، ١٥٩، تاريخ دمشق (ابن عساكر): ٤٦٠/٤٠، ٤٦١، الأعلام (الزركلي): ٢٣٠/٥. شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٤٤.

(٨٤) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني):: ٩٩/١٧- ١٠٤، ديوان الحماسة (أبو تمام): ٦٢/٢، ١٣٨، ١٤٦- ١٤٨، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (العباسي): ص ٢٣٠ - ٢٣٣ ، الأعلام (الزركلي): ١٠٢/٤.

(٨٥) للاستزادة انظر: الوافي بالوفيات (الصفدي): ٣٢٣/١٦، ٣٢٤، بدائع البدائه (ابن ظافر الأزدي): ص ١٨، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة (أبو عبد الله المراكشي): ص ١٣، المُغرب في حلى المغرب (ابن سعيد المغربي): ص ١٣٣.

(٨٦) للاستزادة انظر: الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٣٢٣/٥- ٣٣٢، تاريخ الأدب العربي(.بلاشير: ١٠٨/٣- ١١٠، الشعر والشعراء(ابن قتيبة): ص ١٣٠، تاريخ الطبري(ابن جرير الطبري): ٤٨٩/٤، ٤٩٠، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ١٧١/١- ١٧٣، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ٦٠- ٦٢،شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١٠٧ - ١١٦.

(٨٧) للاستزادة انظر: طبقات الشعراء (ابن المعتز): ص ٣٨، ٣٩، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ١٤٧/٧- ١٤٩، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ابن رشيق القيرواني): ١٧١/١- ١٧٣، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١٤٢/١٦- ١٤٥، تاريخ دمشق (ابن عساكر): ١٤٨/٢٠- ١٥٢.العقد الفريد (ابن عبد ربه):٢٣٧/٢، ٢٣٨، الحماسة البصرية (أبو الحسن البصري) : ص ٣٩ ، ٤١، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ١٢٤- ١٢٦ .

(٨٨) للاستزادة انظر: طبقات الشعراء(لابن المعتز): ص ٩٠- ٩٣، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (أبو عبد الله الحموي): ٦/١٢- ١٠، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ٢٩٤/٢- ٢٩٧، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ابن حجر العسقلاني): ٣٨٤/٨، لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني): ١٧٣/٣- ١٧٦، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١٤- ١٧٥- ١٧٨، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ١٤٦- ١٥١ .

(٨٩) للاستزادة انظر: الشعر والشعراء(ابن قتيبة): ص ٧٥٤- ٧٥٦، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٣٠٤/١٤- ٣٦٣، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ٢١٠/٢- ٢٢٣، معجم الأدباء (أبو عبد الله الحموي): ٢٥٠/١٠- ٢٦٦، تاريخ بغداد (ابن عساكر): ١٤٩/٨- ١٥٥، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ٩٠- ٩٣، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ٧٢- ٧٤،شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١٨٧ - ٢٠٠

(٩٠) للاستزادة انظر: طبقات الشعراء (ابن المعتز): ص ٢١- ٢٦، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ابن رشيد القيرواني): ٧٦/١- ٨٠، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٢٥٤/١ — ٢٦٦، ٢٤٣/٣- ٢٤٦، ديوان بشار بن برد (لجنة التأليف والنشر. القاهرة)، ٢٥/١- ٣١، الشعر والشعراء (ابن قتيبة): ٧٥٧/٢- ٧٦٠، تاريخ الطبري

(ابن جرير الطبري): ١٨١/٨- ١٨٥، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ٦٠- ٧٠، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) :ص ٥٥- ٦١،شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ١٦٥ - ١٨٦.

(٩١) للاستزادة انظر: طبقات الشعراء (ابن المعتز): ص ٤٢- ٤٤، معجم الشعراء (المرزباني): ص ٣١٧، ٣١٨، الأغاني (الأصفهاني): ٧٢/١٠- ٨١، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٢٨٩/٤- ٢٩٢، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) ص ١١٦- ١٢٠.

(٩٢) للاستزادة انظر: طبقات الشعراء (لابن المعتز): ص ٢٤٣- ٢٤٤، تاريخ بغداد (الخطيب البغدادي): ٦٦/١٣- ٦٨، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٤٦٦/٦، ٤٦٧، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ٢٤٦/٧، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) ص ١٢١- ١٢٣.

(٩٣) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني) : ص ١٨٣- ١٨٥، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان): ٤١٣/١- ٤١٨، الكامل في التاريخ (ابن الأثير): ١٩٢/٥، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ١٣٨/٥، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٥٠/١٩- ٥٣، معجم الأدباء (الحموي): ١٠٦/١- ١٠٨، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) ص ١٥٥- ١٥٧.

(٩٤) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١٣٠/١٤- ١٤٤، التذكرة الحمدونية (ابن حمدون): ١٧٧/٤- ١٨١، طبقات الشعراء (ابن المعتز): ص ١٥٣- ١٥٤، نور القبس (حافظ اليغموري): ص ١٣٨- ١٤١.

(٩٥) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٣٣/١٩- ٢٩٠، طبقات الشعر (ابن المعتز): ص ١٧٠- ١٨٣، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان):٣٥٢/٣- ٣٦١، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) ص ١٣٩- ١٤٣، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٣٨ ،١٣٩.

(٩٦) للاستزادة انظر: الشعر والشعراء (ابن قتيبة): ٧٢٧- ٢٣٠، الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٦٨/٢٠- ١٤٥، معجم الأدباء (الحموي): ٩٩/١١- ١٠١، وفيات الأعيان (ابن خلكان): ٢٦٦/٢- ٢٧٠، تاريخ الأدب العربي حنًا فاخوري: ص ٤٩٩، شعر دعبل الخزاعي (عبد الكريم الأشتر): ص٣٥- ٢٧٧ ، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) ص ٧٦- ٨١.

(٩٧) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ١١٩/٣- ١٥١، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري): ٣٥٩/٥، تاريخ الإسلام (الذهبي): ٣٥٥/١٨، ٣٥٦، وفيات الأعيان (ابن خلكان): ٣٥٥/٣، ٣٥٨، معجم الأدباء (الحموي): ٥٤١/٤- ٥٤٣.

(٩٨) (٣) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٠٥/٢٣- ٢١٣، الوافي بالوفيات (صلاح الدين الصفدي): ٣١/٢- ٣٣، فوات الوفيات(محمد الكتبي): ٢٩٢/٢- ٢٩٤، تاريخ الإسلام (الذهبي): ١٤٤/١٨، البداية والنهاية (ابن كثير): ١٠ / ٣١٦ ، شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص ٣١ - ٣٨.

(٩٩) للاستزادة انظر: الأنساب (السمعاني): ٤١٧/٥ ، طبقات الشعراء (ابن المعتز): ص ١٣١- ١٣٥، الأعلام (الزركلي) : ٦٥/٤ ، وفيات الأعيان (ابن خلكان) : ٧٨/١، معجم الأدباء (الحموي) : ٤٤٧/٣.

(١٠٠) للاستزادة انظر:الوافي بالوفيات: (الصفدي): ٣٤٤/٥، ٣٤٥، طبقات الشعراء (ابن المعتز): ص ٣٦، ٣٧، سير أعلام النبلاء (ابن حجر العسقلاني): ١٠ /٦١٥، ٦١٦، الجليس الصالح والأنيس الصالح (المعافى بن زكريا) : ص ٤٦٤ ، المستجاد من فعلات الأجواد (القاضي التنوخي) : ص٤٣.

(١٠١) للاستزادة انظر: وفيات الأعيان (ابن خلكان) : ٣٥٨/٣- ٣٦٣، ذيل مرآة الزمان (اليونيني): ١٩٩/٢- ٢٠٢، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر(المحبي): ٢٣١/٣- ٢٣٢، تاريخ الأدب العربي (حنا فاخوري): ص ٥٣٢، الأغاني(أبو الفرج الأصبهاني): ٢٣- ١٥٩- ١٧١، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ابن رشيق القيرواني):١٦٥/١- ١٦٨، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين) ص ٤٥- ٥١.

(١٠٢) للاستزادة انظر: البداية والنهاية (ابن كثير): ١٢٣/١١- ١٣٦، وفيات الأعيان (ابن خلكان): ١٤٣/٢- ١٥١، تاريخ بغداد (الخطيب البغدادي): ١٢٨/٨- ١٣٠، البداية والنهاية (ابن كثير): ١٣٤/١١ - ١٣٨، تاريخ الإسلام (الذهبي): ٣٩/٢٣- ٤٥، سير أعلام النبلاء(ابن حجر العسقلاني): ٣١٣/١٤- ٣٢٦، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القلقشندي: ٣٤٨/٤، محاضرات الأدباء (الأصفهاني): ٤٢٤/٢، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين): ص ٩٤- ١٠٠.

(١٠٣) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٣/ ١٣٥- ١٥٦ ، لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني): ١٥٨/١- ١٦٢، تاريخ الإسلام (الذهبي): ١٥٩/٦- ١٦٤، أبو الطيب المتنبي (بلاشير): ص ٤٠٧، شرح ديوان المتنبي (الواحدي): ٣٣٠/١ - ٣٥٩، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (أبو العباس بن خلكان) : ١٢٣/١- ١٢٨، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ابن الجوزي): ٢٦/٧- ٣٢، الصبح المبني على حيثية المتنبي (يوسف البديعي): ص ٤٦- ٥٢، بغية الطلب في تاريخ حلب (كمال الدين بن أبي جرادة): ٦٨٠/٢- ٦٨٣، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ٥٢- ٥٧، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٥٧- ١٦٠، شعراء قتلتهم أشعارهم (سمير فراج): ص٧١- ١٠٦.

(١٠٤) للاستزادة انظر: المغرب (ابن سعيد المغربي): ٢٣٩/١، ٢٤٠، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (الشنتريني): ٨٢/٣- ٨٤، تاريخ الإسلام (الذهبي) : ٤٨٩/٣.

(١٠٥) للاستزادة انظر: المغرب (ابن سعيد المغربي): ٢٨٩/١- ٢٩٣، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة(الشنتريني): ٢٨٠/٣- ٢٨٥، الوافي بالوفيات (الصفدي) : ١٦٠/٤- ١٦٤، وفيات الأعيان (ابن خلكان): ٤٢٥/٤- ٤٢٨، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ٣١- ٣٣.

(١٠٦) للاستزادة انظر: فوات الوفيات (ابن شاكر الكتبي) ٣٤٤/٤- ٣٤٨. الوافي بالوفيات (الصفدي) ٣٣٤/٢- ٢٤٠، خريدة القصر وجريدة العصر (العماد الصفهاني): ٢٢٣/٤- ٢٣٠، معجم الأدباء (الحموي): ٤٥٥/٢- ٤٦٩، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٥٩/١- ٦١، الأعلام (الزركلي): ١٢٨/٥، سير أعلام النبلاء(ابن حجر العسقلاني) ١٤/١٩. شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ٣٦ ،٣٧.

(١٠٧) للاستزادة انظر: وفيات الأعيان (ابن خلكان): ١٦٠/١- ١٦٧، الأعلام (الزركلي): ١٧٣/١، ١٧٤، سير أعلام النبلاء (ابن حجر العسقلاني): ١٣٩/١٨، ١٤١، الوافي بالوفيات (الصفدي): ١٤٦/٧- ١٤٨، قصائد قتلت أصحابها (باقر ياسين):ص ١٥٢- ١٥٤.

(١٠٨) للاستزادة انظر: البداية والنهاية (ابن كثير): ٢٧٤/١٢- ٢٧٧، وفيات الأعيان (ابن خلكان): ٤٣١/٣- ٤٣٦، تاريخ ابن خلدون (ابن خلدون): ١٠١/٤- ١٠٦، تاريخ الإسلام (الذهبي): ٣٩- ٣٥٠- ٣٥٤، الأعلام (الزركلي): ٣٧/٥، شعراء قتلتهم أشعارهم وحبهم (خازن عبود) : ص ١٤٠ ،١٤١.

(١٠٩) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني): ص ٤٠٤، الوافي بالوفيات (الصفدي) : ١١٧/٢، معجم المؤلفين (عمر رضا كحالة): ٤٦/١٢، ١٠/ ٢٧٩.

(١١٠) للاستزادة انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (محمد بن علي الشوكاني): ١٨٩/٢- ١٩٣، خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموي): ٣٣/١، ٣٤، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ابن تغري بردي): ٢٧١/١٦، ٢٧٢، الضوء اللامع (السخاوي): ٢٩٥/٩- ٢٩٧.

(١١١) للاستزادة انظر: معجم الشعراء (المرزباني): ص ٤١٨، المحمدون من الشعراء (القفطي): ص ١١٣، وفيات الأعيان (ابن خلكان) : ٥١/٧، تاريخ الطبري (ابن جرير الطبري) : ٥٤١/٥.

(١١٢) للاستزادة انظر: الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني): ٢٤ /٢٠٥ ،التذكرة الحمدونية (ابن حمدون) ٢١١/٤، الحماسة البصرية (الحسن البصري): ٢٥١/٢ ، البيان والتبيين (الجاحظ) : ٥٧٦/١ .

(١١٣) للاستزادة انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (المحبي): ١٩٩/١- ٢٠٠، ٣٤٢/٢، ٢٢٩/٣، ٢٣٠.

(١١٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (النووي): ص ٢٦٣.

الفهرست